الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة الوادي

كلية الآداب و اللغات

قسم اللغة العربية وآدابها

الانتماء والاغتراب في الشعر الجاهلي

-دراسة دلالية – طرفة بن العبد " أنموذجا "

مذكرة معدّة ضمن متطلبات نيل شهادة الليسانس (ل .م .د)في اللغة العربية وآدابها

تخصص لغة

إعداد الطالبات

- أسماء خزان
- حنان شلالقة
- خولة حشيفة
- مارية سلاطنة
- ناجية غريب

إشراف الأستاذ

عبد المالك قرل

الموسم الجامعي : 1433-1434هـ / 2012-2013م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وإمتنان

يجمل بنا في هذا المقام أن نطوق أستاذنا "بولعشار مرسلي" بالعرفان الممتد, فقد علمنا قراءة الشعر الجاهلي و حفظه, و كان فاتحة اتصالنا به, و أمدّنا من بحر علمه الشيء الكثير , و أفادنا بملاحظاته و توجيهاته ,و سيبقى ذاكرة حية لأستاذ فتّق في عشق العربية, و أنموذجا يحتذى به.

كما ينبغي علينا أن لا ننسى شكر الأستاذ "قرل عبد المالك" الذي قام بالإشراف على هذا البحث.

و الأستاذ" هواوي نهيان" و الأستاذة "فتيحة حسيني" و الأستاذة" فارح هنية" الذين استفدنا من توجيهاتهم الشيء الكثير.

و الأخوين " محمد يوسف" و" بشير غريب" وكذلك الطالبة" خلفاوي عواطف "على كل ما قدموه لنا من نصائح و توجيهات و مراجع مهمة في بحثنا.

و أيضا إدارة الجامعة التي أعطتنا فرصة البحث في مثل هذا الموضوع.

و طاقم مكتبة الإحسان كل واحد باسمه الذين أشرفوا على كتابة و إخراج هذا البحث إلى النور.

دون أن ننس تقديم الشكر الجزيل إلى السيد بوصبيع صالح زهير و كل من ساعدنا و لو بالدعاء فمن لم يشكر الناس لم يشكر الله.

أسماء حنان خولة ماريا ناجية

مقدمة

مقدمة

الإبداع الأدبي هو جزء لا يتجزأ من الثقافة الإنسانية لأن الإنسان مخلوق يحمل في داخله مشاعرا تذهب به بين الفرح والحزن وبين الانتماء والاغتراب.....ولا يمكننا اكتشاف هذه المشاعر إلاّ بالعودة إلى أعمال الإنسان الأدبية، بما في ذلك الشعر بصفة عامة.

وقد كان الشعر الجاهلي من المصادر الهامة التي أبرزت لنا ما عاشه الإنسان بصفة عامة والشاعر الجاهلي على وجه الخصوص، ذلك أنّ الشعر الجاهلي كان ولا يزال المرآة العاكسة لذلك العصر. وظاهرتي الانتماء والاغتراب من الظواهر القديمة قدم الإنسان نفسه، فيكون بذلك من الطبيعي أن نجد لهما جذورا في العصر الجاهلي ، فما هو المقصود بظاهرتي الانتماء والاغتراب عموما وفي الشعر الجاهلي بصفة خاصة؟ وكيف يمكننا أن نستدل على ذلك واكتشافه من خلال أشعار الجاهليين وبالخصوص في ديوان طرفة بن العبد؟

ولعل سبب اختيارنا لهذا الموضوع يعود أول الأمر إلى أسباب ذاتية، فقد اخترنا أن تكون المدونة التي سنطبق عليها دراستنا- مهما كان الموضوع- ديوان طرفة بن العبد ، فبحثنا عن موضوع يناسب هذه المدونة، فلم نجد أحسن من موضوع الانتماء والاغتراب لذلك .أما اختيار طرفة بن العبد بالذات دونا عن باقي الفحول في ذلك العصر، مردّه إلى تعاطفنا مع هذا الشاعر عند ما تعرفنا على سيرة حياته أثناء دراستنا للأدب الجاهلي في السنة الأولى.

وللبحث عن دلالة هاتين الظاهرتين في الشعر الجاهلي وفي شعر طرفة بن العبد تتبعنا المنهج الوصفي التحليلي وأحيانا الإحصائي، وهو المنهج المناسب لمثل هذه الدراسة.

وقد رسمنا خطة تتبعناها أثناء عملية البحث، وقد احتوت على ثلاثة فصول ومقدمة وخاتمة.

ففي الفصل الأول والذي عنوناه بقراءة في الشعر الجاهلي، وقسمناه إلى ثلاثة مباحث تطرقنا فيه إلى موضوعات الشعر الجاهلي من وصف وغزل ووقوف على الأطلال وفخر ذاتي وقبلي....الخ

وخصائصه الفنية التي ميزته عن الشعر العربي في العصور التالية له، ثم تحدثنا عن حياة أهم شعرائه باختصار، لأنها تمثل لنا مصباحا ينير لنا الطريق للكشف عن قضيتن اجتماعيتين كقضيتي الانتماء والاغتراب، واللتين لا يمكن الكشف عنهما إلا من خلال معرفتنا بالظروف الاجتماعية المحيطة بهؤلاء الشعراء.

أما الفصل الثاني الموسوم بدلالة الانتماء والاغتراب، حيث قسمنا هذا الفصل أيضا إلى ثلاثة مباحث، فعالجنا في المبحث الأول مفهوم الدلالة وأنواعها وركزنا فيها على النظرية السياقية التي تتناسب وطريقة الكشف عن مواطن الانتماء والاغتراب في الشعر الجاهلي ككل وشعر طرفة بن العبد بالأخص. كما تحدثنا في المبحث الثاني عن ظاهرة الانتماء و ما يتعلق بها وعرجنا فيه على مجموعة من نماذج الانتماء عند بعض الشعراء الجاهليين أمثال عمرو بن كلثوم، ومثلما تطرقنا لموضوع الانتماء، تطرقنا أيضا لظاهرة الاغتراب لغة واصطلاحا، وكيفية تطور المصطلح عبر مراحل زمنية متعاقبة، وكذلك الأسباب التي أدت إلى وجود هذه الظاهرة- الاغتراب- وأنواعها والأبعاد المترتبة عليها وختمنا المبحث ببعض النماذج المختارة من شعر الجاهليين وكان شعر الشعراء الصعاليك أكبر مثال عن ذلك.

أما الفصل الثالث ،فقد قمنا فيه بإسقاط ما توصلنا إليه في الفصلين السابقين من نتائج، حيث بحثنا عن دلالة الانتماء والاغتراب في شعر طرفة بن العبد الذي تضمنه ديوانه الصغير، والذي يعتبر كسيرة ذاتية للشاعر، لذلك جعلنا عنوان الفصل: طرفة بن العبد بين الانتماء والاغتراب في نصه الشعري وقد قمنا بإجراء بعض المقارنات بينه وبين باقي شعراء عصره لنكتشف بذلك عن مدى انتماء واغتراب كل واحد منهم.

وقد ختمنا بحثنا بخاتمة جمعنا فيها كل ما توصلنا اليه من نتائج، وقد اعتمدنا في هذا البحث عن مجموعة لا بأس بها من المصادر والمراجع ، لا ضير إنْ ذكرنا أهمها مثل:الأدب الجاهلي لغازي طليمات وعرفان الأشقر والشعر والشعراء لابن قتيبة ، وأثر الصحراء في الشعر الجاهلي لسعدي ضناوي، ومجموعة كبيرة من دواوين الشعراء الجاهليين على رأسهم ديوان طرفة بن العبد، وكذلك قد

اعتمدنا على شرح الزوزني للمعلقات العشر ،وشرح ديوان طرفة بن العبد ليوسف الأعلم الشنتمري. هذا في موضوع الشعر الجاهلي، أمّا من أهم المراجع التي استعنا بها في حديثنا عن الانتماء نذكر علم النفس العام لعبد الرحمان العيسوي والانتماء الاجتماعي وعلاقته بالإذعان لدى المسنين والانتماء في الشعر الجاهلي لفاروق أحمد سليم...وفي موضوع الاغتراب اعتمدنا على مجموعة من المراجع والرسائل الجامعية نذكر من أهمها: الاغتراب النفسي وعلاقته بالتكيف الأكاديمي لدى طلاب الجامعة والاغتراب لفيصل عباس....وعند حديثنا عن الدلالة اعتمدنا على مجموعة من المراجع، مثل علم الدلالة لأحمد مختار ودلالة السياق ردة الله بن ردة ضيف الله الطلحي...

وقد واجهتنا العديد من الصعوبات أثناء عملنا شساعة الموضوع وهو ما جعل بحثنا يتسم بالطول ،وصعوبة حصولنا عن المراجع التي تتحدث عن ظاهرة الانتماء وغيرها من المشاكل التي لا يمكن لأي بحث الخلوّ منها.

وفي الأخير فإنْ استطعنا بلوغ الغاية المنشودة من هذا البحث، فهو بفضل الله وكرمه، وإنْ كنا قد قصّرنا فحسبنا أننا بذلنا ما لنا من جهد وإخلاص ما استطعنا. وما يسعنا في الأخير إلاّ التقدم بجزيل الشكر للأستاذين الكريمين; الأستاذ بولعشار مرسلي والأستاذ قرل عبد المالك على كل ما قدماه لنا من نصح وتوجيه.

مدخل

مدخل

نشأة الشعر الجاهلي: الشعر الجاهلي هو فن العرب الأول والمتوارث عبر الأجيال، فهو ديوانهم الذي جمعوا فيه آلامهم وآمالهم، أفراحهم وأحزانهم ... لذلك يمكن اعتباره المرآة العاكسة لحياة العرب في ذلك العصر. ذلك أنه حافل بالصور الحسية المعبرة عن روح الشاعر و بيئته، وعلى الرغم من وجود فنون نثرية في العصر الجاهلي إلا أن الشعر طغى عليها وذلك لسهولة حفظه، الأمر الذي جعله يكتسي أهمية كبيرة لذلك قيل أن "الشعر الجاهلي حل محل الفن التشكيلي المفتقد في تصوير الطبيعة، لأن الطبيعة والإنسان يتصديان للشعراء والمصورين بذات الطواعية"[1]. وقد وصل إلينا شعر الجاهليين في قمة النضج والرقي عبر الرواية الشفوية إلى أن جاء عصر التدوين والتحقيق. وقد حدد العصر الجاهلي بمئة أو مئة وخمسين عاما قبل الإسلام وقالوا بأن الشعر الجاهلي بدأ مع امرئ القيس الذي نفى بنفسه هذا الكلام حين قال:

" عُوجَا على الطَّلَلِ الْمُحِيلِ لعَلَّنَا نَبْكِي الدِّيَارَ كمَا بَكَى ابْنُ خِذَامْ "[2].

حيث أكد لنا امرؤ القيس أنه هناك من بكى الديار ووقف على الأطلال قبله –كابن خذام– المذكور في البيت، وهو شاعر جاهلي لا نعرف عنه شيئا . وما يزيدنا تأكيدا لما قلنا قول زهير بن أبي سلمى:

" مَا أرَانَا نقولُ إلاّ مُعَارًا أو مُعادًا مِنْ قَوْلِنا مَكْرُورًا[3] ".

---

[1] أحمد محمد عطية، أدب البحر، دار المعارف، القاهرة،(د ط)، (د ت)، ص 29 .

[2] محمد عبد المنعم خفاجي، الحياة الأدبية في العصر الجاهلي، دار الجيل، بيروت، ط 1، 1992،ص 209.

[3] المرجع نفسه، ص110.

كما نجد عنترة بن شداد يسأل عن الشعراء الذين سبقوه في بكاء الديار في قوله:

"هلْ غادرَ الشُّعراءُ مِنْ مُتَرَدَّمِ أم هل عَرَفْتَ الدّيارَ بَعدَ تَوَهُّمِ[1]".

فكل هذه الأبيات المذكورة أعلاه تثبت لنا أن نشأة الشعر لم تكن مع امرئ القيس ولا مع المهلهل بن ربيعة الذي قيل: بأنه أول من هلهل الشعر، كما أن كون الشعر الذي وصلنا كاملاً (في الوزن والقافية) أمر فيه نظر، لأنه من غير المعقول أن تكون البداية ناضجة وكاملة .

ويقال أن الأوزان الشعرية نشأت من خلال وقع أخفاف الإبل في الصحراء كما أنه " ليس بين أيدينا أشعار تصور مرحلة غير ناضجة من نظام الوزن والقافية في الجاهلية ... وزعم بعض القدماء والمحدثين أن الرجز أقدم أوزان الشعر العربي وأنه تولد من السجع، مرتبطا بالحداء ووقع أخفاف الإبل في أثناء سيرها و سراتها في الصحراء، ومنه تولدت الأوزان الأخرى "[2].

ولأن الشعر الجاهلي شعر غنائي ووجداني بالدرجة الأولى أدى ببعضهم القول بأنه يعود إلى الترانيم التي كان يدندنها راعي الإبل ليؤنس بها وحدته في الصحراء. ومهما يكن فإن الشعر الذي وصلنا من العصر الجاهلي ما هو إلا القليل منه حيث يقول " أبو عمر بن

[1] عنترة بن شداد ،الديوان ،تح: خليل الخوري مطبعة الآداب، بيروت، 1893، ص 80.

[2] شوقي ضيف، العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، ط 24، (دت)، ص 185 – 186 .

لعلاء: ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله، ولو جاءكم وافر لجاءكم علم وشعر كثير [1]"

إنّ الأدب العربي بصفة عامة، والأدب الجاهلي بصفة خاصة له صلة كبيرة بالبيئة الجغرافية التي نشأ بها، و ترعرع فيها، ومن خلال ما أوردته كتب التاريخ و المصادر الأدبية التي أقرت بأنّ شبه الجزيرة العربية هي موطنه الأول، ولطبيعة الحياة الجاهلية القائمة على الحلّ حينا و الترحال أحيانا أخرى جعله ينتقل من موطن لآخر "فاخترق بادية الشام وشبه جزيرة سيناء وانتشر في بلاد ما بين النهرين"[2] حتّى إنّه لم يقف عند هذا الحد بل وصل إلى غاية مماليك الحيرة و الغساسنة، وما إنْ جاء العصر الإسلامي انتشر هذا الأدب عبر بقاع الدول العربية عن طريق الفتوحات، ولعلّ الخريطة المرفقة أدناه توضح لنا المناطق أو البيئات التي ولد بها الشعر الجاهلي –إنْ صحّ التعبير– فكانت شبه الجزيرة العربية بمعالمها و رياحها وصحرائها...الخ الملهم الأوّل للشاعر الجاهلي، لنجد الكثير من هؤلاء الشعراء –إنْ لم نقل جل– أسماءً لكثير من الجبال والأودية والبقع التي كانوا ينزلونها، فطالما نجدهم يضيفون إلى بعض الأسماء لفظة برقاء أو برقة ، كقول "طرفة بن العبد":

لِخولةَ أطْلالٌ بِبرْقةِ ثَهْمَدِ تلوحُ كبَاقِي الوَشمِ في ظاهرِ اليدِ[3]

وأكبر دليل على تأثر الأدب أو الشعر الجاهلي بالبيئة التي نشأ بها عدم خلو جل القصائد الجاهلية من الوقوف على الأطلال وبكاء الديار ، وهو ما ينبئ بحق عن تعلق الجاهلي بمكان إقامته بالإضافة إلى الظروف المصاحبة لتلك المواقف التي يعيشها الشاعر الجاهلي، هذا التأثر بالمكان وبالظروف المحيطة جعلنا نبحث عن العديد من الظواهر الاجتماعية

[1] حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب – الأدب القديم، دار الجيل، بيروت، ط1، 1986، ص 130 .

[2] حنّا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب، ص63.

[3] طرفة بن العبد، الديوان، تح: عبد الرحمان المصطاوي، ص:25.

والنفسية ، مثل ظاهرتي الانتماء والاغتراب ، وهو ما سنتعرض له في الفصل الثاني من هذا البحث بعد أنْ نكمل حديثنا عن الشعر الجاهلي في الفصل الأوّل.

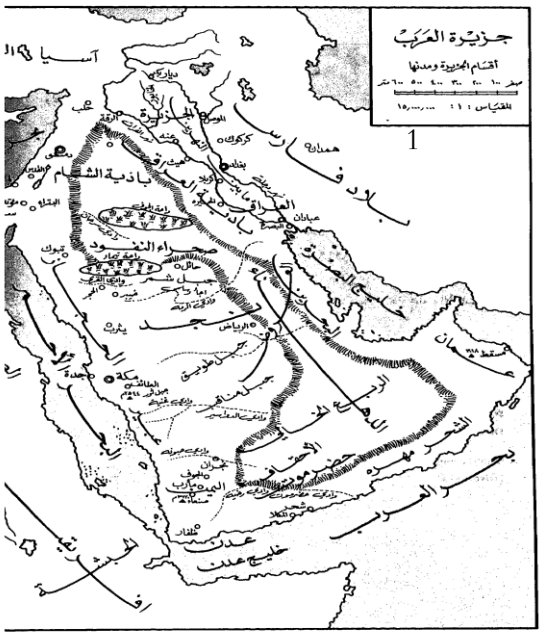

1

[1] حنا الفاخوري الجامع في تاريخ الأدب ، ص63.

الفصل الأول

المبحث الأول: موضوعات الشعر الجاهلي

ينقسم الشعر إلى شعر قصصي و ملحمي و غنائي، ولعل ما نلاحظه عدم وجود النوع الأول والثاني في الشعر العربي، ذلك أنه شعر غنائي، وقد قسمت موضوعات الشعر إلى عدة أقسام، ومن أهمها ما أورده ابن رشيق القيرواني في عمدته حيث جعلها " سبعة وهي: النسيب والمديح والافتخار والرثاء والاقتضاء والاستنجاز والعتاب والوعيد والإنذار والهجاء والاعتذار ... "

ويقول أبو هلال العسكري: " وإنما كانت أقسام الشعر في الجاهلية خمسة: المديح والهجاء والوصف والتشبيه والمراثي، حتى زاد فيها النابغة قسما سادسا وهو الاعتذار فأحسن فيه "[1].

ولأنه لا يمكننا تحديد أي هذه المواضيع ظهر أولاً من الناحية التاريخية، سنقوم بالحديث عن بعضها – إن لم نقل كلها – بطريقة عشوائية، حيث سنبدأ بغرض أو موضوع الوصف لأنه يمثل القسم الأكبر من الشعر الجاهلي:

أ- **الوصف**: " هو شرح حال الشيء وهيئته على ما هو عليه في الواقع لإحضاره في ذهن السامع، كأنه يراه أو يشعر به "[2]. وارتباط الشاعر الجاهلي بالطبيعة الصحراوية التي يعيشها جعله يمعن ويكثر من وصف كل ما فيها من جماد وحيوان ... لأنه شديد التعلق ببيئته. " و لابد من الإشارة إلى أن المعاني الوصفية في الجاهلية تكاد تنحصر في نطاق ضيق، مما يدل على خيال مقلد

[1] شوقي ضيف، العصر الجاهلي ،ص 195 – 196 .

[2] أحمد الهاشمي، جواهر الأدب، ج2، دار المعارف، بيروت، ط جديدة، ص 25 .

مكرر أكثر مما هو مبتكر "[1]. حيث قام الشاعر الجاهلي بوصف كل ما وقعت عليه عيناه، فوصف الليل والمطر والبرق والخيل ... صنيع امرئ القيس حين قال:

ولَيْلٍ كَموْجِ البَحرِ أرْخَى سُدُولَه عَلَيَّ بأنواعِ الهُمومِ لِيَبْتَلِ

فقلتُ له لما تَمَطَّى بُصلبِه وأرْدَفَ إعْجَازًا ونَاءَ بِكَلْكَلِ

أَلَا أيُّهَا اللّيلُ الطّويلُ ألا انْجَلِي بِصُبْحٍ وما الإصْباحُ منْكَ بِأمْثَلِ

فَيَالَك مِنْ لَيْلٍ كأنَّ نُجُومَه بكُلِّ مُغَارِ الفَتْلِ شَدَّت بِيَذْبِل [2].

وقوله في وصف فرسه:

وقد أغتَدِي والطَيْرُ فِي وُكَنَاتِها بِمُنْجَرِدٍ قيْد الأَوَابِدِ هَيْكَل

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِر معًا كجُلْمُودِ صَخْرٍ حَطَّه السَّيْلُ مِن عَلِ

له أيْطَلا ظَبْيٍ وسَاقَا نَعَامَةٍ وإرْخَاءُ سَرْحَانَ وتَقرِيبُ تَتْفُلِ [3].

وقد حظيت الناقة بالقسم الأكبر من وصف الشعراء لها، باعتبارها وسيلة النقل الأولى في الصحراء. ومن أكثر شعراء العصر الجاهلي الذين برعوا في وصفها " طرفة بن العبد " الذي أجاد و أمعن في وصفها إلى درجة الإغراب ،ومن الأبيات التي قالها في وصفها:

لهَا مِرْفَقَانِ أفْتلَان كَأنَّهَا تَمُرُّ بسَلْمَيْ دَالِجٍ مُتَشَدِّدٍ

كقَنْطَرَةِ الرُّومِيِّ أقسمَ رَبُّها لَتُكْتَنَفَنْ حتّى تُشَادَ بِقَرْمَدِ

[1] حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب ، ص143 .

[2] لطف الله الزهار، العقد الثمين في دواوين الشعراء الثلاثة الجاهليين، المطبعة اللبنانية، بيروت، (د ط)، 1986 ،ص 97 .

[3] المصدر نفسه ،ص 98 .

صُهَابِيَّةِ العُثْنُونِ مُوجَدَةُ القَرَا بَعيدَةُ وَخْذِ الرِّجْلِ مَوَّارَةُ اليَدِ

أُمِرَّتْ يَدَاهَا فَتْلَ شَزْرٍ وأجْنَحَت لها عَضُدَاها في سَقِيفٍ مُسَنَّدِ [1].

ومن خلال هذه الشواهد التي أوردناها تتبين لنا براعة الشاعر وقدرته على وصف كل ما يراه أو يحسه بالتفصيل وجزء بجزء. لذلك أكثروا من استخدام " فنون البيان كالتشبيه والاستعارة والكناية، ففرقوا بين الوصف والأدوات الفنية التي يستخدمها الشاعر. قال ابن رشيق و هو (الوصف) مناسب للتشبيه مشتمل عليه وليس به، لأنه كثيرا ما يأتي في أضعافه، والفرق بين الوصف والتشبيه أن هذا إخبار عن حقيقة الشيء وأن ذلك مجاز وتمثيل " [2].

وقد قسم المحدثون الوصف في الشعر الجاهلي إلى وصف للطبيعة الساكنة، وتشمل كل ما هو موجود في البيئة الصحراوية، فوصفوا رحلاتهم عبرها وما تكبدوه من عناء ووحشة وهرع ... ومن ذلك قول سويد بن أبي كاهل اليشكري:

كَمْ قَطعْنا دُونَ سَلْمَى مَهْمَا نَازَح الغُورُ إِذْ الآلُ لَمعْ

في حَرُورٍ يَنْضُجُ اللَّحْمُ بها يأخُذُ السأَّئرُ بها كالصَّقَعْ [3].

ولكثرة الرياح في جزيرة العرب الصحراوية جعلت سكانها يميزون بين أنواعها ، فراح الشعراء الجاهليين يصفونها، فوصفوا كل نوع بصفاته الخاصة، ومن ذلك قول الشاعر:

[1] طرفة بن العبد ، الديوان ،تح: عبد الرحمان المصطاوي، دار المعرفة، بيروت لبنان، ط1، 2003، ص 29 .

[2] غازي طليمات-عرفان الأشقر، الأدب الجاهلي، دار الإرشاد، حمص، ط1، 1992، ص64 .

[3] المرجع السابق، ص65 .

وخَرْقٌ تعزِفُ الجِنَانُ فيه فَيَافِيه تحِنُّ بها السِّهَام

والسهام هي الريح الباردة. ونوع آخر للوصف ألا وهو وصف الطبيعة المتحركة كوصف الحيوان –كما رأينا ذلك مع أبيات امرئ القيس في وصف الخيل ووصف طرفة بن العبد لناقته –كما قام شعراء العصر الجاهلي بوصف حروبهم الدائمة والتي كانت حروب كرّ وفرّ لا حروب فتح وبطولة، لذلك كان الشعر الجاهلي بحق ديوان العرب. ولفن الوصف في العصر الجاهلي خصائصه المميزة له، والتي منها:

- الاعتماد على المادية المحسوسة.
- استعمال التشبيهات الحسية والمتمثلة في: الاستعارة والكناية والتشبيه التمثيلي كما أن الشاعر الجاهلي كان يستعمل التشبيه المفرد والمركب على حد السواء.
- التركيز على الوصف الدقيق عن طريق التعرض للموصوف بكل جزئياته، كوصف طرفة بن العبد لناقته . مما يكسب أبيات الوصف دقة في التعبير والتصوير .
- الاستطراد: وهو انتقال الشاعر من موصوف إلى آخر ثم العودة إلى الموصوف الأول، مثل ما قام به لبيد بن ربيعة حيث انتقل من وصف الناقة إلى وصف الحمار الوحشي بعشرة أبيات ليعود مرة أخرى إلى وصف ناقته.
- الإيقاع: والذي يعني تقطيع الكلام على نحو يناسب حركات الفكر وهو يصنع المعنى ويناسب حركات الموصوف خلال ترجمته لهذا المعنى [1]

[1] المرجع السابق، ص 103 .

فالشاعر الجاهلي في وصفه يشبه الفنان الذي يحمل ريشته ليصور لنا حياته تصويرا واقعيا، حيث يمثل الحياة بما فيها، من غير إمعان في الخيال الذي ينتقل من الواقع إلى اللاواقع، وإنك تطوف بالشعر الجاهلي من أوله إلى آخره فتجده واقعيًا في موضوعاته واقعيًا في صدق نقله عن الحياة، واقعيًا في استكمال الصورة العامة لجميع عناصرها واقعيًا في حرصه على التفاصيل والجزئيات، واقعيًا في طرحه للتصوير وصدقه، واقعيًا في دقة التعبير [1].

ب- **الغزل**: وهو غرض من أغراض الشعر القديمة، ولا يمكن أن تخل منه أي قصيدة جاهلية. وهو" التعبير الراقي عن الغريزة والتصوير الفني لما بين الذكر والأنثى من تجاذب أزلي أبدي "[2]، وقد أطلق عليه اسم التشبيه أو النسيب .

وفيه يصف الشاعر أحاسيسه ومشاعره تجاه المرأة التي يحب، وصفا ماديا كان أو معنويا. وأكبر مثال لذلك في العصر الجاهلي ما قاله عنترة بن شداد في حق عبلة حيث يقول في معلقته:

يا دَارَ عَبْـلةَ بالجِوَاءْ تَكَلّمِي وعِمِي صَبَـاحًا دَارَ عَلبْةَ واسْلَمِي

دَارٌ لِآنَسَةٍ غَضِيضٍ طَرْفُها طَوْعُ العِنَاق لَذِيذَةُ الْمُتبَسَّمِ [3].

[1] حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب ،ص 160 .

[2] غازي طليمات-عرفان الأشقر، الأدب الجاهلي، ص 109 .

[3] عنترة بن شداد، الديوان ، تح: خليل الخوري ص 80 .

وما هذه الأبيات إلا وقوفا على الأطلال ،يناجي فيها الشاعر محبوبته ذاكرا صفاتها وما تركته في نفسه من حزن بعد رحيلها، وهو بكاء يفيض رقة وعذوبة ويحوي كل معاني الحب.

والشاعر الجاهلي في غزله يتعرض لمحبوبته من الناحية المادية فيصف المرأة كما يصف راحلته جزء بجزء وهو ما يسمى بالغزل الماجن، ذلك أنهم ذكروا حتى مغامراتهم معها، لتصبح لدينا قصصا غرامية واقعية، وأمثلة هذه القصص كثيرة في العصر الجاهلي، ومنها: قصة حب المرقش الأكبر لأسماء والمرقش الأصغر لفاطمة [1]. وهذا بشر بن أبي حازم يصف حبه وشغفه بالمرأة حتى أنه ذرف الدموع لفراقها حين قال:

فظَلَلْتُ مِنْ فَرْطِ الصَّبَابَةِ والهَوَى طَرْفاً فُؤَادَك مِثل فِعْلِ الأَيْهَمِ

وما قلناه عن وصف الشاعر لمحاسن المرأة الحسية، لا يعني أنه لم يقم بوصفها أخلاقيا. وخير مثال على ذلك من العصر الجاهلي قول الشنفرى في تائيته:

لقد أعْجَبَتْنِي لا سَقُوطًا قِنَاعُها إذا ما مَشتْ ولا بِذاتِ تَلَفُّتٍ

تَحِلُّ بِمِنْجَاةٍ من اللّوم بَيْتُها إذا ما بُيُوتٍ بالْمَذّمَةِ حَلَّتْ [2].

وبذلك يمكننا القول أن غزل الجاهليين في حقيقته لم يكن كله غزل ماجن ،بل هناك حتى الغزل العفيف . وقد قسم الغزل الماجن إلى:

- وصف فاضح: والذي يكون في أبيات متفرقة، حيث يتعرض الشاعر لوصف ما استتر من جسم المرأة بعبارات مهذبة.

[1] شوقي ضيف، العصر الجاهلي، ص 212 .

[2] الشنفرى، الديوان ،تح:اميل بديع يعقوب دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1996، ص 32 .

- أما الوصف الماجن: " فينطوي على مجموعة من أخبار نقلتها كتب الأدب من مغامرات الشعراء، واقتحامهم أخبية النساء ومراودتهن "[1]. ولعل من أشهر هؤلاء الشعراء امرئ القيس، حيث يقول يوم بدارة جلجل:

أَلَا رُبَّ يومٍ لك مِنْهُن صَالِحٍ لاسِيَّما يومٍ بِدارَةِ جُلْجُلِ

ويومَ عقرْتُ للعَذارَى مَطِيَّتِي فيا عَجَبًا مِن كَوْرِها الْمُتَحَمِّلِ

فظَلَّ العَذَارَى يَرْتَمِين بلَحْمِها وشَحْمٍ كَهَدَّابِ الدِّمَقْسِ الْمُفَتَّلِ [2].

و أكثر النساء التي قيل فيهن هذا النوع من الشعر هن القيان و الإماء و البغايا.

و كأي غرض شعري فقد تميز الغزل في العصر الجاهلي بعدة خصائص نذكر منها :

- يعتبر الغزل نوع من أنواع الوصف.
- استرسال الشاعر في وصف امرأته وصفا حسيا ماديا ، يميل فيه إلى استخدام التشبيهات " كما يكثر من النعوت ما استطاع مستعيضا بذلك عما يعجز عن تبيانه من خوالج النفس ولواعج الصدر ، و إن تعدى ذلك إلى ذكر الأحاديث والوقائع الغرامية ، وإلى طلب الوصال والكف عن القطيعة ، وإلى وصف السطحي من آلام النفس وتراكم الهموم "[3] .
- أصالة غرض الغزل لذلك نجده يطغى على باقي الأغراض الأخرى ، إذ لا يمكن أن نتصور قصيدة جاهلية يخلو منها غرض الغزل ، و هذا راجع إلى انبثاقه من نفوس الشعراء انبثاقا فطريا

[1] غازي طليمات-عرفان الأشقر، الأدب الجاهلي، ص 127 .

[2] لطف الله الزهار، العقد الثمين في دواوين الشعراء الثلاثة الجاهليين، ص 96 .

[3] حنا الفاخوري ، الجامع في تاريخ الأدب ، ص 146 .

يلتقون عنده ، و يجمعون على الاحتفال به . أما ما يتبعه من أغراض لابد أن تكون هناك دواعي لقول الشعر فيها.

- و الغزل ذو صبغة فردية ، يختلف فيها الشعراء تبعا لطبائعهم و أهوائهم ، فمنهم الشريف العفيف الذي يتغزل و لا يتبذل ، مثل زهير بن أبي سلمى . و منهم الجريء الماجن كامرئ القيس. لكنهم جميعا لم يلغو في الفاحش البذيء من ألفاظ السوقة[1].
- الصراحة و الوضوح: فالشاعر الجاهلي يعبر في غزله عما يحسه في نفسه من ميل إلى الأنثى، وهذا أمر طبيعي و هي فطرة الله في خلقه . وعما تراه عيناه من محاسن ومفاتن في المرأة ليعبر عنها تعبيرا صريحا، ودون خجل فيصف جسدها وثغرها وكشحها ... الخ مستعينا في ذلك بما في الطبيعة التي يعيشها كقول طرفة بن العبد :

و تَبْسُم عن أَلمىَ كَأنَّ مُنَوَّرًا تَخَلَّلَ حُرَّ الرَّمْلِ دِعْصٍ له نَدِي[2].

- أما أهم خاصية تميز الشعر الغزلي عند الجاهليين هي " رقة النسيج، وعذوبة اللفظ ورشاقة العبارة ... فالغزل يحاك من أسلاك دقيقة سحيلة ناعمة كخيوط الحرير ... ولو أنشدت بعض المقطعات الغزلية لرقصت الألفاظ بين شفتيك ، كأنها أجنحة الفراش ، ومثال ذلك قول المنخل اليشكري :

ولقَد دَخَلْتُ على الفَتَا ةِ الخِدْرِ فِي اليَوْم الْمَطِير

[1] ينظر غازي طليمات ، عرفان الأشقر ، الأدب الجاهلي ، ص 131 .

[2] طرفة بن العبد ، الديوان ،تح: عبد الرحمان المصطاوي ص 26 .

الكَاعبِ الحَسْنَاءِ تَـرْ فُلُ فِي الدَّمقس وِفي الحَرِيرِ " [1].

ج– الفخر : وهو من أبرز الأغراض الشعرية التي حفل بها الشعر الجاهلي . والفخر كالمدح كونه قائما على الإشادة بفضائل النفس إلا أنه يتميز عنه في أنه ينصب على امتداح الشاعر لنفسه ، وتعظيمه صفاتها[2]. فهو ينطوي على زهو الشاعر واعتزازه بنفسه و بقومه. وهو وليد الأثرة والإعجاب بالذات.

و يقول ابن رشيق " الافتخار هو المدح نفسه إلا أن الشاعر يخص به نفسه و قومه ، و كل ما حسن في المدح حسن في الافتخار و كل ما قبح فيه قبح في الافتخار "[3] .وينقسم الفخر في الشعر إلى ثلاثة أقسام ألا وهي :

1 – فخر ذاتي : وفيه يتعرض الشاعر إلى تعداد مناقبه وما يتميز به من الصفات الحميدة من كرم وقوة وشجاعة ..... الخ

2 – فخر جماعي: وفيه يتجاوز الشاعر نطاق الذات إلى الفخر بفضائل قومه ويطري على أمجادهم وبطولاتهم[4].

3 – الفخر المشترك: وفيه " يجمع الشاعر بين الفخرين فيكون الفخر ذاتيا وجماعيا، في آن واحد، وهو في جميع الأحوال ملتصق أشد الالتصاق بشخصية الشاعر و هو نوع من التعبير عن الذات

[1] غازي طليمات–عرفان الأشقر، الأدب الجاهلي، ص 132 .

[2] يحي شامي، أروع ما قيل في الفخر، دار الفكر العربي، بيروت، (د ط) ، (د ت)، ص 05 .

[3] غازي طليمات– عرفان الأشقر، الأدب الجاهلي، ص 135 .

[4] ينظر يحي شامي، أروع ما قيل في الفخر، ص 05 .

ومظهر من مظاهر إعجاب الشاعر بنفسه، المفطورة على حب الظهور والنزوع إلى التفوق والاقتدار [1]".

ويدخل غرض الفخر في فن الحماسة والإشادة بالانتصارات في الحروب وغيرها، فعلى الرغم من كون الحروب وبالا على العرب وسفك للدماء إلا أن تغني الشعراء ببطولاتهم ووصف ما كان يدور فيها من معارك يعتبر نعمة بالنسبة إلينا. حيث أننا من خلال أشعارهم عرفنا كيف كانت الحياة الجاهلية عصرئذ. لذلك أصبح الفخر صورة مبهرة لقبيلة الشاعر إذا كان جماعيا أو لنفس الشاعر إذا كان ذاتي، مؤكدا على المكانة والتميز [2].

وقد كان عمرو بن كلثوم من أبرز شعراء العصر الجاهلي الذين برعوا في غرض الفخر وبلغوا فيه ما لم يبلغه غيره من شعراء عصره .

وكون الحياة في الجاهلية قائمة على الحروب مدة طويلة والسلم حينا، جعل الفخر يتطور فيدلي الشعراء بانتصاراتهم وبطولات قبائلهم، لتضرم نار الثأر في نفوس القبائل المتعادية وتزداد روح الحمية والدفاع عن أنفسهم والثأر لموتاهم، ومثال ذلك ما قاله أحد شعراء العصر الجاهلي:

رويْدَك بَنِي شَيْبَانَ بَعْضُ وَعِيدَكُم تَلاقُوا غَدًا خَيْلِي على سَفْوَانَ

عليها الكُمَاةُ الغُرُّ مِنْ آلِ مَازِنٍ لُيُوثٍ طِعَانٍ عند كُلِّ طِعَانِ

[1] المرجع نفسه، ص 05 .

[2] حسني عبد الجليل يوسف، الأدب الجاهلي، مؤسسة المختار للتوزيع والنشر، القاهرة، ط1، 2001، ص 79 .

إذا اسْتُنْجِدُوا لم يَسْأَلُوا مَنْ دَعَاهُم لِأَيَّةِ حَرْبٍ أم بأَيِّ مَكانِ [1].

ويقول عمرو بن كلثوم في معلقته:

وأيَّامٌ لنا عن طِوَالٍ عَصِينَا الْمُلْكَ فيها أنْ نَدِينَا

وسَيِّدُ مَعْشَرٍ قد تَوَّجُوهُ بِتَاجِ الْمُلكِ المحْجَرِيناَ [2].

ويقول:

ورِثْنَا مَجْدَ عَلْقَمَةَ بنْ سَيْفٍ أَبَاحَ لنا حُصُونَ المجَّدِدِينَا

ورِثْتُ مُهَلْهِلَا والخيْرُ منه زُهَيْرَا نِعْمَ ذُخْرَ الذَّاخِرِين

و عِنَّابَا و كُلْثُوما جميعًا بهم نِلْنَا تراثَ الأَكْرَمِين

وذا البرةُ الذِي حَدَّثَتْ عَنْه فأيُّ المجْد إلا قد وُلِينَا [3].

هذا من نماذج الفخر القبلي، أما الفخر الذاتي، فما أكثره في الشعر الجاهلي، وهو امتداد للفخر القبلي، لأن الشاعر ما هو إلا جزء لا يتجزأ من قبيلته، ومثاله قول طرفة بن العبد:

ولسْتُ بِحَلَّالِ التِّلَاعِ مَخَافَةً ولكِنْ متَى يَسْتَرْفِدُ القَوْمُ أَرْفُدِ

فإن تَبْغِنِي في حَلْقَةِ القَوْم تَلقَنِي وإنْ تَلتمِسْنِي في الحَوَانِيتِ تَصْطَدِ

متى تَأْتِنِي أَصْبَحْك كَأسًا رويَّةً فإنْ كنتَ عنْها ذا غِنًى فاغْنَ وازْدَدِ [4].

[1] غازي طليمات-عرفان الأشقر، الأدب الجاهلي، ص 148 .

[2] عمرو بن كلثوم ، الديوان ، تح:اميل بديع يعقوب دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1996، ص 70 – 71 .

[3] المصدر نفسه، ص: 81 – 81 .

[4] طرفة بن العبد ، الديوان ،تح: عبد الرحمان المصطاوي ص 31 – 32 .

وهناك مواضيع كثيرة افتخر بها شعراء العصر الجاهلي، لا يمكن لمثل هذا البحث أن يلم بها، وما يمكننا قوله أنه ضم كل الشيم والأخلاق الحميدة التي تحلى بها العربي في جاهليته.

والفخر الجاهلي كغيره من الأغراض له خصائصه التي تميزه ومنها:

- أنه لم تفرد له قصيدة، وإنما جاء جزء من القصيدة الجاهلية المتعددة الأغراض. إلا إذا استثنينا معلقة عمرو بن كلثوم في حالة ما إذا نزعنا منها تلك المقدمة الخمرية .
- الغلو والإفراط: الذي لم يستنكره الجاهليون عصرئذ. من أمثلته ما قال عمرو بن كلثوم:

مَلَأْنَا البِّرَ حتّى ضَاقَ عنَّا ونَحْنُ البَحْرَ نَمْلُؤُه سَفِينَا

إذا بَلغَ الفِطَامُ لناَ صَبِيٌّ تَخِرُّ له الجَبَابْرُ سَاجدِينَا [1].

إلا أن هذا لا ينفي عنه صفة الصدق، وخاصة في القصائد المنصفات، والتي يذكر الشاعر فيها خصمه بكل ما يتميز بم من فضائل ... إلخ

- اعتبار الفخر كمصدر من مصادر التاريخ، لأنه ذكر لنا أحداثا تاريخية في العصر الجاهلي وروى لنا قصص أبطاله، وصور لنا الحياة الجاهلية البدوية على سجيتها في حروبها وسلمها وحلها وترحالها ... إلخ .
- يمثل الفخر قمة التوتر العاطفي للشاعر.
- البراعة في الوصف، مما يؤدي إلى حركية الأحداث، وكأننا نعيشها.

[1] عمرو بن كلثوم ، الديوان ، تح:اميل بديع يعقوب ص 91 .

- استعمال الألفاظ القوية والمدوية المناسبة لهذا الغرض مثل الدم، السيف، نطعن ... إلخ [1].

ومن خلال ما قلنا يظهر لنا الفخر في العصر الجاهلي وكأنه يرتدي حلة من حلل الشعر الملحمي .. إن صح التعبير.

د- المدح: " وهو الثناء على ذي شأن بما يستحسن من الأخلاق النفسية، كرجاحة العقل والعفة والعدل والشجاعة،، وأن هذه الصفات عريقة فيه وفي قومه، وبتعداد محاسنه الخلقية" [2]. وهو غرض من أغراض الشعر القديمة التي يعمد فيها الشاعر إلى ذكر مناقب الممدوح لعدة أسباب إما لشكر أو إعجاب أو تكسب لذا فهو يعد " فن الثناء وتعداد مناقب الإنسان الحي وإظهار آلائه وإشاعة محامده وفعاله التي خلقها الله فيه بالفطرة، والتي اكتسبها اكتسابا والتي يتوهمها الشاعر فيه " [3].

والمدح -عموما- موجه إلى عليّة القوم، لأنهم هم المعنيون بأمور القبيلة " وقد كان الشعراء يطرئونهم ويذيعون أعمالهم في العرب، ويساعدون بذلك على مد سلطانهم " [4].

و المدح بهذا المعنى يصور لنا قدرة الشاعر على الإبداع وعلى ذكر مناقب الممدوح رغم أن النفس البشرية جبلت على حب ذاتها إلى حد المبالغة، إلا أن الشاعر الجاهلي استطاع التخلص من هذه الأنانية، والذهاب إلى ذكر محاسن الغير إلى درجة الغلو أحيانا لأسباب سالفة الذكر ،من ذلك قول دريد بن الصمة:

---

[1] ينظر غازي طليمات-عرفان الأشقر، الأدب الجاهلي، ص 156 – 157 – 158 .

[2] أحمد الهاشمي، جواهر الأدب، ص 25 .

[3] غازي طليمات-عرفان الأشقر، الأدب الجاهلي، ص 160 .

[4] حسني عبد الجليل يوسف، الأدب الجاهلي ، ص 249 .

يا آلَ عَدْنَانَ سِيرُوا واطْلُبُوُا رَجُلًا مثالُه مثْل صَوْتِ العَارِضُ الْمُصِرُّ

قد جَدْ في هَدِّ بَيْتِ اللهِ مُجْتَهِدًا بعَزْمه مثْلُ وقْعِ الصَّارِمِ الذِكْرُ[1].

و من خلال غرض المدح تظهر لنا شخصية الممدوح جلية وكذا شخصية المادح نفسه ومن المؤسف أنه قد نزعت عن شعر المدح صفة الموضوعية، حيث أصبح مهنة يتكسب بها الشعراء، ليخرج بذلك فن المديح من المهمة السامية المنوطة له، فأصبح الشعراء يتسابقون على أبواب الملوك ليغدو الشعر " صناعة يبيعها الشعراء على أعتاب الملوك والزعماء. وأدرك هؤلاء أثر الشعر في تحقيق أهدافهم، فقربوا الشعراء وأغدقوا عليهم المال، خاصة المناذرة والغساسنة، ففتحوا قصورهم للشعراء الذين تنافسوا في مدحهم واستطابوا ترف العيش " [2]. ومن هؤلاء الشعراء الذين تكسبوا بشعرهم الأعشى حيث اتخذ منه حرفة.

ومن الشعراء الذين مدحوا غيرهم من أجل المدح زهير بن أبي سلمى، والذي أبدع في مدح " هرم بن سنان و" الحارث بن عوف " اللذين سعيا في الصلح بين عبس وذبيان يوم حرب السباق، حيث حقنا الدماء وتحملا الديات " [3] فقال:

فأقْسَمْتُ بالبَيْتِ الّذِي طَافَ حَوْلَه رِجَالٌ بَنُوه مِنْ قُرَيْشٍ وجَرِّهم

يَمِينَا لنِعْمَ السَّيِدَان وجَدَّدْتُما على كُلِّ حَالٍ مِنْ سَحِيلٍ ومُبْرَمِ

[1] المرجع نفسه، ص 249.

[2] سراج الدين محمد، المديح في الشعر العربي، دار الرتب الجامعية، بيروت، لبنان، (د ط)،(د ت)، ص 07 .

[3] المرجع السابق ،ص: 09 .

تَدَارَكْتُما عَبْسَا وذُبيَانَ بَعْدَمَا تَفَانُوا ودَقُّوا بينَهمْ عِطْرَ مَنْشَمِ[1]

ويدخل ضمن فن المديح الاعتذار، والذي نبغ فيه النابغة الذبياني في اعتذارياته للنعمان ليزيل عنه الهم والحزن الذي لحقه، لنجد في طيات ذلك مدح للنعمان من ذلك قوله:

أنت شمسٌ والمُلوكُ كَوَاكِبُ إذا طَلَعَتْ لم يَبْدُ مِنْهُن كَوْكَبُ [2].

وأبرز الخصائص التي ميزت المديح في الجاهلية:

- عزوف الشعراء عن قول الشعر في فن المديح لأنه لم يكن الشاغل الأول الذي يشغل الشاعر وليست الغاية التي توجه إليها القصيدة.
- تميزه بالصدق أحيانا وأخرى بالمبالغة والغلو. " ولعل ذلك مردود إلى أن الصدق عند الشاعر لا يعني نقل الحقيقة القادرة على اظهارها بقسمات مؤثرة ممتعة "[3].

هـ – الرثاء: هو " تعداد مناقب الميت، وإظهار التفجع والتلهف عليه، واستعظام المصيبة فيه" [4]. وبذلك يمكن القول أن الرثاء هو مدح – إن صح التعبير – لكن الفرق بينهما كون المدح يكون بذكر مناقب الأحياء، أما الرثاء فهو يكون بذكر مناقب الأموات. ومن ذلك قول ابن رشيق " وليس بين الرثاء والمدح فرق إلا أنه يخلط بالرثاء شيء ليدل على أن المقصود به ميت " [5].

---

[1] زهير بن أبي سلمى، الديوان، تح: حمدو طماس، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، 2005، ص66.

[2] ، النابغة الذبياني، الديوان ،تح: حمدو طماس دار المعرفة، بيروت لبنان، ط2، 2005 ،ص 20 .

[3] غازي طليمات–عرفان الأشقر، الأدب الجاهلي، ص 177 .

[4] أحمد الهاشمي، جواهر الأدب، ص 25 .

[5] غازي طليمات–عرفان الأشقر، الأدب الجاهلي، ص 194 .

والرثاء ينبع من نفس حزينة منكسرة، عاجزة عن فعل أي شيء، لتتغلب به هذا الوحش المتمثل في الموت، مما يضفي عليه الصدق في المشاعر النابع عن إخلاص ووفاء للمرثي ،ويرى شوقي ضيف في كتابه العصر الجاهلي أن الرثاء ما هو إلا تعويذات للميت حتى يطمئن في قبره.

ووقوف الناس عاجزين حائرين في كيفية تخطي عقبة الموت، على الرغم من قوتهم وبأسهم في مواجهة أخطار الحروب وأخطار المفاوز وأهوالها، أدى بالشعراء إلى قول الحكم في الموت والحياة. كما راحوا يدعون غيرهم إلى التزيد من ملذات الدنيا التي تنتهي بالموت. والتي وجدها طرفة بن العبد محصورة في ثلاث أشياء: النساء والخمر والفروسية حيث قال:

ولولَا ثَلاَثٌ مِنْ عِيشَةِ الفَتَى وجَدِّك لم أَحْفَلْ متَى قَامَ عُوَّدِي [1]

لهذه الأسباب تميز الرثاء بالعاطفة الصادقة الصادرة عن نفس حزينة أمام المصاب الجلل الذي حل بها بفقدان شخص عزيز عليها.

ومن الشعراء الذين أبدعوا وبرعوا في الرثاء نذكر الخنساء التي أبدعت في مراثيها لأخويها معاوية وصخر أيما إبداع –في جاهليتها– لأنها بمجيء الإسلام ودخولها فيه، فقدت أبنائها الأربعة إلا أنها لم تقم برثائهم، حيث تقول في حق أخيها صخرا :

أَعَيْنَيَ جُودَا ولا تَجْمُدَا ألَا تَبْكِيَان لصَخْرَ النَّدَى؟

ألا تَبْكِيَانِ الجَرِيءَ الجَمِيلَ ألَا تَبْكِيَان الفَتَى السِّيدَا؟

[1] طرفة بن العبد ، الديوان ،تح: عبد الرحمان المصطاوي ،ص 33 .

فَنَالَ الذي فوْق أَيْدِيهِم مِنْ مَجْد ثم مَضَى مُصْعِدَا [1].

كما لا يفوتنا المرور على مراثي الزير سالم عند مقتل أخيه كليب حيث قال:

أَهَاجَ قِذَاءَ عَيْنِي الأَذْكَارَ هُدُوءَ فَالدُّمُوعِ لها انْحِدَارُ

وصارَ اللّيْلِ مُشْتَمِلًا علينَا كَأَنَّ اللّيْل ليسَ له نَهَار

ويقول في موضع آخر:

كليبُ لا خَيرَ في الدُنْيَا وما فيها إنْ أَنْت خَلَّيْتَها في مَنْ يُخَلِّيهَا [2].

والحديث عن رثاء المهلهل لأخيه، وما جرى من حروب وسفك للدماء يطول، وهو أكثر من أن يحويه هذا البحث.

أما فيما يخص ما يحويه غرض الرثاء في العصر الجاهلي من ميزات وخصائص نذكر:

- تشبه خصائص الرثاء بخصائص المدح، لأن كلا الغرضين يعد مدح، إلا أن الأول مدح للأموات، والثاني مدح للأحياء.
- لم تفرد له قصائد خاصة إلا نادرا في مراثي النساء.
- غياب المقدمة الطللية عن قصائد الرثاء.
- التعلق بالحياة، فالشاعر الجاهلي لخوفه من الموت كان شديد التعلق بهذه الحياة والإسراف في طلب ملذاتها.

[1] الخنساء ،الديوان، تح: حمدو طماس، ، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، 2004، ص 31 .

[2] فؤاد أفرام البستاني، الشعر الجاهلي، المطبعة الكاثوليكية، (د ط)، 1938، ص 25 .

- جاءت ألفاظه واضحة بعيدة عن التصنع والتكلف، لأنه نابع عن عاطفة صادقة. و لأن الشاعر لم يكن همه ما يقول في ذلك الوقت، وإنما كان يسعى للتعبير عن مدى حزنه وما يخالجه من أسى على فقدان المرثي.
- ندرة رثاء الشعراء للميتات من النساء، لأن الجاهلي حريص على ظهوره في مظهر الصبر والتجلد.
- اشراك عناصر الطبيعة في الحزن على الميت، لأن الإنسان يأكل من خيراتها (الأرض) ثم يؤول إليها [1].

و– الهجاء: وهو عكس المدح، لأنه إذا كان المدح هو الثناء الحسن على الغير فإن الهجاء هو ذم الغير بصفات خُلقية أو خِلقية. وفيه " يتناول الشاعر بالذم والتشهير بعيوب خصمه المعنوية الجسمية " [2]. وهو سلاح من أسلحة الدفاع عن النفس والقبيلة شأنه في ذلك شأن الفخر، وهو ما ثبت عن النبي –صلى الله عليه وسلم– عندما قال لحسان بن ثابت اهجهم لشعرك أشد عليهم من وقع السهام. ومن هنا يمكن القول أن الهجاء سلاح ذو حدين بالنسبة للشاعر الجاهلي، لأنه يستطيع به ضر عدوه، وفي الوقت نفسه يستطيع أن ينفع به نفسه أو قبيلته ورد الاعتبار إليها، لذلك هو وجهان لعملة واحدة [3]. " وفي أخبارهم .

[1] غازي طليمات–عرفان الأشقر، الأدب الجاهلي،ص 204 – 205 .
[2] المرجع نفسه ، ص 179 .
[3] حسني عبد الجليل يوسف، الأدب الجاهلي، ص 99 .

—الشعراء الجاهليين– أن الشاعر إذا أراد الهجاء لبس حلة خاصة ولعلها كحلل الرهبان وحلق رأسه وترك له ذؤابتين ودهن أحد شقي رأسه، وانتعل نعلا واحدة، ونحن نعلم أن حلق الرأس كان سننهم في الحج، وكأن شاعر الهجاء كان يتخذ نفس الشعائر التي يصنعها في حجه، وأثناء دعائه لربه أو أربابه، حتى تصيب لعنات هجائه خصومه بكل ما يمكن من ألوان الأذى وضروب النحس المستمر "[1].

لذلك تجدهم يحسبون للشعراء ألف حساب خوفا من هجائهم. ومنها ما روي بأن " الحارث بن ورقاء الأسري أغار على عشيرة زهير واستاق فيما استاق ابلا له وغلاما، فنظم زهير أبيات من الهجاء المقذع في حقه يتوعده فيها قائلا:

ليأتينك مني منطق قذع باق كما دنس القبطية الودك

ففزع الحارث ورد عليه ما سلبه " [2].

وبذلك يتراءى لنا جليا أثر الهجاء في العصر الجاهلي، وقد قال شوقي ضيف بأن الجاهليين بكوا بكاء مرا بسبب الهجاء. ولأنه كان هناك أسواق يعرض فيها الجاهليون أشعارهم والتي من أهمها سوق عكاظ، أنشدوا فيها حتى أهاجيهم لتذيع بين الناس ثم تناقلوها، ومن ثم يتحقق مبتغاهم في إلحاق الخزي والعار بمهجويهم، ومن ذلك قول راشد بن شهاب اليشكري لقيس بن مسعود الشيباني:

ولا تَوْعِدَنِّي أَنَّنِي إنْ تُلاَقِي مَعِي مُشْرِفِي في مُضَارِبُه قَضْمُ

[1] شوقي ضيف، العصر الجاهلي، ص 197 .

[2] المرجع نفسه ،ص 197 – 198 .

وذَمّ يُغْشَى المرْءُ حُزْنَا ورَهْطُه لدى السِّرْحَة الغِشَاءُ في ظِلِّها الأَدَمُ

والمواضيع التي كان يدور حولها الهجاء هي كل ما يناقض المثل العليا في المجتمع الجاهلي كالبخل والجبن والخيانة ... إلخ. بمعنى آخر كل الخصال التي لا تنضوي تحت لفظية المروءة، وربما كان المهجو غير ما قيل فيه، إلا أن ما ذاع بين الناس ينفي عنه ذلك. لأن الشعراء لم يقفوا شعر الهجاء عند هذا الحد فحسب، بل قذفوا الأعراض وطعنوا في الأنساب [1].

وللهجاء دور كبير في توجيه الحياة العربية والمحافظة على القيم، فهو الفن الذي يقود حركة المجتمع، وهو الذي يكشف زيف الناس، ويقوم الانحراف، ويتتبع الفساد أنى كان. ولهذا نستطيع القول أن الشاعر في هجائه يشبه الشرطي الذي يردع الناس عن اختراق القانون.فهو بذلك (الهجاء) يؤدي وظيفة اجتماعية تكمن في الردع. ولكنه قد يؤذي الغير.

وأسباب الهجاء تكمن في الدفاع عن النفس بالدرجة الأولى والدفاع عن القبيلة ذلك أن الحياة السياسية لم تكن مستقرة عصرئذ لكثرة الحروب فيها. أما فيما يخص التكسب بالهجاء فهو قليل في العصر الجاهلي "وغاية ما يفعله الشاعر المتكسب -إذا كان التكسب بالهجاء ممكنا -أن يهدد من عدا عليه وعلى حقه فيرده له وأن يشوب مدح الممدوح بشيء من التعريض بخصومه وليكون شعره أفعل في نفس الممدوح فيزيد في جائزته " [2].

وأهم سبب يقف فيه الشاعر هاجيا هو طلب الثأر للنفس أو القبيلة. وهذا الأخير هو أساس الحياة في العصر الجاهلي.

[1] ينظر: المرجع السابق، ص 201 .

[2] غازي طليمات-عرفان الأشقر، الأدب الجاهلي، ص 180 .

ولأن الهجاء ما هو إلا تعبير عن عاطفة السخط والغضب تجاه شخص تبغضه النفس، أو جماعة يراد الانتقام منها، لذلك فالشاعر الهاجي ينفس بأهاجيه عما يختلج في صدره من ضغائن وأحقاد، وأقوى ما يكون هذا اللون من الهجاء حين يهاجم به الملوك والدول التي تحاول بسط سلطانها على من جاورها من القبائل، ومن أمثلة ذلك ما قاله الغلام القتيل

-طرفة بن العبد- في الملك عمرو بن الهند [1]:

فليْتَ لنا مكَانَ الملِكِ عَمْرٍو رغُوثًا حوْل قُبَّتِنَا تَخُورُ

منَ الزَّمُراتِ أسْبلَ قَادِمَاهَا وضَرَّتُها مُرَكّنَةُ دَرُورُ

يشَارِكنَا لنا رِخْلاَن فيها وتَعْلُوها الكِبَاشُ فما تَنُورُ

لعمْرُك إنَّ قَابُوسَ بن هِنْدٍ ليَخْلُطُ مُلْكَه نُوكٌ كَثِيُر

قَسَمْتَ الدَّهْرَ في زَمَنٍ رخِي كَذاك الحُكْمُ يُقْصَدُ أو يجورُ

لنا يومٌ وللكَروانِ يومٌ تَطِيرُ البَائِسَاتُ ولا نَطِيرُ [2]

وهجاء طرفة لهذا الملك ما هو إلا ردة فعل ضد ظلم عمرو بن هند لرعيته. وقد تميز الهجاء بعدة خصائص نلخصها فيما يلي:

- عدم تفرده بقصيدة واحدة، لأن كل القصائد الجاهلية مزيج من مجموعة أغراض.
- ضآلة الأبيات المقولة في الهجاء، مما جعله سهل الحفظ وسهل العلوق في الأذهان.
- اتخاذ الهجاء كوسيلة ردع ودفاع عن النفس والقبيلة.

[1] حمدي منصور، مجلة جامعة النجاح للأبحاث، 2006 ،ص 429 .

[2] طرفة بن العبد ،الديوان ،تح: عبد الرحمان المصطاوي، ص 45 .

- الصدق والواقعية: لقد كان شعراء العصر الجاهلي لا يصفون الرجل إلا بما فيه دون اللجوء إلى المبالغة والغلو، لأن أهاجيهم كلها تدور حول كل ما يشين وينقص من مكارم الأخلاق وليس من مصلحتهم الكذب وقول الزور، والافتراء على الناس.

- الهجاء تنديدا بالرذائل، لذلك لا نجد في أهاجيهم، لا فحشا ولا بذاءة ولا غير ذلك مما تأنف الآذن سماعه، كالذي نجده في العصرين الأموي والعباسي، وإن وجد مثل هذا في هجاء الجاهليين فإن الحكم يكون على الشاعر لا على من قيل في حقه [1]. " فالشاعر الجاهلي يهجو ليصلح فاسدا، ويقوم منحرفا، ويدفع عن نفسه البغي وعن قبيلته الهوان. لذلك حرص على نقد المخازي الخلقية من لؤم وشح وجبن. لأن هذه المخازي منابت الأذى وجذور الشر. إذا ورد في هجائه شيء من عيوب الجسد أورده مقرونا بما يدل عليه من نقص في النفس "[2].

ز- الحكمة: وفي ثنايا القصائد الجاهلية، إن لم نقل كل –نجد أبيات في الحكمة- والحكمة هي: " تلخيص الفكر العميق باللفظ الدقيق في دلالته على المعنى، تضمين الأبيات القليلة معاني جليلة، درج العرب على تسميتها جوامع الكلم "[3].

ومن أهم المواضيع التي دارت حولها الحكمة في العصر الجاهلي: الموت والحياة حتى أن لهم فيها أبيات لا تحصى. ومن ذلك في الموت قول طرفة بن العبد.

---

[1] ينظر غازي طليمات-عرفان الأشقر، ص 191 .

[2] المرجع السابق، ص 192 .

[3] المرجع نفسه، ص 208 .

أرَى الموتَ يعْتَامُ الكِرَامَ ويَصْطَفِي عَقِلَيةِ مَالِ الفَاحِشِ الْمُتَشَدِّدِ

أرَى العَيْشَ كَنْزًا نَاقِصَا كُلَّ ليلةٍ وما تَنْقُصُ الأَيَّامُ والدَّهْرُ يَنْفَذِ

ولعمرُك إنَّ الموتَ ما أخْطَأَ الفَتَى لكا الطِّوَلِ الْمُرْخَى وثِنْايَاه باليَدِ

متى ما يَشَأ يومًا يَقُدْه لِحَتْفِه ومنْ يَكُ فِي حَبْلِ المَنِّيَةِ يُنْقَدِ [1]

وقول زهير بن أبي سلمى:

رَأَيْتُ المَنَايَا خَبْطَ عَشْوَاء منَ تُصِبْ تُمِتْهُ ومنْ تُخْطِئْ يُعَمِّرْ فيَهْرَمِ

ومنْ هَابَ أَسْبَابَ الْمَنَايَا يَنَلْنَهُ وإنْ يَرْقَ أَسْبابَ السَّمَاءَ بِسُلَّمِ [2].

لـذلك كـان الشـاعر حكـيم قومـه، والنـاطق باسمهـا في ذلـك العصـر. والحكمـة أنجبتهـا تجربـة الشـاعر الشخصـية في هـذه الحيـاة. ومـن أمثلـة ذلـك تلـك الحكـم الـتي صـدرت عـن نفـس أحسـت بـالظلم مـن أقـرب النـاس إليهـا، هـي نفـس طرفـة بـن العبـد الـتي عانـت مـن ظلـم الأعمام فيقول:

وظُلْمُ ذَوِي القُرْبَى أَشَدُّ مَضَاضَةً على النَّفْسِ مِنْ وَقْعِ الحُسَامِ المهَنَّدِ [3]

وقوله: سَتُبْدِي لك الأَيّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلًا ويَأْتِيك بالأَخْبَارِ مَنْ لم تُزَوَّدِ

وقد دارت حكم الجاهليين حول موضوع المال أيضا، وهذا طرفة بن العبد يقول فيه:

[1] طرفة بن العبد، الديوان، تح: عبد الرحمان المصطاوي، ،ص34 – 35 .

[2] زهير بن أبي سلمى، الديوان، تح: حمدو طماس، ص 70 .

[1] طرفة بن العبد ، الديوان ،تح :عبد الرحمان المصطاوي، ،ص 36، 34 .

أرَى قَبْرَ نَحَّامٍ بَخِيلٍ بمَالِه كَقَبْرِ غَوِيٍّ في البِطَالةِ مُفْسِدِ[1]

ويقول عروة بن الورد الشاعر الصعلوك عن المال:

إذا المرَءُ لم يَطلبْ مَعَاشًا لنَفْسِه شَكَا الفَقْرَ ولامَ الصَدِيقَ فَأَكْثَرَا [2]

وفي الشعر الجاهلي من الحكم ما لا يمكن لمثل بحثنا هذا أن يحويها، حتى أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: " إن من البيان لسحر وإن من الشعر لحكما "[3]

وقد تميزت الحكمة في العصر الجاهلي بالوضوح والبعد عن الغموض، والغريب من الألفاظ، لبعدها عن مظاهر الحياة الصحراوية بكل ما تحويه ،كما أن الحكمة نابحة عن تجارب شخصية للشاعر .

المبحث الثاني: خصائص الشعر الجاهلي .

إن الشعر الذي اعتلى عرش الخلود – إن صح التعبير– مثل الشعر الجاهلي لا بد أن يكون له طابع خاص به، يميزه وخصائص تفرده عن غيره. و أن هذا النوع من أساليب التعبير لابد أن يكون له قوالب و صيغ ترفع من قيمته في نظر أصحابه و نظر الآخرين .

لذلك فإن للشعر الجاهلي خصائصه التي تميزه عن غيره، فهو بحق أوثق المصادر الأدبية في أخذ اللغة بعد القرآن الكريم . فالشاعر الجاهلي لم يكن يفرض إرادته الفنية على الأحاسيس و الأشياء، بل كان يحاول نقلها إلى لوحاته نقلا أمينا يبقى فيه على صورها

1 المصدر نفسه،ص38.

[2] عروة بن الورد ، ديوان أمير الصعاليك ،تح:أسماء أبوبكر محمد، ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،(د ط) ، 1998م،ص 77.

[3] حسني عبد الجليل يوسف، الأدب الجاهلي، ص 57 .

الحقيقية بدون أن يدخل عليها تعديلا من شأنه أن يمس جواهرها، و من أجل ذلك كان شعره وثيقة لمن يريد أن يعرف حياته وبيئته .

وقد ظل الشعر الجاهلي بين أيدي الرواة يتناقلونه شفاهيا مدة طويلة إلى أن جاء عصر التدوين، مما أدى بالكثيرين إلى التشكيك في صحته، لما لحقه من انتحال، ومنهم طه حسين في كتابه "في الأدب الجاهلي" حتى أنه ذهب بفكره أن يرفض رفضا قاطعا صلاحية الشعر الجاهلي. وكرد عليه فإن هذا وإن وجد _انتحال الشعر- بالفعل، يعد من المسائل الجزئية الهامشية و الواردة الحدوث. أما ابن سلام الجمحي قد أولى قضية انتحال الشعر الجاهلي عناية خاصة في كتابة طبقات فحول الشعراء، حيث قال "وفي الشعر مصنوع مفتعل موضوع كثير لا خير فيه"[1]. و"ولا صحة في عربيته ولا أدب يستفاد ولا معنى يستخرج ولا مثل يضرب ولا مديح رائع ولا هجاء مقذع ولا فخر معجب ولا نسيب مستطرف."[2] و فكرة انتحال الشعر كانت معروفة قبل ابن سلام إلا أنه استطاع أن يعرضها فأحسن عرضها بأن بينها وبين أسبابها، واقترح حلولا لتفاديها فأحسن في ذلك وأجاد[3]. ومن الأسباب التي عرضها نذكر منها أن تداوله كان من كتاب لكتاب وعدم أخذهم عن أهل البادية، و القصاص و أصحاب التراجم أمثال محمد بن إسحاق بن يسار ورواية الشعر في غير أهله ...الخ ومن الحلول التي ذكرها ابن سلام: أن يؤخذ الشعر من

[1] منير سلطان، ابن سلام وطبقات الشعراء، منشأة المعارف، الإسكندرية، (د ط)، (د ت)،ص187.

[2] المرجع السابق، ص189.

[3] ينظر: طه أحمد إبراهيم، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، (د ط)، (د ت)، ص85.

أهل البادية، و أهل العلم ...الخ. وتعتبر قضية النحل و الانتحال من خصائص الشعر الجاهلي، لأنه لم يتهم بها إلا الشعر الجاهلي .

ومن خصائص الشعر الجاهلي، تعدد موضوعات قصائده. و التي عادة ما تفتتح بمقدمة طليلة، حيث يقف فيها الشعراء ويبكون الديار و الظائعن. والأطلال ماهي إلى بقايا لقبائل رحلت عن المكان بحثا عن الماء و الطعام ... و عبارة عن النؤى وهذه الأخيرة هي الحفر التي تقام حول الخيمة أو المكان منعا من تسرب الماء إليها، و الأوتاد وحجارة المواقد...الخ وعند مرور الشاعر بها يتذكر أحبابه فيها وما كان من أيامهم، فيبكيهم حتى أنه أحيانا ينادي من يبكي معه[1] . يقول امرؤ القيس:-

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ و مَنْزِلِ بِسِقْطِ اللِّوَى بيْن الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ[2]

لتصبح فيما بعد ظاهرة من الظواهر المميزة للقصائد الجاهلية، حتى أننا نستطيع القول أنه لم تخل أية قصيدة جاهلية من البدء بالوقوف على الأطلال، ولا سيما المعلقات و التي تعد من أنفس الشعر الجاهلي لما قيل من أنها كتبت بماء الذهب و علقت على أستار الكعبة على رغم ما في هذا الكلام من غرابة – ونستثني منها معلقة عمر بن كلثوم الذي افتتح معلقته بمقدمة خمرية فقال:-

ألا هُبِّي بصَحْنِك فَأصْبِحِينا ولا تُبْقِي خُمُورَ الأَنْدَرِينا[3]

[1] ينظر: دزيرة سقال، العرب في العصر الجاهلي، دار الصداقة العربية، بيروت لبنان، ط1، 1995، ص146.

[2] امرئ القيس، الديوان، تح:عبد الرحمان المصطاوي دار المعرفة، بيروت لبنان، ط2، 2004، ص21.

[3] عمرو بن كلثوم، الديوان،تح: اميل بديع يعقوب، ص64.

وبـذلك أصـبحت المقدمـة الطليلـة، مـن أهـم مميـزات الشـعر الجـاهلي، لأنهـا غـدت مسـتقرة في وجدان الجماعة و مألوفة[1] .

ثم يذهب الشاعر إلى غرض آخر ألا وهو الوصف، فيصف رحلته و راحلته وصفا دقيقا –كما سبق و أن أشرنا – ثم ينتهي به المطاف إلى بقية الأغراض من فخر و مدح و هجاء... إلى أن يختم قصيدته بالغرض الذي من أجله قال قصيدته.

– شـفوية الشـعر الجـاهلي:– لأن الشـعر الجـاهلي لم يـدون إلا بعـد مـدة طويـة، ولم تثبـت كتابتـه إلا في العصـر العباسـي، جعلـه عرضـة للانتحـال كمـا سـبق الـذكر– وحـتى أسـطورة كتابـة المعلقـات أمـر فيـه نظـر. ممـا جعـل هـذا الشـعر عرضـة لتكـرار ألفاظـه بـين الشـعراء[2] .

– إن أبيـات القصـيدة الجاهليـة عبـارة عـن مقطوعـات لا تتصـل ببعضـها الـبعض، وهـي بـذلك تشـبه حيـاة الشـاعر الجـاهلي، الـتي لا تعـرف الاسـتقرار، لأن "أكثـر شـعراء الجاهليـة عاشـوا في بيئـة قلقـة مضـطربة لا تسـتقر علـى حـال ولا يهـدأ فيهـا بـال. فتقطعـت أوصـال العبقريـة الشـعرية ،و راحـت ترسـل الأبيـات مسـترقة الوقـت اسـتراقا ، متنفسـة تنفسـات متقطعـة إلا عنـد بعـض الشـعراء الـذين ملكـوا زمـام أوقـاتهم، و أتاحـت لهـم فرصـة حيـاتهم أن يطيلـوا و يسـهبوا في الإطالة الشعرية مثل امرئ القيس و النابغة الذبياني و زهير بن أبي سلمى"[3] .

[1] ينظر: دزيرة سقال، العرب في العصر الجاهلي، ص150.

[2] ينظر فضل بن عمار العماري، النظم الشفوي في الشعر الجاهلي، دار الأصالة للثقافة و النشر، ط1، 1984، ص36.

[3] حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب، ص153.

– خضوع الشعر الجاهلي لقانون الانفعالية الطارئة، فالشاعر يقول الشعر تبعا لانفعالاته و حالته النفسية، و مثاله طرفة بن العبد عند وصفه لعوجائه المرقال يحدثك أولا عن سرعتها واندفاقها التلقائي السريع، ثم يعود فيحدثك عن ضربه لها حتى تسرع و تشتد في السرعة. وهذه الانفعالية تؤدي إلى الفتور، لذلك نجد الشاعر يستعين بالتضخيم و الإكثار من النعوت و الألفاظ لتعويض ذلك النقص.

– النزعة الانفرادية القبلية:– وهي نزعة فطرية في نفس الشاعر الجاهلي، حتى أنه لا يرى غير نفسه، لينتج عنه تضخم الأنا، فيقف الشاعر مفتخرا بنفسه و ما يتحلى به من صفات المروءة، لذلك غدا الشعر الجاهلي في معظمه و صف لنفس قائله ومعبرا عن شعوره، حتى أن نزعته الانفرادية تظهر جلية في إطار الجماعة، حيث لون شعره كله بهذه النزعة. أما الشعراء المنبوذين و هم الصعاليك فذاتهم الفردية هي المسيطرة على أشعارهم، و ذلك لانقطاعهم عن قبائلهم و تخليهم عنها [1].

فهذا عمر بن كثوم لم يستطع التخلص من ذاتيته و هو في إطار قبيلته حيث يقول:–

متَى نَنْقُل إلى قَوْمٍ رَحَانَا يكونُ في اللِّقَاءِ لها طَحِينَا[2]

وعنترة بن شداد و هو يخاطب عبلة إلا أن الذاتية ظاهرة إلى أقصى حد في قوله :

هلا سَألتِ الخَيْلَ يا ابْنَة مالِك إنْ كُنتِ جَاهِلَةٍ بما لم تَعْلَمِي

يُخَبِّرْك مَنْ شَهِد الوَقِيعَةَ أَنَّنِي أَغْشَى الوَغَى و أَعُفُّ عنْدَ الْمَغْنَمِ[3] .

[1] ينظر: المرجع نفسه ، ص157.

[2] عمرو بن كلثوم ، الديوان ،تح:اميل بديع يعقوب، ، ص72.

[3] عنترة بن شداد، الديوان، تح:خليل الخوري، ص82.

– نزعة التقليد:– إن للبيئة الصحراوية التي عاشها الشاعر الجاهلي الأثر الكبير في جعل الشاعر مقلدا أكثر منه مجددا، لأنه كثير الارتباط بماضيه وخاصة عند وقوفه على الأطلال، مما قيد خياله وكبح جماحه من التطلع إلى ما هو أحسن. وما يثبت ما قلناه، أن كل القصائد الجاهلية جاءت على نظام واحد، فما يتغير أو يتحول لأن الشاعر لم يبذل جهدا في ابتكار الجديد من المعاني والألفاظ، وغرق في الرتابة السهلة التي لا تقتضي جهدا عقليا خاصا، وبذلك أصبحت القصيدة في الشعر الجاهلي تمشي على نظام و كأنه نظام متفق عليه بين كل شعرائه، ولا يجوز لهم خرقه أو الخروج عنه[1].

–التردد على المعنى الواحد واستنفاذه:– وبما أن الشعر الجاهلي وليد بيئته ،و هذه الأخيرة ماهي إلا صحراء متشابهة المعالم، جعلت الشاعر يأتي بالفكرة أو المعنى الواحد ويطيل فيه حتى يستنفذ كل نواحيه دون أن يترك شيئا. "وهذا التردد على المعنى الواحد، لعله يعود إلى أن الخاطر قد يجول برأسه، أو تمر الفكرة بذهنه، فيلتقطها ويحاول إخراجها بتعبير شعري، وقد يجد صعوبة في ايصالها إلى أذهان الآخرين الذين لم يسبق أن عانوا تجربة مماثلة بالقوة ذاتها و التفاصيل عينها التي ترسم بها في وجدانه"[2].

وأن غاية هؤلاء الشعراء، التأثير في نفوس السامعين لأشعارهم، جنحوا إلى الصدق في تعبيرهم، فكانوا يأخذون الفكرة الواحدة ويقلبونها في شتى الاتجاهات حتى لا يتركوا فيها

[1] ينظر: حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب، ص156.

[2] سعدي ضناوي، أثر الصحراء في الشعر الجاهلي، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1993، ص27.

شيئا يقال مستعينين في ذلك بالتشبيهات المادية، فعند إحساس الشاعر بالفراغ التعبيري يلجأ إلى الفكرة ذاتها ليعبر عنها بطريقة أخرى.

-المادية:- كنا قد قلنا بأن شعراء العصر الجاهلي أكثروا من استعمال التشبيهات الحسية في أشعارهم، حيث أن هذه الأخيرة تتميز بالوضوح و البساطة التي ترجع إلى وضوح معالم الصحراء وقلة الألغاز فيها، جعله غارقا إطار المحسوس، بعيدا عن الخيال. وهذه التشبيهات تقوم على أساس ملاحظة صلة مادية بين المشبه والمشبه به [1].

فشعراء العصر الجاهلي يستقون أخيلتهم من العالم الحسي المترامي حولهم، وجعلهم تمكنهم بهذه الحسية إذا وصفوا شيئا أدقوا النظر في أجزائه، وفصّلوا الحديث فيها تفصيلا شديدا و كأنما يريدون أن ينقلوه إلى قصائدهم بكل دقائقه، وكأن الشاعر نحات لا يصنع قصيدة و إنما يضع تمثالا"[2] . وهذه المادية أكسبت الشعر الجاهلي صدقا في العواطف، ليصبح الصدق في العاطفة من أهم خصائص الشعر الجاهلي [3].

-اعتبار الشعر الجاهلي كله وصف، لأننا إذا ما نظرنا إلى قصائد الجاهلين نجدها عند الوقوف على الأطلال يصفون وفي غرض الغزل يصفون وهكذا. لذلك فالشاعر الجاهلي "لا يصف إلا ما يؤثر في نفسه مما يعايشه و يسمعه و يراه، أو مما يتوهمه فيحسه وتنطبع له صورة بليغة في خياله، أحاط بالموصوف من أظهر نواحيه، أو أحاط بناحية منه يطلبها دون

[1] المرجع نفسه، ص274.

[2] شوقي ضيف، العصر الجاهلي، ص221.

[3] ينظر: أحمد الزيات، تاريخ الأدب العربي، دار النهضة مصر، القاهرة، ص32.

غيرها، متتبعا موصوفه على الحالين، مخرجا عنه صورا حسية رابية الملمس تنقله أحيانا نقلا آليا مهدبا، وتخلقه حينا خلقا شعريا زكيا"[1]. ومن ذلك قول النابغة الذبياني في اعتذارياته للنعمان بن المنذر يقارن بينه وبين الغساسنة :-

فإنَّك شَمْسٌ و المُلُوكُ كَواكِبُ إذا طَلَعَتْ لم يَبْدُ منْهُن كَوْكَبُ[2]

وهذا لا يعني أن شعراء هذا العصر لم تكن لهم خلجات وجدانية، ومشاعر إنسانية إلا أنهم وقفوا عاجزين عن الإتيان بالمعنى المجرد بعيدا عن الإطار الواقعي المحسوس .

-الحركية الدائمة :- وهذه الحركية نجدها في قصائد الجاهلين، شبيهة بحياتهم غير المستقرة، المبنية على الحل حينا وعلى الترحال حينا آخر لذلك لم يقف الشعراء عند بكاء الأطلال بل تتبعوا ظعائن الحبيبة في رحلتها، وفي هذا التتبع نشعر بحركية ونحس بها، كما وصفوا لنا رحلاتهم التي قاموا بها . لذلك نجد أن معاني الشعر الجاهلي تمر سريعا .

-الإيجاز :- وهو خاصية أخرى من خصائص الشعر الجاهلي، وهو أنواع كثيرة نذكر منها:

أ- إيجاز القصر إذ " نجد أبياتا ضمن قصائدهم و مطولاتهم، ذات ألفاظ قليلة إلا أنها تحوي معاني كثيرة، قد تستغرق أضعاف ألفاظها التي عبر عنها بها[3] .

وبذلك يكون شعراء العصر الجاهلي قد تفطنوا، من دون أن يعوا بأن، خير الكلام ما قل و دل . ومن أمثلته قول امرئ القيس :-

[1] بطرس البستاني، أدباء العرب في الجاهلية و صدر الإسلام، دار نظير عبود، بيروت، 1989، ص41.

[2] النابغة الذبياني، الديوان،تح: حمدو طماس ص20.

[3] مختار عطية، الإيجاز في كلام العرب ونص الإعجاز، دار المعرفة الجامعية، (د ط)، (د ت)، ص53.

سَمَاحَةُ ذَا و بِرُّ ذا ووَفَاءُ ذا و نَائِلُ ذا إذا صَحَا و إذا سَكَرْ .

ووجه الإيجاز هنا أن امرئ القيس قد جمع الكثير من الصفات للممدوح في بيت واحد في حين نجد عنترة بن شداد عرض نفس المعنى في بيتين حين قال :-

فإذا شَرِبْتُ فإنّي مُسْتَهْلِكٌ مَالِي وعِرْضِي وافِرٌ لم يَكْلَمِ

و إذا صَحَوْتُ فما أُقْصِرُ عن نَدَى وكما عَلِمْتِ شَمَائِلِي وتَكَرُّمِي[1]

ب- إيجاز الحذف :- ويظهر ذلك عندما يعمد الشاعر إلى حذف حرف أو كلمة أو جملة، دون أن يخل ذلك بالمعنى ومن أمثلته قول الزير سالم، ينادي أخاه كليبا دون أن يذكر حرف النداء في قوله :-

كُلَيْبُ لا خيْر في الدُّنْيا ومَن فيها إذا أنت خَلَّيْتَها فِيمَن يُخَلِّيها

كُلَيْبُ أيُّ فَتَى عِزٌّ ومَكْرُمَةٍ تَحْتَ السَّقَائِفُ إذْ يَعْلوُك سَاقِيها[2] .

-وربما تعود خاصية الإيجاز في الشعر الجاهلي استقلالية أبيات القصيدة، كما ذهب إلى ذلك شوقي ضيف .

- الاستطراد:- وقد غلب الاستطراد على كل الشعر الجاهلي، وهو ما سماه أحدهم بالتنقل السريع و الاستطراد جاء نتيجة لتعدد أغراض أو موضوعات القصيدة الواحدة، لذلك نجده يذهب و يجئ بأفكاره من دون أن يكون بينها انسجام و تلاصق بل جاءت مفككة لا علاقة للبيت الواحد بغيره.

[1] عنترةبن شداد، الديوان، تح: أمين الخوري ص82.

[2] مختار عطية، الايجاز في كلام العرب و نص الإعجاز، ص67.

-كما سبق الذكر – لأن الشاعر الجاهلي كان يقول الشعر عفو البديهية، دون أن يمعن فيما يقوله. و أكبر مثال على ذلك وصف طرفة بن العبد لناقته و لأن شعراء الجاهلية تميزوا بطول النفس، لذلك أطالوا في قصائدهم، بحيث تسنى لهم الخروج من موضوع إلى موضوع آخر. لتصبح القصيدة معرضا يحوي موضوعات شتى و هو ما نسميه بالإستطراد[1] .

-الشعر الجاهلي شعر غنائي لأنه نشأ تحت تأثير وقع الإبل في الصحراء و الترانيم التي رددها الرعاة، مما أكسبه موسيقى خاصة به متمثلة في الوزن و القافية، إلا أن هذه الغنائية لم تنف عنه روح القصة لاسيما لدى الشعراء الصعاليك. كما تظهر القصة، في أشعارهم الموسومة بالحماسة، حيث يسردون فيها معاركهم وغزواتهم، ولذلك يمكن القول بأن معانيهم كان يسودها في بعض جوانبها ضرب من الروح القصصية... وهي روح لم تتسع عندهم، فقد أضعفتها حركتهم و ميلهم إلى السرعة و الإيجاز...فقد ظلت أشعارهم غنائية ذاتية يتغنى فيها الشاعر بأهوائه وعواطفه، غير محاول صنع قصة يجمع لها الأشخاص والمقومات القصصية وترتيبها ترتيبا دقيقا، فإن شيئا من ذلك لم يخطر بباله إذ كان مشغولا بنفسه لا يهمه إلا أن يتغنى بها و بمشاعره"[2] .

-المبالغة:- وهي نابعة من عفوية وسذاجة العقلية الجاهلية، إذ يخلط الشاعر فيها بين الخيال و الواقع المادي المحسوس فهو كثير الحلم بأحلام اليقظة.

وأكثر غرض تكثر فيه المبالغة هو غرض الفخر بأنواعه الذاتي و القبلي و المشترك ولعل خير مثال على ذلك عمر بن كلثوم في معلقته :

[1] ينظر: سعد ضناوي، أثر الصحراء في الشعر الجاهلي، ص300.

[2] شوقي ضيف، العصر الجاهلي، ص265.

ونحن الحاكِمُون إذا أَطَعْنا ونحن العَازِمُون إذا عَصِينَا

ونحن التَارِكُون لما سَخِطْنَا ونحن الآخِذُون إذا رضِينا[1]

لنا الدُّنْيَا ومَنْ أضْحَى عليها ونَبْطِشُ حين نَبْطِشُ قادِرِينا

مَلَأْنَا البِرَّ حتى ضَاقَ عنَّا ونحن البَحْرَ نَمْلَؤُه سَفِينَا

إذا بلغَ الفِطَامُ لنا صَبِيٌّ تَخِرُّ له الجَبَابِرُ سَاجِدِينَا

أما المبالغة في غرض الرثاء تظهر أيضا لكنها تختلف عن المبالغة في غرض الفخر لأنها نابعة عن نفس منكسرة ومحطمة، تقول ما تحس به فعلا أمام هذا المصاب الجلل .

وللشعر الجاهلي خصائص لفظية تمثلت في:-

-تمام التراكيب والصياغة فكل عبارة فيها تؤدي المعنى الذي سيقت له، وهو ما يصور لنا رقيا لغويا لم يحدث في أي عصر من العصور التالية له.

-وضع ألفاظه في الموضع المناسب للتعبير عن المعنى المراد، ولعل هذا راجع لخاصية التقليد في الشعر الجاهلي، لأن جل الشعراء تداولوا نفس المواضيع تقريبا لذلك نجدهم كثيرا ما يستعملون نفس الألفاظ حيث يعيدون صقلها و تهذيبها، لكي يثبت كل منهم براعته .

وقد أكثر شعراء هذا العصر من استعمال الألفاظ الغريبة ولعل مرد ذلك، بعدنا عن عصر العصر الجاهلي، فمن المؤكد أن هذه الألفاظ التي نعدها نحن غريبة لم تكن كذلك عصرئذ.

[1] عمرو بن كلثوم، الديوان ،تح:اميل بديع يعقوب، ص82-90-21.

-ولأن الشاعر كان يقول الشعر عفو البديهية والخاطر، تبعا لحالته النفسية التي يمر بها - رغم وجود شعراء قاموا بتنميق و تزيين قصائدهم لتخرج في أبهى حلة كشاعر الحوليات زهير بن أبي سلمى -قلت الزخرفة اللفظية في شعره – ولاعتماد الشاعر الجاهلي على التشبيهات الحسية كثرت في أشعارهم ألوان البيان و التي جاءت عفوا ودون قصد منهم .

المبحث الثالث : أهم شعراء العصر الجاهلي .

لقد كان الشاعر إبان العصر الجاهلي، الناطق باسم القبيلة ولسان حالها، حيث كان له أثر عظيم في نفوس العرب وقد حظي بمكان سام ودرجة رفيعة بين أبناء قومه .

وقد يكون الشاعر كاهنا لاعتقادهم بأنه لكل شاعر شيطانا أو تابعا من الجن يوحى إليه الشعر... لذلك نشط الشعراء بالقيام بمهامهم، كلما دعت الضرورة لذلك [1].

وقد كان العرب قديما كلما نبغ فيها شاعر" أتت القبائل فهنأتها، وصنعت الأطعمة، و أتت النساء يلعبن بالمزاهر كما يصنعن في الأعراس، و يتباشر الرجال و الولدان لأنه حماية لأعراضهم، و ذب عن حياضهم و تخليد لمفاخرهم، وإشادة بذكرهم، وكانوا لا يهنئون إلا بغلام يولد، أو شاعر ينبغ، أو فرس تنتج"[2].

-وقد ظهر الكثير من الشعراء في العصر الجاهلي، ولعل أشهرهم أصحاب المعلقات، وهذه الأخيرة هي من عيون الشعر الجاهلي، وقد اختلف في سبب تسميتها بالمعلقات وفي عددها إلا أن أكثرهم أجمعوا على أنها سبعة و أصحابها على التوالي :- امرؤ القيس، طرفة

[1] ينظر: بطرس البستاني، أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، ص39.

[2] أحمد الهاشمي، جواهر الأدب، ج2، ص27.

بن العبد، زهير بن أبي سلمى، عنترة بن شداد، لبيد بن ربيعة، عمر بن كلثوم و أخيرا الحارث بن حلزة[1]، وسنتعرض لكل واحد منهم لجزء من حياته وخصائص شعره و ذكر نموذج له. و سنضيف عليهم: النابغة الذبياني و الشنفرى و الخنساء.

أولا– امرؤ القيس:– هو امرؤ القيس بن حجر الكندي ولد في نجد اسمه جندح وقيل : عدي. وله كنيتان، وهما أبو وهب، وأبو الحارث. وثلاث ألقاب وهي : ذو القروح، و الذائد، والملك الضليل[2] .

أبوه حجر ملك غطفان و أسد، وأمه فاطمة بن ربيعة أخت المهلهل. نشأ امرؤ القيس في أسرة توارثت الملك، لذلك شب على المجون وطلب لذائذ الدنيا، حيث كان ميالا إلى الترف واللهو إلى حد التمادي، الأمر الذي جعل والده يقوم بطرده، لكن هذا لم يقفه بل زاد في مجونه و فسقه. وراح ينفق عمره في الشهوات و معايشة الشواذ من الناس. و ظل على تلك الحال إلى أن وصله نعي والده، الذي قتل من قبل بني أسد، لتتغير حاله إلى العكس، وراح يطلب الثأر لأبيه وعندها قال مقولته المشهورة :" ضيعني صغيرا، و حملني دمه كبيرا. لا صحو اليوم ولا سكر غدا. اليوم خمر وغدا أمر"[3]. وقاتل بني أسد وكثر الجرحى والقتلى فيهم، ولكن ذلك لم يشف غليله، و أخذ يستنصر بالقبائل الأخرى، إلى أن بلغ به المطاف عند قيصر الروم، فأحسن هذا الأخير وفادته، لكنه لم يعنه على استرداد

[1] ينظر يحي شامي، شرح المعلقات العشر، دار الفكر العربي، بيروت، ط1، 1994، ص7.

[2] بطرس البستاني، أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، ص97.

[3] امرؤ القيس ، الديوان ، تح: عبد الرحمان المصطاوي ،ص10.

ملكه. وقد تعددت الروايات حول موته(امرئ القيس)حيث قيل أنه أصيب في عودته من فلسطين بالجدري فمات. وفي رواية أخرى قيل أنه مات بالسم الذي سرى في جسمه من حلة مسمومة قدمها له ملك الروم .

وامرؤ القيس هو أول فحول الشعر. وضعه بن سلام على رأس قائمة الطبقة الأولى، " لأنه سبق العرب إلى أشياء ابتدعها واستحسنتها، واتبعه فيها الشعراء، ومن ذلك: استيقاف الصحب، و البكاء في الديار..."[1] .

قال عنه – صلى الله عليه وسلم – " ذاك رجل مذكور في الدنيا، شريف فيها، منسي في الآخرة خامل فيها، يجئ يوم القيامة، ومعه لواء الشعراء إلى النار"[2] .

-آثاره :- لامرئ القيس ديوان شعري، و معلقته المشهورة، هي أولى المعلقات تحتوي على ثمانين بيتا من البحر الطويل، نظمها إثر حادثة جرت له مع ابنة عم له، كان يهواها.

و لأنه شاعر الوصف، وصف لنا الحادثة، ثم قام بوصف فرسه وكل ما يجوب حوله [3].

وقد تميز شعر امرؤ القيس بسمات فنية كالوضوح وجودة التصوير و رقة الأسلوب حيث يمكننا إجمال هذه الخصائص فيمايلي :-

1-كثرة التشبيه لوفرة المواد الطبيعية من حوله، و التي تلامس حواسه، وتتيح له الفرص ليرسم منها الصور الحسية الواقعية .

[1] يحي شامي، شرح المعلقات العشر، ص12.

[2] امرؤ القيس، الديوان، تح: عبد الرحمان المصطاوي ، ص05.

[3] ينظر : بطرس البستاني ، أدباء العرب في الجاهلية و الإسلام ،ص 98 .

2-عنايته بموسيقى الألفاظ عن طريق الإكثار من التصريع .

3-سمو الشعر من العاطفة الذاتية إلى أفق العاطفة الإنسانية[1] .

يقول امرؤ القيس :-

كدَأبِكَ مِنْ أمِّ الحُوَيْرِثِ قَبْلَهَا وَ جَارَتُها أُمَّ الرَّبَابِ بِمَأْسَلِ

إذا قَامَتَا تَضَوَّعَ المِسْكُ مِنْهُمَا نَسِيمُ الصِّبَا جَاءَتْ بِرَيَّا القَرَنْفُلِ

فَفَاضَتْ دُمُوعُ العَيْنِ مِنِّي صَبَابَةً على النَّحْرِ حتَّى بَلَّ دَمْعِي مِحْمَلِي[2].

ثانيا :- زهير بن أبي سلمى :- هو زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رباح بن قرط بن حارث بن مازن بن ثعلبة بن ثور بن هرمة بن لأم بن عثمان بن مزينة، كنيته أبو كعب، وهو من فحول شعراء الجاهلية و حكمائها المشهورين[3] وقد عاش ربيعة

والد زهير في غطفان مع أخواله حتى ظن فيما بعد أنه غطفاني النسب. وقد عاصر زهير حرب داحس و الغبراء التي قامت بين عبس وذبيان. لقد كان زهير شاعرا متميزا و سيدا في قومه، و شريفا ثريا و متخلقا، وذلك يعود لفضل خاله بشامة بن الغدير عليه. ولأن الشاعر هو لسان حال قومه كثر وصف الحروب في شعره. فنراه يمدح كل من الحارث بن عوف، وهرم بن سنان، سيدي بني مرة اللذين حقنا دماء قبيلتي عبس و ذبيان، لأنه عانى من ويلات الحروب و تقول الروايات بأن زهيرا عمّر كثيرا في الحياة. حيث مات قبل سنة من البعثة المحمدية عن عمر قيل أنه يناهز المئة.

[1] ينظر: امرؤ القيس، الديوان، تح: عبد الرحمان المصطاوي، ص11-12.

[2] العقد الثمين في دواوين الشعراء الثلاثة الجاهلين ،ص95.

[3] يحي شامي، شرح المعلقات العشر، ص48.

و لم يعرف الشعر الجاهلي شاعرا امتاز بتنقيح شعره كما فعل زهير حتى أنه أطلق على شعره اسم الحوليات أو المنقحات. إذ كان لا يذيع في الناس إلا بعد أن يعمل فيه عقله وذوقه و رأيه. ولا يقول قصيدته إلا بمضي عام كامل. وقد خاض زهير في العديد من الأغراض، ومن أهمها المدح و النسيب و الهجاء و الوصف و الحكمة...

و قد امتاز هذا الشاعر الحكيم، بطبع لا يجاريه فيه أحد من رصانة و تمحيص و انتقاء، ليخرج لنا شعرا يعد مأثرة من الشعر الجاهلي. وقد ترك زهير ديوانا شعريا أشهر ما فيه المعلقة التي تحوي ستين بيتا استهلها بالوقوف على الأطلال و الغزل و ضمنها مدحه لهرم بن سنان و الحارث بن عوف. وهو سبب نظمه لمعلقته .

يقول زهير بن ابي سلمى :-

سَئِمْتُ تَكَالِيفَ الحَيَاةِ ومَنْ يَعِشْ ثَمَانِيَن حَوْلًا لَا أَبَا لك يَسْأَمِ

و أَعْلَمُ ما في اليَومِ و الأَمْسِ قبْلَه ولكنِنِي عنْ عِلْمِ ما في غَدٍ عَمِ

رَأَيْتُ المَنَايَا خَبْطَ عَشْوَاءٍ مَن تُصِبْ تُمِتْهُ ومَن تُخْطِئ يُعَمِّر فيَهْرَمِ[1].

ثالثا:- لبد بن ربيعة :- هو لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة، بن عامر صعصعة بن معاوية، وكان يكنى أبو البراء. ونسبه ينتهي عند مضر. نشأ لبيد يتيما إثر مقتل والده يوم ذي علق، فكفله أعمامه عندما كان يبلغ من العمر التاسعة، ولقي لديهم من السعة في العيش ما لم يتوقعه لنفسه، ولكن لم يدم ذلك فقد شب خلاف بين

[1] زهير بن أبي سلمى، الديوان، تح: حمدو طماس ص70.

أسرتين من بني عامر فشتت شملهم. وحين بلغ لبيد ذروة الشباب اندفع لمجالسة الملوك و مدحهم بما يحبون طمعا لنيل حظوة لديهم. وقد كان لبيد مقبلا على الدنيا بكل ملذاتها إلى أن ظهر الإسلام لتتبدل حياته رأسا على عقب حيث دخل فيه، واعتزل قول الشعر. إلا أن هناك من قال بأن لبيدا لم يقل في الإسلام إلا هذا البيت :-

الحَمْدُ لِلّه إِذْ لم يأتِ أَجَلِي حتّى لَبِسْتُ مِن الإِسْلَامِ سِرْبَالَا[1]

ويقال بأن لبيدا من أصحاب الأعمار الطويلة .للبيد ديوان شعري ضم إحدى وستين قصيدة و مقطوعة إلى جانب متفرقات وبعض الأشعار التي نسبت له، و أوفت قصائده من الموضوعات : الوصف والفخر و الحماسة و الرثاء و الحكمة و شيئا من الغزل و الهجاء. و أشهر هذه القصائد معلقته التي تحوي ثمانية و ثمانين بيتا نظمت على البحر الكامل و فيها وقوف عل الأطلال، ووصف للظعائن و شيء من الحكمة، ووصف للناقة...الخ[2].وقد قال عنه- صلى الله علي وسلم – " أشعر كمة تكلم بها العرب كلمة لبيد ".

ألاَ كُلُّ شَيْءٍ ما خَلَا اللهُ بَاطِلُ ألا كُلُّ نَعِيمٍ لا مَحَالَةَ زَائِلُ[3]

يقول لبيد بن ربيعة :-

فَمنْ يَكُ سَائِلًا عَنِّي فَإِنِّي من الفِتْيَانِ أَيَّامَ الخَنَان

[1] أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري، شرح قصائد السبع الطوال الجاهليات ،تح: عبد السلام هارون، دار المعارف، ط5، (د ت)،ص510.

[2] لبيد بن ربيعة ،الديوان ،تح: أسماء محمد أبو بكر، دار المعرفة، بيروت لبنان، ط1، 2004، ص5-6-10.

[3] أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، تح عبد السلام هارون، ص510.

أَتَتْ مَائَة لعَامٍ وُلِّدَتْ فيه وعَشْرٌ بَعْد ذَلك و حُجَّتَان

وقد أَبْقَتْ خُطُوبَ الدَّهْر مِنِّي كما تَبْقَى مِن السَّيْفِ اليَمَانِي[1].

رابعا– عنترة بن شداد:– هو عنترة بن شداد بن معاوية بن قراد العبسي من أهل نجد، أمه زبيبة سباها أبوه في إحدى مغازيه، فولدت له عنترة الذي كان أسود اللون حيث سار له السواد من جهة أمه. لم يعترف به والده في البداية لأنه بن أمه، وعاش عنده كالعبد إلى أن أبدى بطولة ونجابة خارقة. وفي إحدى الأيام، أغار جماعة من طي على بني عبس، فأصابوا وقتلوا منهم الكثير، و سبوا نسائهم. وكان عنترة عن معزل منهم يرعى الغنم، حتى استنجد به أبوه فقال له: "كر يا عنترة، قال:– العبد لا يحسن الكر إنما يحسن الحلب، قال: كر و أنت حر. فكرّ عنترة وقاتل و أبلى بلاء حسنا، و أبدى بطولة نادرة، فألحقه أبوه بنفسه"[2].

ولما كانت العرب تعايره بسواده رد عليهم قائلا :–

يُعِيُبون لَوْنِي بالسَّوَاد جَهَالَةً ولولا سَوَادُ اللّيْلِ ما طَلَعَ الفَجْرُ

و إنْ كان لَوْنِي أَسْوَدَا فَخَصَائِلِي بَيَاضٌ ومِنْ كَفِّي يَسْتَنْزِلُ القِطْرُ[3].

وقد كان شاعرنا يهوى ابنة عمه عبلة بنت مالك وقد ذكرها في شعره، ولا نجد لعنترة أية قصيدة لم يذكر فيها عبلة. وقد كان أبوها يمنعه من الزواج منها فهام بها ولم يستطع الزواج

[1] يحي شامي، شرح المعلقات العشر، ص103.

[2] المرجع السابق، ص59.

[3] عنترة بن شداد، الديوان،تح: أمين الخوري، ص3.

منهـا، رغـم مـا قيـل مـن أنـه دفـع مهرهـا مئـة ناقـة و لكـن دون جـدوى. وقـد امتـاز عنـترة في حياته بالقوة و الشجاعة و العفة و الزهد عند المغنم، فقد جمع شاعرنا صفات الفرسان .

و عـاش عنـترة مـن العمـر تسـعين عامـا و تـوفي قتـيلا قبـل ظهـور الإسـلام بسـبع سـنين، و مـات مقتـولا علـى يـد وزر بـن جـابر النبهـاني، وذلـك بعـدما أغـار علـيهم عنـترة، وهـو شـيخ كبـير فرماهـا بسـهم وقـال خـذها و أنـا بـن سـلمى فقطـع ظهـره فتحامـل بالطعنـة حـتى أتـى أهلـه حيث كان آخر شعر قاله و هو يقاسي آلام الجراح:-

و إنَّ ابنُ سَلْمَى عِنْدَه فاعْلَمُوا دَمِي وهَيْهَاتَ لا يُرْجَى ابنُ سَلْمَى و لَا دَمِي

إذا ما تَمْشِي بيْن أَجْبَالِ طَيْءٍ مَكَانَ الثُّرَيَّا لَيس بالمتَهَضَّمِ[1]

و لعنـترة بـن شـداد ديـوان شـعري، و لعـل أشـهر قصـائده هـي المعلقـة الـتي أطلـق عليهـا اسـم المذهبـة وذلـك لجودتهـا. وتحتـل معلقـة عنـترة المرتبـة السادسـة بـين السـبع الطـوال حيـث امتـاز شعره بكثرة الفخر والحماسة، و ذكر الوقائع و الغزل العفيف[2] .

أما ما امتازت به معلقته الشهيرة هو السهولة و اللين اللذين يقل وجودهما في الشعر الجاهلي، وفيها من فخامة و جزالة و سهولة اللفظ، و قربة من المعنى، ما يعجز اللسان عن الوصف .

فهـي واضـحة جليـة لـيس بينهـا وبـين الـنفس حجـاب، لأنـه رقيـق بحسـه. و قـد حـذا الشـاعر خطى شعراء عصره من حيث شكل و مضمون القصيدة العمودية. كما اعتمد على

[1] يحي شامي، شرح المعلقات العشر، ص60.

[2] ينظر: بطرس البستاني، أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، ص166.

التشبيهات المادية و الحسية وإصابة المعنى بأقل الألفاظ وهو ما يسميه البلاغيون بالإيجاز[1].

يقول عنترة بن شداد في بداية معلقته :-

هل غَادرَ الشُّعَرَاءُ مِن مُتَرَدَّمِ أَمْ هل عَرَفَتَ الدَّارَ بَعدَ تَوَهُّمِ

يا دَارَ عَبْلَةَ بالجِوَاءِ تَكَلَّمِي وعِمّي صَباحاً دَارَ عَبْلَةَ واسْلَمِي

فَوَقَّفْتُ فيها نَاقَتِي و كأنّها فَدَن لِأَقْضِيَ حَاجَةُ المتَلَّوم[2]

خامسا- عمر بن كلثوم :- هو عمر بن عتاب بن سعد بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمر بن غنم بن تغلب بن معد بن عدنان[3] .

نشأ عمرو بن كلثوم في بيت من أسياد تغلب، حيث كانت قبيلته ذات مكانة عالية و يحسب لها ألف حساب، لذلك شب على الافتخار بها، وقد تميز بعدة خصال حميدة منها الشاعرية و الفروسية و الخطابة و الكرم و الشجاعة ما جعله يسود قومه في سن الخامسة عشر .

وقد عاصر شاعرنا من الملوك الملك عمرو بن هند ملك الحيرة و الذي قتله بسيفه في عقر

[1] ينظر: محمد عبد المنعم خفاجي، الحياة الأدبية في العصر الجاهلي، ص301-302.

[2] يحي شامي، شرح المعلقات العشر، ص60.

[3] المرجع نفسه، ص73.

داره[1] لأنه استهان بأمه، وهي ليلى ابنة المهلهل، و زوجها كلثوم بن مالك بن عتاب أفرس العرب، حيث يقول عمرو بن كلثوم عندما أرادت أم الملك عمرو بن هند أن تجعل من أم شاعرنا خادمة لها :-

بأَيِّ مَشِيئَة عَمْرَو بن هِنْدٍ تُطِيعُ بنا الوُشَاةُ و تَزْدَرِينَا

تُهَدِّدُنا و أَوْعِدْنا رُوَيْدَا متى كُنَّا لِأُمِّكَ مُقْتَوِينَا[2]

لقد مات عمر بن كلثوم عن عمر يناهز مئة وخمسين عاما، قبل الإسلام بنحو نصف قرن .

شعره:- لم يشتهر عمر بن كلثوم إلا بمعلقته الوحيدة التي قامت مقام الشعر الوفير، لحسن لفظها، و انسجام عباراتها وغلو فخرها، ولعل شهرته بالخطابة تقل عن شهرته بالشعر الجيد "[3].

يقول في ثنايا معلقته :-

أبا هِنْدٍ فلاَ تَعْجَل علينا و أَنْظِرْنَا نُخَبِّرْك اليَقِينَا

بأَنَّا نُورِدُ الرَّايَاتِ بِيضًا و نُصْدِرُهُنَّ حُمْرًا قد رَوِينا

فإنَّ الظَّعْن بعد الظَعْن يَفْشُو عليكَ و يُخْرِجُ الدَّاءَ الدَّفِينا[4]

سادسا- الحارث بن حلزة :- هو الحارث بن مكروه بن يزيد بن عبد الله بن الملك بن عبد سعد بن جشم بن زبان، كنانة بن يشكر بن بكر بن وائل كنيته أبو الظليم[5].

---

[1] ينظر: ابن قتيبة، الشعر و الشعراء، ص234.

[2] المرجع نفسه، ص234.

[3] أحمد الهاشمي، جواهر الأدب، ج2، ص55-56.

[4] المرجع السابق، ص56-57.

[5] يحي شامي، شرح المعلقات العشر، ص89.

و هو من شعراء القرن السادس، وقد عاصر هو الآخر الملك عمرو بن هند، وهو الذي دافع عن قومه البكريين يوم التقاضي في حضره الملك عمرو بن هند، عندما اتهم البكريون بمنعهم للركب التغلبي من شرب الماء في ديارهم وحملهم على المفازة حتى ماتوا عطشا.

و لأن شاعرنا يمتاز بالحكمة و الرزانة و حسن المصانعة، و مجابهة الخطوب بهدوء وروية، استطاع التأثير على الملك عمرو بن هند و ضمه إلى صف البكريين، عندما ارتجل معلقته أمامه لكن وراء ستار، ذلك لأنه كان أبرص. ولكن الملك أمر برفع الستار عنه لإعجابه بشعره[1]. و قد تميزت معلقته بكونها آية في فن الخطابة الشعرية و سمو المعنى و جزالة التعبير. حيث يقول فيها :-

آذَيْتِنَا بِبَيْنِها أَسْمَاءُ رُبَّ ثَاوٍ يُمَلُّ منه الثَّوَاءْ

بعْدَ عَهْد لنا ببُرْقَة شَمَّا ءَ فأَدْنَى دِيَارَها الخُلَصَاءُ

لا أَرَى مَنْ عَهِدَت فيها فأَبْكَي اليَوم ما يُحِيرُ البُكَاءُ[2]

سابعا- النابغة الذبياني :- هو زياد بن عمر بن معاوية بن ضباب بن جابر بن يربوع بن غيط بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن قيس بن عيلان... بن عدنان. وكنيته أبو عقرب و أبو أمامة، من أشهر شعراء الجاهلية و فحل من فحولها. قال الشعر بعد ما احتنك، أي بعدما كبر نبغ في الشعر. وقد سمي بالنابغة لما يتحلى به من الحسن في ديباجة الشعر حيث كان أكثر الشعراء جمالا في

[1] ينظر أحمد الهاشمي، جواهر الأدب، ص76.

[2] الحارث بن حلزة، الديوان ،تح:اميل بديع يعقوب دار الكتاب العربي، بيروت، ط 1،ص 19.

الكلام من أجزلهم بيتا. جعله بن سلام الجمحي في الطبقة الأولى من الشعراء الجاهلين[1]. وقد كان النابغة من أشراف العرب حتى أن الشعراء كانوا يتوافدون إليه في سوق عكاظ " وفيها ضربت للنابغة الذبياني قبة من أدم ليتحاكم الشعراء إليه في أيهم أشعر "[2].

ويعتبر النابغة من الشعراء المتكسّبين بشعرهم، حيث مدح العديد من ملوك العرب (المناذرة و الغساسنة) و يقال أنه " تغزل بالمتجردة زوجة النعمان بن المنذر ملك الحيرة، فوشي" به عند الملك، و أراد قتله إلا أن شاعرنا هرب و لجأ إلى ملوك الغساسنة مادحا و مستعطفا لهم، لكن عشرته الطويلة للنعمان جعلته يعود إليه معتذرا، ليترك لنا النابغة تلك الاعتذارات الرائعة، التي لا زلنا نردد أبياتها لحد الساعة[3].

و النابغة الذبياني في شعره امتاز " برشاقة اللفظ ووضوح المعنى، حسن النظم، قلة التكلف، حتى عد عند المدققين من الشعراء كجرير أنه أشهر شعراء الجاهلية، و أغراه تكسبه أن يفتن.يقول النابغة الذبياني معتذرا من النعمان بن المنذر :-

أَتَانِي أَبْيَتُ اللَّعْنَ أَنَّك لمتَنِي و تلك التي أَهْتَمُّ منها و أَنْصَبُ

فبت كأن العائدات فرش لي هراسا به يعلي فراشي و يقشب

حَلَفْتُ فلم أَتْرُك لنفسِك رِيبَةً و ليس وراءَ اللهُ للمرءِ مَطْلبُ[4]

[1] النابغة الذبياني، الديوان ،تح:حمدو طماس ص5إلى9.

[2] مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، ج1، مكتبة الإيمان، المنصورة،(د ط)،(د ت)، ص81.

[3] ينظر هاشم صالح مناع، روائع من الأدب العربي، دار الوسام، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط 2 ،1991 ، ص74.

[4] أحمد الهاشمي، جواهر الأدب، ج2، ص37-38 .

ثامنا– الشنفرى :– قال بعضهم إن الشنفرى لقب له، و اسمه عمرو بن براق أو ثابت بن جابر على ثلاثة أقوال، و قال آخرين بأن الشنفرى لقبه وهو يعني غليظ الشفتين و أن الشاعر لقب بذلك لعظم شفتيه، و هو من أوس بن حجر بن الهنئ بن الأزد بن الغوث. و هو من قحطان من أهل اليمن.

وقد اختلف الرواة في شأنه، فقال بعضهم بأنه نشأ بين قومه الأزد ثم أغاظوه لذلك هجرهم، وقال آخرون أن من بني سلمان أسروه صغيرا فنشأ بينهم يطلب النجاة إلى أن هرب ثم انتقم منهم. و ذهب فريق ثالث إلى القول بأنه ولد في بني سلامان، فنشأ بينهم ولا يعلم أنه من غيرهم حتى قال يوما لابنة مولاه (اغسلي رأسي يا أختي)فغاظها أن يدعوها بذلك فلطمته، فسأل عن ذلك، فأخبر بالحقيقة فأضمر شرا لبني سلامان، وحلف أن يقتل منهم مئة و فعل. و قد كان الشنفرى من أعدى عدائي العرب حتى ضرب المثل بعدوه فقيل " أعدى من الشنفرى " .

–وإن كانت المصادر التاريخية تجمع في جعل الشنفرى من أهم الشعراء الصعاليك، فإنها تختلف في سبب ذلك ولا تذكر بداية صعلكته إلا أنه من الثابت أن الشنفرى أنشأ عصبة مع بعض رفقائه العدائيين ومنهم تأبط شرا، بحيث عرفت في الأدب العربي باسم الشعراء الصعاليك.

نقل الرواة عن مقتل الشنفرى روايتين، حيث تقول الرواية الأولى أن بني سلامان هم الذين قتلوه بمساعدة أسيد بن جابر أحد العدائيين لأنه قتل منهم الكثير[1].

و تقول الثانية :- أنه بعد حقده عليهم(بني سلامان) بسبب سبيهم له، أقسم أن يقتل منهم مئة. فأخذ يترصد بهم و يفتك بهم حتى وصل عدد القتلى إلى تسعة و تسعين قتيلا، لكن ألقي عليه القبض في إحدى غزواته و قتلوه و طرحوه جثة للضواري لتفترسه، فمر رجل منهم فرفس جمجمة الشنفرى برجله، فدخلت فيها شظية منها فأماتته وتمت به المئة. فأبرّ قسم الشنفرى حتى بعد موته.

ومن آثار شاعرنا أن له أشعارا متفرقة في كتب الأدب، وكلها تتكلم عن وصف غاراته وشدة بأسه. ومن أشهرها قصيدته المعروفة بلامية العرب، و قد شك بعضهم في نسبتها إليه و أضافها ابن دريد إلى خل الأحمر و نسبها غيره إلى شعراء صدر الإسلام.

ولامية الشنفرى ليست وحدها التي تشمل تلك الفطرة بالسذاجة في تفكيرها و صدق تعبيرها و ما في صاحبها من قوة الشخصية و خشونة الطباع بل هذه الصفات في سائر شعره بحيث يكون صريحا عاريا من التكلف و التمويه ولا سيما تائيته التي استهلها بالغزل، فيصف صاحبته فيها خير وصف، تظهر فيه المرأة المحمودة في الجاهلية على ما فيه من

[1] ينظر: الشنفرى، الديوان، تح: اميل بديع ص9إلى11.

ايجاز. ثم يتطرق إلى ذكر صديقه تأبط شرا في غزوة غزاها معه مفاخرا بشجاعته و بأسه و أخذه بثأر أبيه. وفي التائية من غريب اللغة ووحشيتها ما لا يختلف عما نجده في اللامية [1].

يقول الشنفرى :

أَقِيمُوا بني أُمِّي صُدُورَ مُطِيعُكم فإنِّي إلى قومٍ سِواكُم لا أَمْيَلُ

فقد حَمَتْ الحاجَاتُ و الليلُ مُقْمِرٌ و شَذَّت لِطَيَّات مَطَايَا و أَرْحَلُ

و في الأرْضِ منْأَى للكَرِيمِ عنْ الأَذَى وفيها لمنْ خَافَ القَلَى مُتَعَزَّلُ[2].

تاسعا– الخنساء :– هي تماضر بنت عمر بن الحارث بن الشريد السلمي، وينتهي نسبها إلى مضر. وتكنى أم عمرو و تلقب بالخنساء وقد كانت الخنساء من أجمل نساء العرب، و قد حظيت بحب أبيها و أخويها صخرا و معاوية. عرفت برجاحة العقل و الاتزان. تقدم لخطبتها سيد بن جشم – دريد بن الصمة – ولكنها رفضته رغم أنه في ذلك العصر لم تكن البنات يملكن حق القبول أو الرفض في مسألة الزواج إلا لمثيلات الخنساء اللواتي يجمعن بين الشرف و الجمال[3].

وحدث أن قتل أخوها معاوية، فبكته لكن وجود آخاها صخرا خفف عنها همها، وبموت صخر اسودت الدنيا في عينيها، و عاشت حياتها كلها تبكيه وتندبه عند قبره.

[1] ينظر :بطرس البستاني، أدباء العرب في الجاهلية وصدر الاسلام، ص87 إلى 89.

[2] الشنفرى ، الديوان، تح :اميل بديع يعقوب ص58.

[3] ينظر: الخنساء، الديوان، تح: حمدو طماس ص5-6.

و كانت الخنساء قد تزوجت و أنجبت أربعة أولاد و بنتا، لكنهم لم ينسوها البكاء على أخيها. و بمجيء الإسلام دخلت الخنساء مع قومها فيه، وذات مرة لقيها عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – فقال :" ما أقرح ما في عينيك ؟ " قالت :" بكائي على السادات من مضر " قال :" يا خنساء، إنهم في النار" قالت:" ذاك أطول بعويلي عليهم، إني كنت أبكي لهم من الثأر، و أنا اليوم أبكي لهم من النار "[1]. وقد استشهد أولادها الأربعة في القادسية لكن الغريب في الأمر أنها لم ترثيهم، بل فرحت باستشهادهم، وقالت :-" الحمد لله الذي شرفني بقتلهم، و أرجوا من ربي أن يجمعني بهم في مستقر الرحمة "[2]. و ثبت أن عمر بن الخطاب كان يعطيها مائتي درهم عن كل واحد إلى أن مات.

توفيت خناس -كما كان صلى الله عليه وسلم يناديها -في أول خلافة عثمان تاركة وراءها ديوانا شعريا كله في رثاء أخويها لاسيما صخرا. وقد قالت أغلبه في الجاهلية، لذلك هناك من قال بأنها ليست من الشعراء المخضرمين. و قد غلبت العاطفة الصادقة على شعرها لطبيعية الغرض الذي طغى عليه- الرثاء -كما تميزت بالبعد عن التكلف، و لا يرتفع بها الفكر إلى معاني الحكمة كالتي نجدها في رثاء لبيد لأخيه. ولم تكن الخنساء من أصحاب النفس الطويل في الشعر، بحيث يتميز شعرها بكونه مجموعة من المقطوعات. و أطول قصيدة لها هي الرائية وهي لا تتجاوز الخمسة و الثلاثين بيتا[3].

[1] بطرس البستاني، أدباء العرب في الجاهلية و الإسلام، ص229.
[2] المرجع السابق، ص231.
[3] ينظر : المرجع نفسه، ص231-232.

تقول الخنساء :-

أَعَيْنَيَّ جُودَا ولا تَجْمُدَا ألَا تَبْكِيَان لصَخْرَ النَّدَى

ألا تَبْكِيَان الجريءَ الجَمِيلَ ألا تَبْكِيَان الفَتَى السَيِّدَا

طَوِيلُ النِّجَادُ رَفِيعُ العِمَادِ سادَ عَشِيرَتَه أَمْرَدَا[1]

[1] الخنساء ، الديوان، تح: حمدو طماس، ديوان ، ص31.

الفصل الثاني

المبحث الأول: الدلالة.

قبل التطرق إلى ماهية علم الدلالة، كان حري بنا التطرق إلى المعنى اللغوي للدلالة:

1- جاء في اللسان: دل أي دله على الطريق، يدله دَلالة ودِلالة ودلولة والفتح أعلى، والدليل والدليلي الذي يدلك. والدليل ما يستبدل به الدليل الدال ودليل بين الدلالة بالكسر لا غير[1].

حيث يتضح لنا من خلال هذا المعنى اللغوي، هو أن الدلالة تعني توضيح الغامض. أما في الاصطلاح فالدلالة أو علم الدلالة الذي يطلق عليه اسم semantics في الانجليزية، هو العلم الذي يدرس الشروط الواجب توافرها في الرمز حتى يكون قادرا على حمل المعنى، ويقصد بها دلالة الألفاظ على المعاني وهي التي تسمى الدلالة اللغوية أو اللفظية[2].

2- أنواع الدلالة عند القدامى:

من المباحث اللغوية الدلالية، التي كانت من اهتمام العلماء منذ القديم هي بناء العلاقات التي تجمع بين الدال والمدلول في مبحث أقسام الدلالة وأنواع المعنى، وبناء على ذلك فقد قسم القدامى الدلالة إلي نوعين أولهما دلالة لفظية وأخرى دلالة غير لفظية، وتندرج تحت هذين النوعين ثلاثة أنواع للدلالة وهي كالتالي: دلالة وضعية ودلالة طبيعية ودلالة عقلية،

[1]- ابن منظور، لسان العرب، المجلد 11، دار صادر بيروت ، (د ط) ، (د ت) ، ص 247.

[2] - أحمد مختار عمر، علم الدلالة، دار العروبة للطباعة والنشر،ط1، 1981م،ص 11.

على أنه هناك أنواع أخرى للدلالة تندرج تحت الدلالة اللفظية الوضعية نذكرها في نقاط كالآتي:

أ- **دلالة المطابقة:** كدلالة الاسم على المسمى.

ب- **دلالة التضمن:** علاقة الجزء بالكل كعلاقة اليد بالجسم.

ت- **دلالة الاستلزام أو الاستتباع** :كدلالة السقف على البيت.

أولا- الدلالة الوضعية: هي الدلالة اللفظية والتي تحصل بتوفر ثلاثة شروط وهي اللفظ بصورته المسموعة، المعنى الموضوع للفظ ووجود علاقة عارضة بينهما[1].

ثانيا- الدلالة العقلية: وتسمى كذلك الدلالة المنطقية، ذلك أنها تكون بدلالة الأثر على المؤثر أو علاقة السببية أو العقلية نحو دلالة الدخان على النار[2]...الخ

ثالثا- الدلالة الطبيعية: وهي التي تعتمد في إدراكها على علاقة طبيعية يتم على أساسها الانتقال من الدال إلى المدلول لعلاقة طبيعية بينهما، ومثالها دلالة الحمرة على الخجل والصفرة على المريض[3]....الخ

هذا باختصار عن أنواع الدلالة عند القدامى، أما المحدثون قد ذهبوا مذاهب أخرى وقسموا المعنى أو الدلالة إلى أنواع كثيرة إلا أن المتفق عليه بين أغلبهم إلى خمسة أنواع.

[1] - ينظر: خليفة بو جادي، محاضرات في علم الدلالة مع نصوص وتطبيقات، بيت الحكمة،الجزائر،ط2، 2012م،ص64.

[2] - نواري سعودي أبو زيد، الدليل النظري في علم الدلالة، دار الهدى، الجزائر،(د ط)،(د ت)، ص43.

[3] - المرجع نفسه، ص44.

3- أنواع الدلالة عند المحدثين: سبق وأن ذكرنا أن أنواع الدلالة عندهم كثيرة سنقتصر على أشهرها:

أولا- المعني الأساسي أو التصوري أو الدلالة المركزية: وهو الذي يمثل الوظيفة الحقيقية للغة ويعد أصل التواصل وقوامه لأنه المعنى الأول الذي يكتسبه اللفظ في الاستعمال، حيث تملك الكلمات ملامح معنية تميزها عن غيرها أو عن مضاداتها، وهو المعنى الذي تحتفظ به المعاجم على أن يكون في أبسط سياقاته.

ثانيا- المعنى الإضافي: ويطلق عليه أيضا المعنى العرضي، الثانوي أو المتضمن وتفهم دلالته من تسميته، وكأن معنى آخر يضاف إلى المعنى الأساسي، ويكون متغيرا بتغير الثقافات والأزمنة والخبرات. ومثال ذلك الذئب الذي يعني حيوان، غير أليف، محتال،...الخ وهو المعنى الأساسي، ويضاف إليه حين نقول: فلان ذئب: أنه محتال، مكار، خبيث... وهو المعنى الإضافي[1].

ثالثا- المعنى الأسلوبي: وهو المعنى آخر يضاف إلى المعنى الأساسي ويتجاوزه.

وهو المعنى الخاص بظرف معين، حيث يكشف لنا عن طبيعية مستخدم اللغة من خلال اللغة المستعملة، أدبية كانت أو عامية أو مبتذلة، وكذلك البيئة والمستوى الاجتماعي من ذلك، كلمة في اللغة العربية ومعانيها الأخرى التي تقال بحسب الوضع الاجتماعي ومن هذه المعاني الأخرى: عقلية- المرأة...الخ

[1] - خليفة بوجادي، محاضرات في علم الدلالة مع نصوص وتطبيقات، ص 66.

رابعا– المعنى النفسي: وهو المعنى الخاص بالفرد المتكلم ولا علاقة له بالتداول بين الأفراد، حيث يعكس الفرد في أحاديثه معاني خاصة، تتعلق بحالته النفسية وكثيرا ما يظهر ذلك في الأعمال الأدبية، شعر أو نثرا، وسنمثل لهذا في الفصل التطبيقي من هذا البحث[1].

خامسا– المعنى الايحائي: وهو يرتبط بالكلمات الايحائية، بما تتركه من ظلال خاصة. وقد ركز الدارسون على ثلاثة تأثيرات لهذا المعنى وهي:

أ– التأثير الصوتي: ونقصد به تلك الكلمات التي تحاكي مسمياتها نحو صليل السيف وخرير الماء...الخ[2].

ب– التأثير الدلالي: وهي الألفاظ المجازية، القائمة على المجاز وتدخل ضمنها الألفاظ التي تعبر عن المعاني المكروهة لدى الناس، من الأمثلة على ذلك: ألفاظ الموت...، كما يدل على المعاني المحضورة من ذلك الألفاظ المرتبطة بالغريزة...

التأثير الصرفي: وهو متعلق بالكلمات المركبة والكلمات المنحوتة مثل بحتر المأخوذة من بتر وحتر...الخ[3]

وهناك أنواع أخرى للدلالة سنذكر منها ما نمت لنا بصلة مع موضوع بحثنا:

[1] – ينظر: المرجع السابق، ص 69.

[2] – ينظر: المرجع السابق، ص 69.

[3] – ينظر: المرجع السابق، ص 70.

الدلالة الصوتية: يراد بها مقابلة أصوات الألفاظ أو بعض حروفها أو صورتها اللفظية، مما يشاكل معناها من ذلك القهقهة التي تمثل حكاية صوت الضحك، كما أن هناك من أعطى لبعض الأصوات ومثال ذلك صوت السين الذي يدل على حاله الحزن، كذلك للصوائت دلالات معنية لا تملكها الصوامت. كما تظهر دلالة الأصوات من خلال النبر والتنغيم[1].

الدلالة المعجمية: هي الدلالة الأساسية التي تكتسبها الألفاظ عن طريق الوضع اللغوي، وتسمى أيضا الدلالة الاجتماعية، وفيها بيان معاني الألفاظ العربية المولدة والمصنوعة والدخيلة، وقد تكون للعف دخل في بيان مدلول بعض الكلمات.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن هناك أنواع أخرى من الدلالة، والتي جاءت تشكل نظريا. ومن أهم هذه النظريات النظرية السياقية والتي سنعتمد عليها أكثر شيء في الفصل التطبيقي من هذا البحث.

النظرية السياقية:

تعريف السياق لغة: السياق مصدر من الفعل ساق أصله سوق حيث يقول ابن الفارس: «إن السين والواو والقاف أصل واحد، وهو حدو الشيء، يقال ساق يسوق سوقا. والسيقة: ما استيق من الدواب. ويقال سقت إلى امرأتي أي صداقها، وأسقيته والسوق مشتقة من هذا، لما يساق إليها من كل شيء، والجمع أسواق، والساق للإنسان وغيره، والجمع سوق، وإنما سميت بذلك لأن الماشي ينساق عليها[2]»

[1] – ينظر محمد علي عبد الكريم الرديني، فصول في علم اللغة العام، دار الهدى، الجزائر،(ط د)،(د ت)،ص219.

[2] – ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج 3،ص118.

وجاء في اللسان: «سوق السوق معروف ساق الإبل وغيرها يسوقها سوقا سياقا ... وقد انساقت تساوقت الإبل تساوقا إذا تتابعت، وكذلك تقاودت فهي متساوقة... ساق إليها الصداق والمهر سياقا أساقه وإن كان دراهم أو دنانير، لأن الأصل في الصداق عند العرب الإبل وهي التي تساق، فاستعمل ذلك في الدراهم والدنانير...وهو في السوق أي النزع، كأن روحه تساق لتخرج من بدنه ويقال له السياق أيضا[1]»

ومن خلال هذين التعريفين يمكننا القول أن المعنى العام لهذه الكلمة يدخل ضمن التتابع والاتصال، وأن استعمال العرب لهذه المادة يدور في هذا المعنى.

أما تعريف السياق في الاصطلاح، فنعني به: البيئة اللغوية المحيطة بالعنصر اللغوي المراد تحليله. أو هو ما يسبق أو يلحق ذلك العنصر. وهو أيضا رد الكلام على آخره وآخره على أوله.[2]

وتنسب النظرية القياسية للعالم الانجليزي "فيرت" (1890-1960) الذي قدم السياق في إطار منهجي. بحيث نستطيع أن نطبقه على أي حدث لغوي على حد التعبير بالمر الذي يقول أنه «جزء من أدوات عالم اللغة مثله مثل الفضائل النحوية التي يستخدمها[3]».

ويرى فيرت أن أهم ما يميز اللغة هو وظيفتها الاجتماعية، معنى ذلك أن نظرية "فيرت" السياقية تقوم على إعادة الاهتمام بالأحوال والمحيط الذي دارت فيه الأحداث الكلامية.

[1] – ابن منظور، لسان العرب،مجلد10،ص166-168.

[2] –ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي ، دلالة السياق ، جامعة أم القرى، مكتبة الملك فهد مكة المكرمة ، ط1، 1423هـ،ص08.

[3] – المرجع السابق،ص189.

لأن الكلام قد لا يفهم أو يلتبس معناه إذا تم عزله عن المحيط الخارجي الذي دار فيه. ومن ثم رأى "فيرت" أن ربط الحدث الكلامي بكل ما يحيط به أمر في غاية الضرورة. وذلك أنه السبيل الوحيد –إن صح التعبير– والأمثل عن كشف المعاني.

ومن هدا المنطلق يرى "فيرت" أن دراسة معاني الكلمات، تتطلب تحليلا للقياسات التي ترد فيها. ونقصد بالسياقات هنا؛ السياق العاطفي، والثقافي و الموقفي حيث من شأن هذه السياقات أن تخلق علاقات تؤلف بين أفراد المجتمع، ذلك أن الأحداث الكلامية ما هي إلا محصلة هذه العلاقات، وإهمالها يؤدي حتما إلى غياب المعنى المرجو من الكلام.

"فاللغة ليست مجرد إشارات واصطلاحات وأدلة. بل إنها الرصيد الثقافي والاجتماعي الذي يعين على فهم المعاني ضمن مواقعها[1]."وقد قسم السياق في هذه النظرية إلى :

السياق اللغوي: وهو حصيلة استعمال الكلمة داخل نظام الجملة المجاورة مع كلمات أخرى، والمحيط الدلالي الذي يحدد مدلول الكلمة الذي يكسبها معنى خاص ومثال ذلك ما جاء به أحمد مختار عمر في كتابه علم الدلالة في تمثيل لكلمة "يد" فيقول: هم يد على من سواهم، بمعنى ذلك إذا كان أمرهم واحد يد الفأس بمعنى مقبضه...الخ من هذه الاستعمالات[2].

[1] – شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع ط1، 2004،ص21.

[2] – ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص70.

السياق العاطفي: وهو مرتبط بدرجة الانفعال المصاحبة للكلام، ونميز من خلال دلالة الكلمة الموضعية والعاطفية ومثالها كلمة love الانجليزية ليست هي نفسها like، وفي العربية فتشميت العاطس بقولك "يرحمك الله" ليست هي نفسها التي تقال في التعزية رغم أنها في كلتا الحالتين تعني طلب الرحمة من الله.

السياق الثقافي: وهو المحيط الثقافي بمفهومه الواسع، وفيه يتحد مدلول الكلمة، ويظهر استعمال كلمات معينة في مستوى محدد .

السياق الموقفي: ويكون بأن نأخذ الكلمة أو العبارة دلالتها على حسب الموقف الذي يحيط بها، ذلك أنه لكل مقام مقال فسياق الموقف من شأنه أن يساعدنا على التحليل الموضوعي للنصوص، وتتبع المعنى الحقيقي الذي سيق الكلام من أجله[1].

ونحن في صدد البحث عن مواطن الانتماء والاغتراب في شعر طرفة بن العبد سنحاول جاهدات على تقصي ذلك من خلال هذه المواقف الأربعة، التي جاءت بها النظرية السياقية.

[1] – ينظر: المرجع السابق، ص71.

المبحث الثاني: الانتماء

لا يعد الانتماء ظاهرة تجتاح الشعوب أو تطرأ عليها، ككثير من الظواهر التي رقت عند البعض، بقدر ما هو حقيقة تنمو مع الشعوب والأفراد، بل يتعدى الأمر إلى الحيوان. ولأن الإنسان لا يستطيع العيش بمفرده، بعيدا عن كل تجمع إنساني سواء على المستوى الضيق (الأسرة) أو على المستوى الواسع (المجتمع)، لذلك نجده ينقل معه انتماءه حيثما ذهب.

وابن خلدون يرى بأن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان، وركبه على صورة لا يصح أن تستمر وتنمو إلا عن طريق الغذاء، حيث أنه لتحصيل هذا الأخير يجب أن تتظافر جهود مجموعة من البشر، لذلك ضرب المثل الآتي لتوضيح ذلك قائلا: "هب أنه يأكله (الحنطة أو الشعير) حبا من غير علاج يحتاج في تحصيله إلى أعمال أخرى، أكثر من هذه الزراعة والدرس...ويستحيل أن توفي بذلك كله أو بعضه قدرة الواحد، فلا بد من اجتماع القدر الكثير من أبناء الجنس ليحصل القوت له ولهم[1]."

ومن هنا تظهر لنا أهمية التجمع أو الانتماء إلى الجنس الواحد، لذلك فقد حظي موضوع الانتماء باهتمام الدارسين به، الغرب منهم والعرب على حد سواء. وسنتعرض لبعض التعريفات له عند كلا الطرفين.

[1] – ابن خلدون ،المقدمة، مكتبة ومطبعة عبد الرحمن محمد لنشر القرآن الكريم والكتب الإسلامية، مصر،(د ط)،(د ت)، ص31.

مفهوم الانتماء عند الغرب:

الانتماء عند سيغموند فرويد: -كما هو معلوم- فإن النفس البشرية تتكون من ثلاثة أجزاء حسب فرويد ألا وهي: الهو والأنا والأنا الأعلى.

فيمثل الهو مصدر الحصول على اللذة وإشباع الغرائز، بصرف النظر عن وجود أي قيم أو معايير اجتماعية.

ويمثل الأنا الجزء الذي يعمل على إحداث التوازن بين متطلبات الشخصية مع البيئة الخارجية، في حين يمثل الأنا الأعلى كل القيم والعادات الموروثة عن الآباء والمتجذرة في الشخصية، ويقوم هذا الجزء بوظيفة رادعة والتي تقوِم السلوك غير المنسجم، أو غير المتوافق مع القيم والمعايير الأخلاقية في المجتمع[1].ومن خلال هذا التقسيم بنى فرويد تعريفه للانتماء حيث فسره من خلال فرضيتين ألا وهما:

إن ظهور السلوك الانتمائي متوقف على طبيعة العلاقات المبكرة القائمة بين الطفل والوالدين، نخص بالذكر الأم، وذلك بأنها ألصق به من والده.

كما افترض فرويد أن خبرات وأساليب التغذية المبكرة تؤثر في تكوين الشخصية وأن السلوك الانتمائي ما هو إلا نوع من الخلق الفمي بسبب الرضاعة من الثدي لفترة طويلة[2].

[1] – ينظر: عبد الرحمن العيسوي ،علم النفس العام ،دار المعرفة الجامعية،(د ط)،2000م،ص 191.

[2] – سهيلة عبد الرضا عسكر، الانتماء الاجتماعي وعلاقته بالإذعان لدى المسنين، مجلة البحوث التربوية والنفسية، العدد التاسع عشر، ص09.

ونستطيع القول بأن تفسير فرويد هذا نابع من اعتقاد مفاده أن أساس ارتباط الطفل بأمه ما هو إلا إشباع لحاجاته (الغذاء). وأنه كلما كان الطفل مشبع بهذه الغريزة كلما نشأ الطفل على التفاؤل، والاعتماد على الآخرين، في حين أنه كلما كان هذا الإشباع ناقصا، كلما كان هذا الطفل منزويا عن الآخرين، ويكون سلوكه أميل للعدائية والتناقص الوجداني إزاء الأصدقاء.

الانتماء عند سوليفان: يرى هذا الأخير أن الانتماء مرده إلى التفاعل الحاصل بين الأفراد، وهذا من خلال دراسته لكيفية نمو الشخصية منذ الطفولة، وقد حدد سوليفان كيفية اكتساب التوتر والقلق، حيث ذهب إلى القول بأن خبرة التوتر الذي يعود إلى أسباب حقيقية أو وهمية من شأنها أن تزيد أو تنقص من شعور الفرد بالانتماء، بحيث أنه كلما زادت خبرة التوتر زادت معها اضطراب العلاقات الشخصية المتبادلة[1].

ج- الانتماء عند ايرك فروم: أما فروم فالانتماء في نظره حاجة تكمن في كل ظاهرة من ظواهر العلاقات الإنسانية الودية، والشعور بالمقاسمة والاشتراك مع الآخرين، بحكم أن الإنسان كائن اجتماعي، لذلك أغلب مشاكل الأفراد ناتجة عن انفصال الفرد عن المجتمع، فتعاون الأفراد في الشكل الإيجابي فيما بينهم من شأنه القضاء على الوجود الفردي للإنسان.

[1] - ينظر: المرجع السابق، ص09.

إذن فالانتماء هو حاجة اجتماعية نفسية تساعد على استقرار الفرد النفسي والاجتماعي، وتسمح له بالتفاعل مع الآخرين فيؤثر فيهم ويتأثر بهم، ويزيد من إحساسه بذاته الفعالة من جهة أخرى.

د- الانتماء عند فرانكل: إن نظرة فرانكل للانتماء مختلفة تماما عما ذهب إلية سابقوه، فهو يرى أن الانتماء يتحقق عن طريق ملء الفراغ أو بصورة أخرى عن طريق قهر الاغتراب، وهذا الأخير لا يمكن أن يحدث إلا إذا كان هناك هدفا يسعى الفرد إلى تحقيقه في حياته، وذلك يحصل عبر عدة وسائل نذكر أهمها:

عن طريق العمل: ونخص بالذكر في هذا المجال العمل الإبداعي والفني الذي يجب أن يكون متوافقا مع شخصية الفرد وتعبر عن ذاته تعبيرا حقيقيا.

تحقيق المعنى بواسطة الحب: إن الشعور بالحب من شأنه أن يبعد الفرد عن الشعور بالوحدة والعزلة ويجعله في اتحاد مع الفرد المحبوب، وثم يدرك الفرد ذاته ويتجاوزها لإدراك الطرف الآخر. تحقيق المعنى من خلال المعاناة: يؤكد فرانكل هنا على ضرورة أن يكون الإنسان كمنظومة مغلقة، وأن وجود الإنسان يعني أنه متفتح على العالم بكل ما يحويه من كائنات ومعان على الإنسان أن يتفاعل معها. لذلك نجده دائم السعي وراء تحقيق ذاته التي تتسم بالاتزان والاستقرار، بل يتجاوز ذلك إلى ما يجب أن تكون عليه هذه الذات حتى يصير عنصرا فعالا في المجتمع[1].

[1] - ينظر: المرجع السابق، ص88.

ومن خلال هذه المفاهيم التي قدمها الغرب لمصطلح الانتماء يمكن القول أنهم –على اختلاف آرائهم– إلا أنها تصب كلها في مصب واحد يتمثل في قدرة الإنسان على إشباع حاجاته النفسية حينا، وحاجاته الاجتماعية حينا آخر، حتى يستطيع الفرد إدراك ذاته وبالتالي التفاعل مع بقية أفراد المجتمع من خلال التأثير والتأثر.

1– مفهوم الانتماء عند العرب:

المعنى اللغوي:

جاء في اللسان: "نمى: النماء: الزيادة. نمى ينمي نميا ونُميا ونما: زاد وكثر وربما قالوا ينمو نموا بالواو... ينمي وينمو فسوى بينهما... وأنميت الشيء ونميته: جعلته ناميا...والتنمية من قولك نميت الحديث أنميته بأن تبلغ على هذا وجه الافساد... نميا ونميا وأنميته: عزوته ونسبته. وانتمى هو إليه: انتسب، وفلان ينمي إلى حسب وينتهي ويرتفع إليه... وكل ارتفاع انتماء[1]."

جاء في معجم الوسيط: "–نما– نماء نمو: زاد وكثر ويقال نما الزرع ونما الولد ونما المال وانتمى الطائر ونحوه ارتفع من موضعه إلى موضع آخر، وإلى الجبل صعد والى كذا انتسب[2]."

[1] – ابن منظور، لسان العرب، المجلد15، دار صادر، بيروت،(د ط)،(د ت)،ص341-342-343.

[2] – المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، مكتبة الشروق الدولية،ط4، 2004م،ص906 .

تعريف مصطفى عطية العسال: "الانتماء هو ارتباط الفرد بأسرتة وكليته ووطنه الذي يعيش فيه، وإحساسه بالعلاقة القائمة بينهم والتي تقوم على شعوره بمكانته الاجتماعية والالتزام بالقيم والمعايير ونظم الجماعة وتفعيل مصلحة الجماعة على مصلحته الخاصة والتعاون مع أفراد الجماعة والرضا عن الجماعة والمحافظة على ممتلكات الجماعة التي ينتمي إليها[1]."

تعريف عبد المنعم الدرديري وبدوي حسين:"- الانتماء ليس سلوكا لذاته بقدر ما هو مسلك أو الطريق متسع للإشباع القائم على الحب الخلاق الذي يضمن الرعاية المتبادلة[2]."

فهو بذلك يعني الارتباط الوثيق بالشيء موضوع الانتماء مهما كان نوع هذا الارتباط، ارتباط بجماعة مباشرة أو مرجعية بهدف تقبل الآخرين.

تعريف ثروت إسحاق: الانتماء هو توحد الشخص مع الجماعة و استدماجه لأهداف ومعايير المجتمع الذي فيه، حيث تعطي الهوية للشخصية الإنسانية طابعها المميز الذي يشارك فيه بفعالية مع الآخرين[3].

فالانتماء بهذه المعاني ما هو إلا تبادل المصالح بين الأفراد في مختلف المستويات (أسرة، عائلة، الرفاق، المجتمع...الخ).

[1] – عمر اسماعيل علي ،مصطفى السنباطي ، أحلام عبد السميع العقباوي ،الدمج وعلاقة بالشعور بالانتماء لدى طلاب ذوي الاحتياجات الخاصة،2009م،ص14.

[2] – ينظر: المرجع نفسه،ص14.

[3] – المرجع نفسه،ص15.

2- أنواع الانتماء:

يرى الباحثون أن الانتماء يتأثر بالعديد من المؤثرات الخارجية التي تقوم بتقويته أو تقليله ،وحتى نستطيع أن نبني انتماء ايجابيا يقوم ببناء الفرد و المجتمع، معا ومن ثم وجب علينا تجنب المؤثرات السلبية التي تواجه الفرد على مستوى المجتمع بكل مكوناته و مؤسساته من أسرة ومحيط بيئي واجتماعي ...الخ. لذلك ونظرا لاختلاف مستويات الانتماء اختلفت بذلك أنواعه .

الانتماء الاجتماعي:"يعد مفهوم الانتماء الاجتماعي واحدا من أهم المفاهيم المركزية التي تحدد طبيعة علاقة الفرد بالجماعة في كل زمان ومكان "[1].ومن ثم فالشعور بالانتماء للجماعة هو من أهم دعائم المجتمع بحيث يحافظ على استقراره واستمراره، ويتجلى ذلك في مدى شعور أفراد المجتمع إلى جماعاتهم ومن ذلك المشاركات في الأنشطة الاجتماعية، والتوافق بين الأفراد ليتمكن الفرد من اكتساب الميراث الثقافي الذي يمكنه من التفاعل الاجتماعي .ومن هنا يتشكل الشعور بالفخر والاعتزاز والانتماء .

هناك حقيقة بأن البشر مخلوقات اجتماعية يعتمد فيها كل فرد على الآخر جسمياً و نفسيا عبر الحياة، وتبرز أهمية الانتماء على المستوى الاجتماعي في ذلك الترابط والتناسق مما يجعل الأعضاء في وحدة منتظمة تحت اطار الجماعة، وتكون شدة هذا الترابط بقوة ومدى تحقيق

[1] عمر اسماعيل غريب، أحلام عبد السميع العقباوي، مقياس الشعور بالانتماء لذوي الاحتياجات الخاصة، 2009م ،ص5 – 6.

احتياجات الأفراد. فطالما أن الجماعة تقوم على تحقيق هذه الحاجيات يمكنها أن تؤثر على أفكاره وسلوكه عن طريق ما يكتسب منها من فوائد جراء انتمائه اليها كتحقيق الرغبات الشخصية والاجتماعية والتي يعجز الفرد –عادة- عن تحقيقها بمفرده، وأيضا تلك الطمأنينة التي يشعر بها داخل الجماعة ،كما تساعده على ممارسة أنواع من النشاط ،يستغل فيه الفرد قدراته ليكتشف بذلك قدرات أخرى [1].

الشعور بالانتماء الاجتماعي يبدأ من مرحلة الطفولة عند الانسان، والتي تعتبر من أهم مراحله وأكثرها حساسية ،لأنها تحدد شخصيته من خلال ما يكتسبه من خبرات وقيم تربوية، و هنا يكون دور الأسرة ذلك أنها محور التنشئة للطفل وتأهيله في المستقبل للقيام بأدواره ووظائفه، ويرى علماء النفس أن الأسرة تقوم بمجموعة من الوظائف الأساسية، مثل الوظيفة النفسية، كالحب والشعور بالانتماء والوظيفة الاقتصادية ثم وظيفة التطبيع الاجتماعي."[2]وتعتبر الوظيفة النفسية من أهم الوظائف للأسرة، حيث تنمي عنده الشعور بالانتماء إلى الأسرة بالدرجة الأولى ثم شعوره بالانتماء إلى المجتمع بالدرجة الثانية ،فبالنسبة لانتمائه لأسرته تتجلى أول الأمر في نسبته لأبيه أو لأمه كما كان سائدا في المجتمعات البدائية فيما يسمى بالنظام الأموسي أي انتماء الأطفال إلى الأم .والنظام الأبوسي والمتمثل في نسبة الأطفال إلى الأب [3].

[1] ينظر :المرجع السابق،ص 5-6.

[2] احمد زغب،مبادئ الانثروبولوجيا (علم الإنسان)،مطبعة سخري،الوادي،ط1 ، 2012 ،ص89.

[3] المرجع السابق، ص 89.

وبانتماء الأطفال إلى آبائهم وأمهاتهم أو إليهما معا،وهذا الاخير هو ما نسميه بالانتماء إلى الأسرة والتي فيها "يكتسب كمية هائلة من التراث الاجتماعي والخبرات والمهارات كما يخضع للقواعد الثقافية التي ينتمي إليها"[1].

ومن هنا فالانتماء إلى الأسرة بالطبع يولد الشعور بالانتماء للمجتمع لأن المجتمع ما هو إلا مجموعة من الأسر. ويختلف الانتماء إلى الأسرة إلى:الانتماء النسبي الصريح، ويضم أبوة الصرحاء وأمومة والأسرة الزواجية الصريحة[2].

والانتماء غير الصريح ويضم النسب اللصيق والنسب المختلط ،وأخيراً النسب الأعجمي[3].

أما الانتماء الاجتماعي وهو الذي يمثل التفاعل الاجتماعي بين أفراد المجتمع الواحد والذي يشعر من خلاله بالأمن والطمأنينة .والانتماء الاجتماعي يقودنا للحديث عن الانتماء المكان.

الانتماء المكاني :من المؤكد أنه لكي نقول على مجموعة من الأفراد ، لفظ مجتمع يجب أن يكون لهذا المجتمع مكانا تستقر فيه الجماعة، بحيث يتولد لديه الشعور بالانتماء تجاه هذا المكان ، ذلك أن المكان هو عامل مهم في تشكيل مجموعة موحدة و بذلك فمن المفروض أن يكون الناس المجاورون لبعضهم في المكان قريبين من بعضهم بشكل عام [4].فالانتماء

[1] عمر اسماعيل غريب، أحلام عبد السميع العقباوي، مقياس الشعور بالانتماء لذوي الاحتياجات الخاصة ،ص5-6.
[2] فاروق أحمد سليم، الانتماء في الشعر الجاهلي-اتحاد الكتاب العرب،(د ط)، 1998م، ص 29-74-93.
[3] ينظر : المرجع نفسه، ص 148-161-181.
[4] المرجع السابق ،ص 202.

المكـاني بـذلك يعـني وجـود رابطـة تاريخيـة مشـتركة بـين الجماعـة القاطنـة في رقعـة جغرافيـة واحدة.

وهـذا الارتبـاط بالمكـان بـين أفـراد المجتمـع يولـد مـا يسـمى بالانتمـاء الـوطني والـذي يعتـبر قسـما من أقسام الانتماء المكاني ،ومن ثم ينتج لنا الشعور بحب الوطن وكذلك العمل لمصلحته.

وبالطبع فنحن إذا ما تحدثنا عن الانتماء الوطني، كان لزاماً علينا أن نتحدث عن الانتماء السياسي.

الانتمـاء السياسـي :هـو الـذي يقابلـه مصـطلح المواطنـة أو الجنسـية ،وهـو عبـارة عـن صـهر المجتمـع المـدني في أمـة واحـدة علـى الـرغم مـن التنـوع الثقـافي والعقـدي والعرقـي. وكثـيرا مـا يتجلـى هـذا النـوع مـن الانتمـاء في الأحـلاف و الأحـزاب، والحلـف هـو المعاقـدة بـين طـرفين أو أكثـر ،و يكمـن في التسـاعد والتعاضـد والتعـاون وتقاسـم المصـالح في مجـالات مختلفـة .وأطـراف الحلـف يمكـن أن تكـون بـين الجماعـات أو بـين الأفـراد . فالتعـاون بـين الجماعـات يكـون عـن طريـق ابـرام المعاهـدات بـين الشـعوب والمجتمعـات مـن أجـل تحقيـق المصـالح المشـتركة بيـنهم، وغالبا ما تتحالف المجتمعات المتجاورة[1].

أما التحالف بين الأفراد داخل المجتمع الواحد، إنما يتجلى أكثر شيء في الصداقة.

[1] ينظر : المرجع نفسه ،ص 370.

الانتماء الديني:وهو انتماء قلبي صادق، وليس مجرد انتماء اسمي فقط بأن يطلق على شخص ما مسلم وحسب ، وإنما هو وجود العاطفة والشعور بما عليه غيره من المسلمين ومحبتهم والحرص على مصالحهم .

وعلى سبيل المثال :فالانتماء إلى الدين الإسلامي يجسد العلاقة التي ينبغي أن تكون بين المسلمين في كل مكان، وذلك من خلال الحديث النبوي الشريف القائل: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه" ومن هنا يظهر لنا جَلِياً مدى تعزيز الدين للانتماء مهما كان نوعه، إذ من شأنه أن يجعل المنتمين إليه يتعاملون بالصدق والوفاء والولاء له.

الانتماء الثقافي:الانتماء الثقافي يكون بانتماء الإنسان إلى ثقافة معينة والانتساب إليها ،لأنها عامل من عوامل التلاحم ،ورمز من رموز الانتماء إلى مجتمع معين.

والثقافة نوعان:مادية ملموسة كاللباس والآثار وغيرها .بالإضافة إلى الثقافة اللامادية أو اللامحسوسة ،كالعادات والتقاليد والمعتقدات والشعائر الدينية، واللغة التي هي ركيزة كل الثقافات بحيث تختلف من دولة إلى أخرى بل وحتى من وسط بيئي إلى آخر داخل الدولة الواحدة، كما تتعلق بالزمن لأنها تتطور من جيل إلى جيل ،كما تعود إلى طبيعة الناس من حيث هم بدو أو حضر. ويتجلى انتماء الإنسان إلى ثقافة معينة من خلال ممارستها والدفاع عنها والايمان بها، ومحاولة نشرها والافتخار بها كونه ينتمي إلى تلك الثقافة[1].

[1] ينظر:ابن خلدون ،المقدمة، ص 28-36.

3. أبعاد الانتماء : إن شعور الفرد بالانتماء ،سواء لذاته أو لغيره يجب أن تنتج منه عدة مظاهر نلخصها في نقاط:

الأمن النفسي:يعد الأمن النفسي أهم نتيجة تحصل من جراء الانتماء ."وهو شعور الفرد بانه محبوب ،متقبل من الآخرين له مكانة بينهم ويدرك أن بيئته صديقة ودودة غير محبطة، يشعر فيها بندرة الخطر والتهديد والقلق [1] لذلك يكون الشعور بالأمن النفسي يجعل الفرد يعيش استقراراً نفسيا داخل مجتمعه.

التكيف أو التوافق: وهو يعني أن يكون الفرد مع بيئته أو في مجال سلوكه كلاًّ ديناميا(فعالا) تتوازن وتتوافق فيه القوى بين الفرد والظروف المحيطة به.[2] معنى ذلك أن التكيف هو القدرة على تكوين العلاقات الطبيعية بين المرء وبيئته، حيث يوجد لهذه البيئة ثلاثة أوجه:

البيئة الطبيعية: وهي تمثل كل ما يحيط بالفرد من أشياء في العالم الخارجي .

البيئة الاجتماعية والثقافية:وتمثل المجتمع الذي يعيش فيه الفرد بكل ما يحمله من عادات وتقاليد وقيم وأعراف والتي تقوم بتنظيم علاقات الأفراد بعضهم ببعض .

[1] اياد محمد ناي أقرع، الشعور بالأمن النفسي وتأثره ببعض المتغيرات لدى طلبة جامعة النجاح الوطنية، إشراف علي حبايب، 2005م ،جامعة النجاح الوطنية، ص 14.

[2] ينظر:مصطفى سويف، الأسس النفسية للإبداع، دار المعارف ،القاهرة، ط4. (دت) ،ص 54.

البيئة النفسية: على الفرد في هذه الحال، أن يعرف كيف يوجه نفسه ويسيطر عليها وكيف يتحكم فيها حتى لا يفقد الثقة بالنفس و حتى لا يقع في دائرة الاغتراب النفسي[1].

ج. تقدير الذات:فهو شعور الفرد، ووعيه بكينونته ،ويتكون كنتيجة للتفاعل مع البيئة، ويسعى إلى التوافق والثبات وينمو نتيجة للنضج والتعلم، وتقدير الذات من شأنه أن يعمل على احداث الترابط بين الفرد ونفسه وهو ما نسميه بالتوازن الداخلي كما يمكننا القول بأن تأكيد أو تقدير الذات يحدث بشكل عام في حرية التعبير الانفعالي ،وحرية الفعل على السواء ،سواء كان ذلك في الاتجاه الايجابي كالتعبير عن الاستحسان والتقبل والاهتمام والود والمشاركة...الخ ، أو كان ذلك في الاتجاه السلبي كالتعبير عن الرفض وعدم التقبل والغضب ...الخ. علما ان الذات، هي احد الابعاد الهامة في الشخصية، والتي لها الاثر البالغ في السلوك الانساني، ويكتسبها الفرد عن طريق الخبرات الاجتماعية والذاتية، التي تمر بها خلال مراحل حياته المختلفة.[2]

د– الصحة النفسية:ونقصد بها التكامل والتوافق بين الوظائف النفسية المختلفة مع القدرة على مواجهة الأزمات النفسية، التي تطرأ على الإنسان ومع الاحساس الايجابي بالسعادة والكفاية[3]. وهذا

---

[1] ينظر :محمد مصطفى زيدان، النمو النفسي للطفل والمراهق وأسس الصحة النفسية، منشورات الجامعة الليبية، ط1 ، 1972 ،ص 258.

[2] ينظر :ماجد موسى، مفهوم الذات الاجتماعي وعلاقته بالتكيف النفسي والاجتماعي لدى الكفيف مجلة جامعة دمشق، العدد26 ، 2010م ،ص416.

1محمد مصطفى زيدان، النمو النفسي للطفل والمراهق وأسس الصحة النفسية ،منشورات الجامعة الليبية ،ط1 ، 1972م ،ص253.

لا يتحقق إلا عن طريق الشعور بالانتماء و من ثم القدرة على معرفة الآخرين، ومواجهة الواقع بكل ما فيه.

هـ- الإذعـان:وهـو طمـس الـذات والخضـوع لمـا تمليـه الجماعـة، وبـذلك تكـون رغبـات الفـرد تشاكل رغبات الآخرين دون إبداء أي تعارض أو تمرد عن هذه الأخيرة[1].

و- المواطنـة: هـي شـعور الفـرد بالانتمـاء إلى جماعـة اجتماعيـة، لهـا ثقافـة و تـاريخ ومصـير مشـترك، ويـنظم هـذا الشـعور الفـرد اجتماعيـا وقانونيـا وسياسـيا، ويسـاهم الفـرد مـن خـلال هـذا الانتمـاء، بشـكل فاعـل في الحيـاة الاجتماعيـة[2]. حيـث يسـتطيع الفـرد مـن خلالهـا الحصـول على حقوقه بعد تأدية واجباته تجاه وطنه.

كمـا تـدخل العصـبية في اطـار المواطنـة، حيـث أنهـا تنشـأ مـن جـراء انتمـاء معـين كالانتمـاء إلى القبليـة في العصـر الجـاهلي باعتبـار هـذه الأخـيرة السـلطة العليـا الـتي تحكـم المجتمـع في ذلـك الوقت[3].

الهويـة: وهـي التمسـك بالنسـب الـذي هـو بمنزلـة الهويـة الشخصـية، والـتي تميـزه عـن بـاقي أفـراد المجتمعـات الأخـرى، عـن طريـق النهـوض بـه، والـدفاع عنـه حـتى يحصـل علـى الاطمئنـان

[1] سهيلة عبد الرضا عسكر، الانتماء الاجتماعي وعلاقته بالإذعان لدى المسنين ،مجلة البحوث التربوية والنفسية، العدد 19 ،ص 8.

[2] ظاهر محسن هاني الجبوري، مفهوم المواطنة لدى طلبة الجامعة ،مجلة بابل للعلوم الإنسانية ،المجلد18 ،العدد 18 ، العدد : 1 ، 2010م ،ص3.

[3] ينظر:علي عشا، جدل العصبية القبلية والقيم في نماذج الجاهلي مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، ج3 ،المجلد83 ،ص1.

النفسي، وذلك من خلال الاعتزاز بالقومية والنسب ، لأن هذا الأخير مدعاة لتقوية الصلة بين الفرد والمجتمع الذي يعيش في كنفه.[1]

التفاؤل: وهو إحدى سمات الشخصية، والتي من شأنها أن تمثل التوقعات الايجابية للنتائج عامة، فالتفاؤل يحدث عند الاحساس بالأمن النفسي ولا يأتي ذلك إلا من خلال الانتماء ، الذي يجعل الشخص ينظر إلى المستقبل نظرة استبشار، فيتوقع الأفضل كما ينتظر حدوث الخير ويرنو إلى النجاح ويستبعد ما خلا ذلك [2].

التواد:وهو الحاجة الى الانضمام و العشرة مع أفراد آخرين، ويبين لنا التواد بين أفراد المنطقة أو المجتمع الواحد إلى مدى التعاطف الوجداني والميل إلى المحبة والعطاء ،والايثار، والتراحم بهدف التوحد مع الجماعة. لتنتمي بذلك الثقة بالنفس وتقدير الذات، وادراكه لمكانته وكذلك مكانة جماعته بين الجماعات الاخرى[3].

4- الانتماء في الشعر الجاهلي:

إنه بين الإنسان والانتماء علاقة تلازميه، منذ بدء الخليقة، وقد بدا لنا ذلك في أقصى تجلياته من خلال الشعر الجاهلي، الذي وصل إلينا عن طريق ما نقله الرواة لنا، على الرغم من وجود المشككين في ذلك.

---

[1] ينظر:سعيد بن بوزة، الهوية والاختلاف في الرواية السنوية في المغرب العربي ،إشراف:الطيب بودربالة، 2008/2007 ،جامعة الحاج لخضر باتنة، ص20.

[2] ينظر:نجوى اليحفوفي التفاؤل والتشاؤم لدى المسنين المتقاعدين والعاملين بعد سن التقاعد ،مجلة دراسات عربية في علم النفس، مجلد: 3 ،العدد: 4 ،ص14-15.

[3] حمد بن فرحات الشلوي، الثقافة التنظيمية وعلاقتها بالانتماء التنظيمي، اشراف:محمد فتحي محمود، 1426هـ ، جامعة نايف العربية للعلوم الامنية، ص68.

ولعله من أبرز مظاهر الانتماء لدى هؤلاء الشعراء، الانتماء الثقافي والذي تجلى أكثر شيء في اتباعهم لشكل القصيدة الجاهلية المتعددة الأغراض ، وخير دليل على ذلك ما جاء في مطولات العرب السبع أو العشر على اختلاف الروايات .

ولأن الشعراء الجاهلين كثيرا ما افتخروا بأنسابهم سواء النسب العائلي أو النسب القبلي لذلك فأنه" لا غرابة أن نجد الشاعر الجاهلي يرقى بشعره إلى أن يصل إلى التعصب لذاته وقبيلته . وهذا راجع لالتحام شعوره بقبيلته ورابطة الدم التي تربطه بأفراد هذه القبيلة .[1] وما يصيب قبيلته كأنما أصابه هو لأنه جزء لا يتجزأ منها. وقد لمح ابن خلدون إلى ذلك بقوله "ولا يصدق دفاعهم، إلا إذا كانوا عصبية وأهل عصبية وأهل نسب واحد، لأنهم بذلك تشتد شوكتهم ويخشى جانبهم"[2]. كما يذكر حسين جمعة في إحدى مقالاته"...ومن هنا تبرز ظاهرة الانتماء في الشعر معه منذ رأت عيناه النور"[3].

ومن مظاهر العصبية القبلية في العصر الجاهلي نذكر:

نصرة القبلية في العصر الجاهلي، ولعل أكبر دليل على ذلك قول دريد بن الصمة:

ومَا أنا إلاَّ مِن غُزَيَّةَ إنْ غَوَت غويتُ وإنْ تَرشُد غُزَيَّةَ أَرْشُدِ[4].

[1] عبد الغني احمد زيتزني ،الانسان في الشعر الجاهلي، مركز زايد للتراث والتاريخ، الامارات ،ط1 ، 2010 ،ص51.

[2] ابن خلدون ، المقدمة، ص116.

[3] حسن جمعة ،ظاهرة الانتماء في القصيدة العربية ،التراث العربي، ص36.

[4] سعد بوفلاقة، دراسات في الادب الجاهلي، منشورات جامعة باجي مختار، عنابة،(د ،ط) ، 2006 ،ص9.

معنى هذا أن المجتمع الجاهلي ، كانت تحكمه أعراف متنوعة .وعلى رسها العصبية القبلية ،والتي طالما كانت تعبر عن شعار" انصر اخاك ظالما او مظلوما ".

ب-الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب:

فقد كان التفاخر والتعاظم بين أهل الجاهلية سمة اجتماعية سائدة، فقد كانت المفاخرة بمآثر الآباء والأجداد وبالسيادة والريادة، أمراً شائعاً، ومن ذلك قول عمرو بن كلثوم والذي يعد بالفعل نموذج حي عن الفخر القبلي، والاعتزاز بالقبلية والنسب حيث يظهر ذلك جليا في كل أبيات معلقته ،التي اشتهر بها "ألا هبّي "فيقول:

وَرِثْنا المجدَ قد عَلِمَت مَعْدُ نُطَاعِنُ دُونَه حتّى يَبِينَا[1].

ويكفي أن نعرف بأن عمرا بن كلثوم ،قتل ملك الحيرة عمرو بن هند في عقر داره لان أم-هذا الأخير أهانت أم الشاعر ،لنعرف مدى انتماء عمرو بن كلثوم لأسرته أولا ثم لمجتمعه القبلي ثانياً، لينظم هذه المعلقة لتبقى عنوانا لانتماء صاحبها، ولتبقى في نفوس بني تغلب يفاخرون بها.

لذلك فقد مثّل الفخر أعلى درجات العصبية القبلية ، وهي تجسد لنا مدى التباهي بين "الأنا" و"النحن"،ولم تكن الذات الشاعرة ،ترى نفسها تخرج عن هذا النطاق ،حتى لو

[1] عمرو بن كلثوم، الديوان، تح: ايميل بديع يعقوب ص75.

كانت تعيش أقسى حالاتها في التوتر والقلق ومن ذلك نجد قول سلامة بن جندل السعدي:

أنَّا إذا غَربتْ الشَّمسُ أو ارتَفَعَت وفي مَرَاكِبُها يَزِلُّ المصَاعِيبُ

قد يسعدُ الجارُ والضيفُ والغَريبُ بنا والسَّائِلُون تُعْلي مَسِيرَ النِّيَبِ [1].

"ويظهر الانتماء أيضاً في شعر الحادرة من خلال افتخاره ومدحه لقبيلته ولمحبوبته وتجلت فيها ضمائر الجمع التي ذاب فيها كيانه الفردي في الكيان الجماعي"

إنّا نعفُّ فلا نُريبُ حليفَنا ونَكفُّ شُحَّ نفُوسِنا في المطْمعِ

ونفِي بأمِنِ مالِنا أحْسَابَنا ونَجُرُّ في الهِيجَا الرِّماحَ ونَدَّعِي

ويبرهن الحادرة عن ارتباطه بالمكان ،ويؤكد عدم مغادرته رغم أن هناك من غادره في قوله:

ونُقِيمُ في دَارِ الحفَاظِ بيوتَنا زمَنًا ويَطْغَى غيرُنا للأَمْرَع[2]

وهذا عنترة بن شداد ، فالبرغم من الغربة التي عانى منها وهو بين أهله إلاّ أنه دافع عن انتمائه بالدفاع عن قبيلته وهو عبد .

[1] ينظر:علي مصطفى عشا، جدل العصبية القبلية والقيم في نماذج الشعر الجاهلي ،مجلة مجمع اللغة العربية ،ج3 ،المجلد: 38 ،ص11.

[2] محمد النويهي ،الشعر الجاهلي ،ج1 ،دار القومية ،القاهرة،(د ط)،(د ت)، ص214.

وقد حصل على ذلك (الانتماء إلى أبيه)بعدما أبلى بلاء حسنا في الدفاع عن أهل قبيلته، فقد اعترف به والده ونسبه إليه ،رغم ما كان هناك من طبقية في المجتمع الجاهلي. وأقدم على حب عبلة ابنة عمه وهي من سادات القبلية .

وقد نتج عن ذلك كله فخر ذاتي،دون القبلي ،ومثاله :

ولقد أبِيتُ على الطَّوَى وأظَلُّه حتى أنَالَ به كَرِيمَ المأكَلِ .

فشاعرنا هنا ، لم يرضخ لواقعه المحتوم –لأنه ابن أمة سوداء –فقد راح يعد نفسه ويكونها، حتى يعترف به والده أولا وقبيلته ثانيا، ولكن هذا كله لم يكن يعني له شيئا بقدر ما كانت نفسه المظلومة تغني له الكثير لذلك فقد تعب كثيراً حتى يصل إلى ما وصل اليه، وكل ذلك كان مرده إلى الثقة بالنفس.[1]

ومن هنا يمكننا القول بأن مهمة الشاعر في القبيلة ،هي التعبير عن الجماعة، حيث تحدد له هذه الأخيرة مكانته فيها، وتوكل إليه القيادة المعنوية لقومه، "وبمقدار ما كان لهذه المهمة من جلال وخطر، كانت القبيلة تحتفل بنبوغ شاعر فيها، وتتقبل التهنئة فيه، وتعده ذخيرة عزّة وقوة لها"[2]، فالشعر في ذلك الوقت كان سلاحا من امضى الاسلحة في حياة لا مكان فيها الا اللغوي الغالب .

ولأن الشعر الجاهلي هو ديوان العرب، "فهو الذي يحكى عن بيئة الشاعر وقبيلته، ذلك أنّ الارض التي يعيش فيها، هي موطنه ، والأحداث التي تجري فيها خواطر وذكريات مشاعره،

[1] ينظر:ابراهيم عوضين، الادب العربي بين البادية والحضر، مطبعة السعادة،(د ط) ، 1983 ،ص93.

[2] عائشة عبد الرحمان بنت الشاطي ،قيم جديدة للدب العربي القديم والمعاصر، دار المعارف ،القاهرة، ط2 ،(د ت) ،ص27.

ولهذا نحن عندما نسمع كلمات الشاعر الذي تغنى بالبيئة نحس كل شيء عن طبيعته ومجتمعه، ونشهد التجربة التي مر بها ونقلها إلينا في صورة واقعٍ فنيٍ وفكريٍ بأي شكل كان"[1].

ولأن الإنسان بصفة عامة والشاعر الجاهلي بصفة خاصة ، لا يستطيع العيش وحيداً ،فإننا لا نستطيع الجزم من أنّ الشعراء الصعاليك، ما هم إلاّ مجموعة من المغتربين، فصحيح أنهم غرباء عن قبائلهم وأهاليهم، إلاّ أنهم ينتمون إلى فئة تسمى بالصعاليك كما سبق الذكر.

المبحث الثالث: الاغتراب

لقد اختلف علماء النفس في إيجاد تعريف موحد لمصطلح الاغتراب ، فراح كل واحد منهم يفسر من زاوية ، فهناك من درسه من جهة إنسانية نفسية وآخر من جهة نفسية بحته ... الخ .لكن قبل التطرق إلى بعض المفاهيم التي طرحها هؤلاء العلماء ، وجبت علينا الإشارة إلى تاريخ مصطلح الاغتراب في حد ذاته لأنه على الرغم من وجود ظاهرة الاغتراب منذ بدء الإنسانية ، إلا أنه أصطلح عليه حديثا عن الغرب والعرب أيضا حتى قبل اتصالهم بالحضارة الغربية . وقد كان مفهومه يدور حول عدة معان كفكرة أو ككلمة ، وهذه المعاني أن لفظة الاغتراب كانت تطلق على من يخرجون بتصرفاتهم عن المألوف ، فيوصفون بالغربة . كما كانت تطلق على المنحرفين أو الغامضين في سلوكاتهم فيقال عليهم غريبي

[1] مهدي ممتحن الجاهلي بين البيئتين الطبيعية والاجتماعية، مجلة التراث الادبي ،السنة الاولى ،العدد الثالث، ص202.

الأطوار . وقد كانت أكثر معاني الاغتراب شيوعا تلك التي تدل على الابتعاد عن الوطن . وأيضا من دلالات هذا المصطلح الضعف و التلاشي [1]

1-الاغتراب عند الغرب : نجد لمصطلح الاغتراب عدة معاني عند الغرب وتمثلت في ثلاث معاني وهي :

أ. **المعنى القانوني** : ويتمثل اساسا في نقل الملكية ، بمعنى أن انتقال ملكية شيء ما من مالكه الأول ودخوله في ملكية شخص آخر ، يجعل منه شيئا مغتربا عنه . ولكن ما يظهر في هذه الحال أن الإرادة تدخل كعنصر أساسي في عملية التنقل ، وهذا يتأتى فقط في حالة اتفاق الطرفين . بينما لا تدخل الإرادة في عملية نقل الملكية في حالة الاستلاء والسلب والالتزام . هذا السياق الاول في الاغتراب في المعنى القانوني .

أما السياق الثاني فيأتي " بمعنى قابلية الأشياء بل والكائنات للتنازل والبيع ، والاغتراب في هذا المعنى القانوني يتضمن ما يمكن تسميته بتشيؤ العلاقات الإنسانية ، أي تحول الموجودات الإنسانية الحية إلى أشياء أو موضوعات جامدة تحولا يمكن أن تظهر معه في سوق الحياة كما لو كانت بضائع أو سلعا قابلة للبيع والشراء [2].

[1] ينظر : كريمة يونسي ، الاغتراب النفسي وعلاقته بالتكيّف الاكاديمي لدى طلاب الجامعة ، إشراف بوكرمة فاظمة الزهراء ، 2012م، جامعة مولود معمري

[2] المرجع السابق ، ص26.

ب. **المعنى السيكولوجي** : حيث يدل هذا المعنى وباختصار عن حالات فقدان الوعي و الحواس وحالات العجز ... الخ . بمعنى آخر يمكننا اطلاق لفظ الاغتراب في اطار هذا المعنى على المجنون وهو انسان مغترب تماما عن عقله.

ج. **المعنى الاجتماعي** : وببساطة يدل هذا المعنى على فقدان الحميمية مع أشخاص يعرفهم الشخص المغترب ، أو عند الانفصال كحالات الطلاق .. الخ.

د. **المعنى الديني** : وهو متعلق بالانفصال والاغتراب عن الله والذي تكون الخطيئة والمعصية من أسباب حدوثه . وأكبر دليل على ذلك انفصال آدم – عليه السلام- عن الله سبحانه وتعالى بسبب ارتكابه الخطيئة ، والتي أدت به إلى النزول من الجنة إلى الأرض وهذه الحادثة تعتبر أول حادثة إغتراب عرفتها البشرية[1].

وكما سبقت الإشارة إلى أن الاغتراب ظاهرة إنسانية ونفسية واجتماعية ، تجلت للوجود منذ القديم ، حيث لا يمكن أن يخلو منها أي مجتمع من المجتمعات في أي عصر و في أي مكان، لأنه مرتبط بوجود الانسان حيث كان .وقد ورد الاغتراب –كمفهوم- بشكل صريح في الكتاب المقدس . وهناك من رد مفهوم الاغتراب إلى الكثير من الآراء التي طرحها بعض الفلاسفة الإغريق مثل سقراط وأفلاطون.

[1] المرجع السابق، ص27.

وأشارت الكتابات اللاهوتية ومنها سفر التكوين إلى بداية الاغتراب والمتمثلة فيما ذكرناه سابقا عن قصة نزول آدم وحواء من السماء وابتعادهم عن العناية الالهية التي كان يحظيان بها . كما رأت بأن الاغتراب مرده إلى العصيان ورفض السؤال ، و المقصود بذلك قصة عصيان ابليس – لعنه الله – لربه ورفضه السجود لآدم لأنه خير منه ، فهو من نار وآدم من طين ، ولأنه جادل الله فيما لا يجب أن يجادله فيه فقد طرد من الجنة واغترب هو الآخر . ومن ثم يكون طرد إبليس من الجنة بداية الاغتراب الرمزي الذي يقوم على التحريم والتسليم بقدر ما يبقى الأمر والمعتقد خارج نطاق التغطية ، على الرغم من أن إبليس لم يرضخ لغربته ، وأجلها إلى يوم القيامة في حين رضخ الإنسان لأحكام الله ساعيا وراء تطبيق أحكامه [1].

وبعد ذلك ظهور فكرة الاغتراب عند المذهب البروستانتي الذي رفض فكرة وجود وسيط بين الإنسان وربه ، ودعا إلى ضرورة القضاء على الغربة بين الله والإنسان ، واعتبر هذا المذهب بأن وجود هذا الوسيط هو بمثابة موت روحي ، وبذلك يكون كل من ابتعد عن الله وسلك طريق الباطل بالغريب.

ومع بداية القرن السابع عشر وبالذات في عصر النهضة كثر الحديث عن العلاقة القائمة بين الفرد والمجتمع ، وبين الحرية الفردية والحرية الاجتماعية ، بين المجتمع المدني والمجتمع السياسي . لأنه مع بداية النهضة راحت العلاقة بين الفرد ومجتمعه تتلاشى ولم تعد على

[1] ينظر : فيصل عباس ، الاغتراب ، دار المنهل اللبناني ، بيروت ، ط1 ، 2008م ، ص20-21.

تلك الدرجة من الصرامة . وبرزت فكرة حق القوي كَتَجلٍّ لطبيعة الإنسان ، وتقهقرت النزعة الفردية الإنسانية لتحل محلها الأنانية وانعكست هذه الإشكالات في نظريات الحق الطبيعي عصر ذاك[1] . وبذلك تكون الدراسات حول الاغتراب موجودة حتى قبل هيجل وهذا الأخير هو أول من درس الاغتراب بطريقة منهجية .

وخلال القرن الثامن عشر تبنت دراسة الاغتراب عدة نظريات ، ومن أهمها نظرية الحق الطبيعي ، ومن روادها هوبز الذي ميز بين حالتين للبشر ألا وهما حالة طبيعية وحالة مدنية

أ. **الحالة الطبيعية** : وتتميز بكونها عبارة على حرب الجميع ضد الجميع ، وهي تمثل الحقبة البدائية للإنسان بإعتباره كائن حيواني ، يسعى فقط وراء تحقيق غرائزه ولو بالقوة ، وبذلك يمثل الحق بصور عامة .

ب. **الحالة المدنية** : وتتميز باللجوء إلى التنازل والتسليم من أجل البقاء والحفاظ على النوع ، ففيها يتخلى كل فرد عن جانب من حقه العام في تملك كل شيء وقيام حكومة مطلقة تحفظ التوازن . ومن ثم ينتقل الإنسان من الحالة الطبيعية إلى الحالة المدنية ، وهو ما يشكل للفرد نوعا من أنواع الاغتراب الناتج عن نقل الملكية [2]

حيث يكون الإنسان في الحالة الطبيعية يتمتع بالحرية وحق الملكية ولا ينفصل عنها إلا بظهور الدولة.

[1] المرجع نفسه ، ص23.

[1] ينظر : كريمة يونسي ، الاغتراب النفسي وعلاقته بالتكيّف الاكاديمي لدى طلاب الجامعة ، ص23.

وهناك من قسم مراحل ظهور الاغتراب إلى ثلاث مراحل متتالية تمثلت في :

أولا – مرحلة ما قبل هيجل : وتمثلت فيما قلناه عن تاريخ المصطلح وما يحمله هذا الأخير من معاني .

ثانيا – المرحلة الهيجلية : -إن صح التعبير- فعلى الرغم من وجود استخدامات سابقة لمفهوم الاغتراب لهيجل إلا أنه يعد أول من استخدم المفهوم استخداما منهجيا مقصودا ، حتى أطلق عليه " أبو الاغتراب " حيث تحول الاغتراب على يديه إلى مصطلح فني"[1] . فهيجل يرى أن الاغتراب حقيقة انطولوجية تستمد جذورها من وجود الانسان في العالم.[2]

وفي تفسير – هيجل – للاغتراب قام بنقد الديانات التي أدت إلى اغتراب الإنسان عن ربه وعن ذاته وعن مجتمعه ومن أمثلة ذلك ما قاله من أن الديانة المسيحية تؤدي إلى تغريب الانسان عن ذاته . كما يرى هيجل بأن التغيرات الاجتماعية والسياسية هي التي أدت إلى السعي وراء زيادة الثروة عن طريق الحروب ، وتعود الفرد على الشرف مما أفقده الاحساس بالوحدة والانسجام وطغت عليه الأنانية التي ضاعت معها الحرية ، ورضخ عندها أفراد المجتمع لما هو واقع . وبالنسبة للديانة اليهودية فهيجل يرى بأن اليهودي هو إنسان غريب لأنه منعزل بربه ولا يعرف له وطننا خاصا به ، وهو بحاجة لمن يحميه (الله) رغم ذلك

[1] المرجع نفسه ، ص23.

[2] ينظر : فيصل عباس ، الاغتراب ،ص62.

فعلاقة اليهودي بربه علاقة العبد بالسيد . ورأى هيجل بأن الديانة اليهودية ماهي إلا ديانة شقاء تبعث من حالة التعاسة التي عانى منها اليهودي على مر العصور[1].

وهكذا فقط خط هيجل لقضية الاغتراب خطة ممنهجة واضحة المعالم.

ثالثا– ما بعد هيجل: حيث طغى المفهوم السلبي على مصطلح الاغتراب والذي اصبح يدور في أغلب الأحيان حول كل ما يهدد وجود الإنسان وحريته واعتبر الاغتراب نوعا من انواع الأمراض

2– الاغتراب عند العرب :

جاء في القاموس الوسيط لمجمع اللغة العربية في مادة غرب : غربت الشمس غروبا أي اختفت في مغربها ، وغرب القوم بمعنى ذهبوا ، وغرب فلان إذا غاب وغرب عنه تنحى ... وغرب فلان غربا بعد عن وطنه ... وغرب عن وطنه غرابة وغربة ابتعد عنه ... وغرّب فلانا : أبعده ونحاه ، وغرّب الدهر فلانا وعليه : تركه وحيدا . و (اغترب) : نزح عن الوطن واغترب : احتد ونشط واغترب فلان : تزوج في غير الأقارب ، وفي الحديث " اغتربوا ولا تضووا " والغراب جنس من الطيور ويضرب به المثل في السواد ، حيث كان

[1] ينظر: المرجع السابق ، ص 64-65.

العرب يتشآمون منه إذا نعق قبل الرحيل فيقولون غراب البين ، و(الغريب) : غير المألوف أو المعروف والغريب : الرجل ليس من القوم [1]... .

كما جاء في مختار الصحاح في مادة غ ر ب (الغربة الاغتراب) تقول (تغرب) و(اغترب) بمعنى (غريب) و(غُرُبٌ) بضمتين والجمع (الغرباء) والغرباء أيضا الأباعد .

و (اغترب) فلان إذا تزوج إلى غير أقاربه .. و (التغريب) النفي عن البلد . و (اغرب) جاء بشيء غريب و (غَرَبَ) بمعنى بعد ... و(الغَرْبُ) بوزن الضرب الدلو العظيمة[2] .

كما جاء من معاني الاغتراب في معجم العين الغربة : الاغتراب عن الوطن وغرب فلان عنا يغرب غربا أي تنحى وأغربته وغرّبته أي نحيته والغربة : النوي البعيد ، يقال : شقت بهم غربة النوى[3].

وبعد تتبعنا للمعاني اللغوية للاغتراب من خلال المعاجم السابقة يمكننا القول بأن هذه المعاني على كثرتها تعني : البعد ، والتقي – عدم وجود النسب ، والتفرد ... إلا أننا يمكن أن نردها جميعا وبشكل نسبي إلى مفهوم البعد والمفارقة والانفصال عن شخص أو شيء ما.

[1] مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط ، ج2، دار عمران ، القاهرة ، ط3 ، 1995م ، ص760-762.

[2] الامام الرازي ، مختار الصحاح ، تح : محمود خاطر ، دار المعارف ، (دط)، 1983م ، ص470-471.

[3] الخليل بن أحمد الفراهيدي ، معجم العين ،ج4، تح : مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي ، (دط) ، (دت)، ص410.

أما المعنى الاصطلاحي عند العرب المسلمين للاغتراب فهو : ابتعاد الناس عن كل مغريات الحياة الاجتماعية الزائفة الجارفة ، حيث اغترب في ضوئه الناس عما يكدر حياتهم من ظلم السلطة الحاكمة ، وأيضا من الناحية النفسية ذلك ان النفس أمارة بالسوء . ويعتبر تأنيب الضمير عند ارتكاب شيء مشين أحد أسباب القلق والاكتئاب واحتقار النفس ومن ثم يحصل الاغتراب ، ومن هنا يصبح لنا جليا أن الاغتراب في الفكر الاسلامي سلوك ايجابي رغم ما يعنيه عند الغرب من سوء إذ إن الإسلام جعل النفس البشرية أكثر اطمئنانا من خلال ابعاده عن كل الظروف المسببة للاغتراب[1].

والإسلام في حد ذاته يعتبر غريبا لأنه لم يكن موجودا من قبل ، حيث يقول – صلى الله على وسلم- في حديث مشهور له رغم تعدد رواياته " بدأ الإسلام غريبا و سيعود غريبا كما بدا فطوبى للغرباء " [2] . وقد سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن ماهية هؤلاء الغرباء رد قائلا : الذين يصلحون إذا فسد الناس ، وفي رواية أخرى قال : هم ناس صالحون قليل في ناس كثير ، ومن يعصيهم أكثر من يطيعهم.

[1] ينظر : عادل بن محمد بن محمد العقيلي ، الاغتراب وعلاقته بالأمن النفسي ، إشراف صالح بن عبد الله أبو عباة ، 2004م، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية ، ص15.

[2] محمد مشعالة دامخي ، الاغتراب عند الامام علي من خلال نهج البلاغة ، اشراف عبد القادر ، 2010/2009م ، جامعة محمد لخضر باتنة ، ص103.

وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " إن أحب شيء إلى الله الغرباء قيل ومن الغرباء قال : الفارون بدينهم يجتمعون إلى عيسى بن مريم عليه السلام يوم القيامة"[1].

وقد سمى هؤلاء بالغرباء لقلتهم بين الناس ، وبهذا المعنى فإن الغرباء هم الذين اختاروا الانتماء إلى الله سبحانه وتعالى واتباع رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم لذلك فهم لا يحسون بالوحشة في غربتهم هذه . ولكن بإنتشار الإسلام في مختلف أصقاع البلاد ودخول الناس إليه أفواجا زالت غربته ، إلا أن هذا لم يدم طويلا ذلك أن الفتنة أصابت المجتمع الإسلامي بمقتل عثمان بن عفان ، وتكالب المسلمين على السلطة والخلافة لتشغل أمور الدنيا الناس عن دينهم ، ليرجع بذلك هذا الدين غريبا كما بدأ أول مرة ، واصبح الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر من دواعي الاغتراب لأن القائمين بهذا الأمر قليلون ومذمومون أمام الحشد الهائل من الناس الذين طغى عليهم حب الدنيا والتهالك من أجل تحصيل ملذاتها .على الرغم من وعيهم بأنها دنيا فانية وغريبه عنهم ، لأن الدنيا ليست هي الدينا التي خلقوا من أجلها وهو ما يجسده قوله صلى الله عليه وسلم " كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل" . وفي هذا الصدد يقول ابن القيم الجوزية :

وحْي على جَنَّاتِ عدْنٍ فإنها منَازِلُك الأُولى وفيها المخَيَّمُ

ولكنَّا سَبْيَ العَدُو فهل تَرَى نَعودُ إلى أوْطَانِنا ونَسْلَم

وأيُّ اغْتِرَاب فوقَ غُرْبَتِنا التي لها أضْحَت الأعدَاءُ فِينا تَحْكُمُ

[1] المرجع السابق ، ص 103.

وبذلك فإن الإنسان بصفة عامة (مسلمين و كفار) غرباء عن هذه الدنيا ، ليس باختياره هو بل هو مجبر على ذلك بسبب خطيئة آدم عليه السلام ما أدركه أولئك الزاهدين في الدنيا وكذلك المتصوفة منهم ابن عربي الذي يرى أن " أول غربة اغتربناها الإشهاد بالربوبية لله علينا ثم عمرنا بطون الأمهات فكانت الأرحام وطننا فاغتربنا عنها بالولادة فكانت الدنيا وطننا اتخذنا فيها أوطانا فاغتربنا فيها بحالة تسمى السفر والسياحة إلى أن اغتربنا عنها بالكلية إلى موطن يسمى بالبرزخ فعمرناهُ مدة الموت فكان وطننا ثم اغتربنا عنه بالبعث ... فلا يخرج بعد ذلك ولا يغترب و هذه آخر الأوطان التي ينزلها الإنسان ليس بعدها وطن مع البقاء الأبدي[1].

إلا أن ما يبدو من خلال قول ابن عربي أن هؤلاء متصوفة يعيشون على هامش الحياة لا كما أراد الله أن تكون ، وبذلك فإن الاغتراب من المنظور الإسلامي ما هو إلا اغتراب عن الحياة الاجتماعية الزائفة واغتراب عن النظم الاجتماعية غير العادلة ... الخ هذا من الناحية الايجابية ، اما مفهوم الاغتراب من الناحية السلبية في الفكر الإسلامي تتمثل في " غربة أهل الباطل وأهل الفجور بين أهل الحق ، فهي غربة بين حزب الله المفلحين وإن كثر أهلها فهم غرباء على كثرة أصحابها واتساعهم ، أهل وحشة على كثرة مؤنسيهم ، ويعرفون في أهل الأرض على أهل السماء" [2].

[1] المرجع السابق ، ص107.

[2] عادل بن محمد بن محمد العقيلي ، الاغتراب وعلاقته بالأمن النفسي ، ص18.

وبـذلك يمكننـا أن نعـرف الاغـتراب بأنـه التباعـد أو التنـافر أو عـدم الحميميـة مـع الآخـر أو الانفصـال عـن شـيء مـا ، وهـذا الانفصـال عـادة مـا يكـون انفصـالا عـن الـذات أو عـن المجتمـع ... الخ .

3- أنـواع الاغتـراب : يشـكل الاغـتراب ظـاهرة إنسـانية عامـة لا ينفـرد بهـا جيـل دون آخـر وهـي موجـودة بصـور مختلفـة ، حيـث يغـترب المـرء عـن أمـور كثـيرة يصـعب حصـرها وقـد يعـبر الاغتراب عن وجوده بأساليب مختلفة ، ومن ثَمَّ أمكننا تقسيم الاغتراب إلى الأنواع الآتية :

أ. **الاغتـراب المكـاني** : ونعـني بـه الانتقـال عـن المكـان ، وهـذا المصـطلح متعلـق بالصـراع القـائم بـين الفـرد ذاتـه والبيئـة المحيطـة بـه ، وقـد تغـرب الإنسـان عـن وطنـه لعـدة عوامـل سياسـية واقتصـادية أو بسـبب صـعوبة العـيش في بعـض المنـاطق كـالعيش في الصـحراء أو العمـل خـارج الـوطن[1] ... فكـل مـن يرحـل أو يغـترب عـن وطنـه وأهلـه سـواء كـان هـذا الاغـتراب اختياريـا أو إجباريا فسيشعر دون شك بالحنين والشوق والرغبة في العودة إلى أحضانه .

ب. **الاغتـراب السياسـي** : وهـو إنقطـاع العلاقـة بـين المـواطن والدولـة وذلـك مـن خـلال سـلب الإرادة والحريـة وعـيش الفـرد في معانـاة تتركـز في تنازلـه عـن حقوقـه . ومـا ينـتج عنـه مـن رفـض لتلـك القـوانين الداخليـة والخارجيـة ، وظهـور الأحـزاب المعارضـة والمناهضـة للسـلطة وقـد يكون فرديا أو جماعيا [2].

[1] ينظر :فاطمة محمد حميد السويدي ، الاغتراب في الشعر الاموي ، مكتبة مدبولي ، ط1، 1997م،ص 3-10.

[2] المرجع السابق ، ص46.

ج. **الاغتـــراب الاجتمـــاعي** : ويتمثـــل في شـــعور الفـــرد بعـــدم التكافـــل الاجتمـــاعي أو بـالاغتراب عـن الآخـرين ، وانفصـال الفـرد عـن أفـراد مجتمعـه وثقافتـه وعاداتـه وتقاليـده ، ومـن مظـاهر الاغـتراب الاجتمـاعي النبـذ والـرفض ، حيـث يكـون بـين الأقليـات العنصـرية ومـن أهـم آثارها في العصر الجاهلي الصعلكة [1] .

د. **الاغتـراب عـن الـذات** : وهـو أهـم صـور الاغـتراب عنـد فـروم ويعـني انفصـال الفـرد عـن ذاتـه وفشـله في فهـم نفسـه ومعاناتـه وعـدم وضـوح هويتـه وعـدم معرفتـه في الوقـت الحاضـر وما يمكن أن يكون عليه في المستقبل [2] .

هـ. **الاغتراب الزماني** : هو حالة نفسية تصيب الإنسان داخل وطنه في مرحلة زمنية معينـة تجعلـه يشـعر بالغربـة بـين أهلـه وذويـه ومجتمعـه وعـدم اعـتراف مجتمعـه بمـا يسـتحقه لأنهـم يعيشون في عزلة عن معاصريهم لتعلقهم الشديد بالزمن الماضي[3] .

و. **الاغتـــراب الاقتصـــادي** : ويكـــون بابتعـــاد الفـــرد عـــن التقـــدم الصـــناعي والتكنولـــوجي الذي تعرفه الدول المتقدمة ويكون بالجهل للعلوم التكنولوجية والآلات الالكترونية الحديثة[4].

وفي الأخـير نسـتنتج أن هـذه الأنـواع تتـداخل وتتشـابك فيمـا بينهـا لأنهـا تصـب في ظـاهرة الابتعاد والانفصال عن المجتمع بكل مؤسساته ... الخ .

[1] المرجع نفسه ، ص98-99.

[2] ينظر : محمد عباس يوسف ، الاغتراب والابداع الفنّي ، دار غريب للطباعة ، القاهرة ، (دط) ، (دت) ، ص 60-61.

[3] ينظر : أشرف علي دعدور ، الغربة في الشعر الأندلسي عقب سقوط الخلافة ، دار النهضة ، (دط) ، (دت) ، ص22.

[4] ينظر : نبيلة راغب ، موسوعة الفكر الادبي ، دار غريب للطباعة ، القاهرة ، (دط)، (دت)، ص58.

4- أسباب الاغتراب : تنوع أسباب الاغتراب حيث ينقسم إلى أسباب نفسية وأخرى خارجية تتمثل في :

أ. **أسباب نفسية** : يرى بعض العلماء أن الشعور بالاغتراب النفسي مرتبط بنمو الفرد فيما يريده من تلبية حاجاته الخاصة لكن هذه الحاجات لا يمكن تلبيتها وإشباعها في وقت واحد مما يؤدي إلى التوتر والقلق واضطرابات الشخصية ووجود الصراعات بين الدوافع والرغبات المتعارضة بالإضافة إلى تراكم الفقر وعدم العدالة وفشله في شتى مجالات حياته . ويمكن تقسيم هذه الأسباب إلى نوعين أولاهما :

- **الإحباط** : وهو الشعور بخيبة الأمل والفشل والعجز التام والشعور بالقهر و تحقير الذات .

- **الحرمان** : وربما تمثل الحرمان في الفقر الذي يحسس صاحبه بعدم الحيلة لتحقيق دوافع أو إشباع ما تتطلبه الذات[1] .

ب. **أسباب اجتماعية** : وهو بطبيعة الحال مرتبط بالمجتمع الذي يعيش فيه الإنسان والذي من شانه أن يجعل هذا الإنسان غير قادر على التغلب عن مشكلات الحياة وعدم قدرته على القيام بأي دور في المجتمع مهما كان بسيطا وذلك لوجود ضغوط البيئة الاجتماعية والفشل في مقابلتها والثقافة السلبية المريضة التي تسودها عوامل الهدم والتعقيد

[1] سناء حامد زهران ، ارشادات الصحة النفسية لتصحيح مشاعر ومعتقدات الاغتراب ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط1، 2004م ، ص 107-108.

ونقص التفاعل الاجتماعي والاتجاهات الاجتماعية السالبة وسيطرة الآلة وهيمنة التكنولوجيا على الإنسان وسيطرة القيم والأفكار التسلطية .

وهناك أسباب أخرى للاغتراب مثل الأسباب الاقتصادية آثرنا التغاضي عنها لأنها تخرج عن نطاق موضوعنا .

5- مراحل الاغتراب : إن الاغتراب كأي ظاهرة إنسانية لا يأتي هكذا دفعة واحدة وإنما يمر بعدة مراحل نلخصها في ثلاث نقاط وهي :

أ. **مرحلة التهيؤ للاغتراب** : حيث تبدأ هذه المرحلة بفقدان السيطرة على الحياة والموافق الاجتماعية ، وبذلك تصبح الأشياء كلها في مرتبة واحدة وقد تتعدى ذلك الأمر إلى فقدان معاني الأشياء لديهم .

ب. **مرحلة الرفض والنفور الثقافي** : وفي هذه المرحلة يشعر الفرد بالتعارض بين ما هو موجود وبين ما هو خيالي وينعزل الفرد فيها عن أفراد مجتمعه حتى أنه ينظر إليهم على أساس أنهم غرباء عنه.

ج. **مرحلة تكيف المغترب** : وتتمثل في العزلة الاجتماعية والتمرد عن كل القيم السائدة والثورة ضدها ، وبذلك يكون المغترب في هذه المرحلة إما مندمجا اندماجا كاملا

وخاضعا لكل المواقف دون أن يكون له أثر إزاء المواقف المختلفة والمحيطة به ، بمعنى آخر أنه لا يصدر أية ردة فعل . وإما أن يقوم بالثورة والاحتجاج والوقوف ضدها[1] .

6- أبعاد الاغتراب : بما أن للاغتراب مجموعة من الأسباب فبالتأكيد سيكون له أبعاد ونتائجها نذكر منها :

أ-العجز : ويعرف أحيانا باسم " اللاقوة " وهو شعور الفرد بأنه غير قادر على تحقيق نتائج ، وأنه مسلوب الإرادة والاختيار ، وشعوره بالنقص في قدرته على السيطرة على سلوكه والتحكم في مجريات حياته والمجتمع ، وبالتالي لا يستطيع أن يقرر مصيره ويشعر عندها الفر د أن ما يخصه يملي عليه من الخارج [2].

ب-اللامعيارية : وهي غرق القيم في خضم الرغبات الشخصية الباحثة عن الإشباع بأية وسيلة ، فيشعر الفرد بإخلال المعايير الاجتماعية التي اصطلح عليها المجتمع والمتمثلة في العادات والتقاليد والأعراف وأخلاقية التعامل التي تحكم السلوك [3] .

[1] ينظر : كريمة يونسي ، الاغتراب النفسي وعلاقته بالتكيّف الاكاديمي لدى طلاب الجامعة ، ص60-61.

[2] عبد اللطيف محمد خليفة ، دراسات سيكولوجية الاغتراب ، دار غريب للطباعة ، القاهرة ، (دط)، (دت) ، ص36.

[3] ينظر : كريمة يونسي ، الاغتراب النفسي وعلاقته بالتكيّف الاكاديمي لدى طلاب الجامعة ، ص42.

ج. **اللامعنى** : يقصد به أن الفرد بريء لا معنى لها وبأن الأشياء والأحداث و الوقائع المحيطة قد فقدت دلالتها ومعناها ومعقوليتها، ومن ثم يشعر المغترب أن حياته عبث لا جدوى منها فيعيش في اللامبالاة والفراغ الوجودي [1] .

د. **التشيؤ** : وهو شعور الفرد بأنه فقد هويته ، وأنه مجرد شيء وانه قد تحول إلى موضوع ، وأنه لا يملك القدرة على تقرير مصيره وأنه مقتلع حيث لا جذور تربطه بنفسه أو واقعه[2] .

هـ. **غربة الذات** : وهو عدم قدرة الفرد على التواصل مع نفسه ، وشعوره بالانفصال عنها وعما يرغب فيه بحيث تصير حياته بلا هدف ، وهو كذلك فقدان الشعور بالذات ككل بالابتعاد عن مشاعره ومعتقداته مستجيبا لما تقدم له الحياة ليس إلاّ[3] .

و. **الانسحاب** : وهو وسيلة دفاعية يلجأ إليها الأنا للدفاع عن النفس ، حيث يعجز الفرد عن الابتعاد عن المواقف المهددة ، ومن ثمة يزيح عن نفسه القلق بأن ينسحب من المواقف أو ينكر وجود العنصر المهدد [4].

ز. **اللاهدف** : يقصد به أن الحياة تمضي بغير هدف أو غاية ومن ثم يفقد الفرد الهدف من الوجود ومن معنى الاستمرارية في الحياة ، ويترتب على ذلك اضطراب سلوك

[1] عبد اللطيف محمد خليفة ، دراسات سيكولوجية الاغتراب ، ص40.

[2] المرجع نفسه ، ص40.

[3] ينظر : كريمة يونسي ، الاغتراب النفسي وعلاقته بالتكيّف الاكاديمي لدى طلاب الجامعة، ص43.

[4] سناء حامد زهران ، ارشادات الصحة النفسية لتصحيح مشاعر ومعتقدات الاغتراب ، ص109.

الفرد وأسلوب حياته مما يؤدي إلى التخبط في الحياة بلا هدف ويضل الطريق [1]. ونلاحظ أن اللاهدف يرتبط ارتباطا وثيقا باللامعنى .

ح. **الرفض** : يتضمن الرفض الاجتماعي والتمرد على المجتمع وعدم التقبل الاجتماعي وحتى رفض الذات [2].

ط. **التمرد** : يقصد به شعور الفر د بالبعد عن الواقع ، ومحاولته الخروج عن المألوف والشائع وعدم الانصياع للعادات والتقاليد السائدة والرفض والكراهية والعداء لكل ما يحيط بالفرد من قيم ومعايير وقد يكون التمرد على النفس او على المجتمع بما يحتوي من من أنظمة ومؤسسات أو على موضوعات وقضايا أخرى[3].

من خلال ما سبق نلاحظ أن كل أبعاد الاغتراب تكاد تكون مترابطة ومتداخلة فيما بينها ، وتكمل بعضها بعضا ، بحيث لا يمكن القول بأننا لا نستطيع تفريقها إلا بصعوبة و أن لكل بعد من هذه الأبعاد أهمية وتأثيره في تحديد طبيعة اغتراب الفرد و درجة حدته .

7- الاغتراب في الشعر الجاهلي : كما سبق وأن ذكرنا – أن ظاهرة الاغتراب قديمة قدم الإنسان نفسه ، لذلك فإننا عند تتبعنا لسيرة بعض الشعراء في الفصل الأول من هذا البحث لمسنا

[1] المرجع السابق ، ص 109 .

[2] كريمة يونسي ، الاغتراب النفسي وعلاقته بالتكيّف الاكاديمي لدى طلاب الجامعة ، ص43.

[3] محمود رجب ، الاغتراب سيرة المصطلح ، دار المعارف ، القاهرة ، (دط) ،1988م، ص 40-41.

في أشعارهم تعبيرات وأبيات تدل دلالة واضحة على اغتراب أصحابها ومن مظاهر الاغتراب في العصر الجاهلي ، التي اتفق فيها كل شعراء العصر الجاهلي على حد سواء هي الوقوف على الأطلال وبكاء الديار الذي ظل السمة المميزة للشعر الجاهلي ، ومن خلالها تتجلى لنا قيمة المكان في ذلك العصر ، حيث كان المكان بكل ما فيه يمثل وسيلة يواجه بها الزمن ، إلا أنه يجده عاجز عن ذلك مما يؤدي به إلى هجرانه[1] . فيحز في نفسه ذلك الرحيل عن المكان الذي تعلق به من خلال عشقه لاحدي النساء فيه وعند الرحيل عنه يقوم الشاعر بوصف ضعائن الحبيبة الراحلة من ذلك قول زهير بن أبي سلمى :

قِفِ بالدِّيَارِ التي لم يَعْفُها القِدَم بل وغَيْرُها الأَرْوَاحِ والدِّيَم

لا الدَّارُ غَيرها بَعدِي الأَنِيسَ ولا بالدَّارِ لو كَلَّمْت ذا حَاجَة صَمَمُ

دارٌ لأَسْمَاءَ بالغَمْرَيْن مَاثِلَة كالوَحْي ليْسَ بها مِن أَهْلِهَا أَرَمُ[2]

فالشاعر هنا يقول بأن هذه الديار رغم اغتراب أهلها منذ زمن انها بقيت واقفة منتصبة لم تمح الأمطار الهاطلة آثارها .

وفي وقوف الشعراء الجاهلين على الأطلال ما هو إلا تعبير عن حياتهم القائمة على الرحلة الدائمة ، يقول تعالى " لايلاف في قريش إيلا فهم رحلة الشتاء والصيف "[3] . وهذه الآية

[1] ينظر : حسني عبد الجليل يوسف ، الادب الجاهلي ، ص 161.

[2] ، زهير بن ابي سلمى ، الديوان،تح: حمدو طماس ص59.

[3] سورة قريش ، الآية : 1.

الكريمة تؤكد على أن الحياة الجاهلية مبنية على الحل حينا والترحال حينا آخر ، وبذلك فقد جسد هؤلاء الشعراء اغترابهم المكاني أيما تجسيد ، حيث صور لنا مجتمعا بدائيا يعيش.

في اضطراب دائم ، مهددا بالخطر دائما في هذه الصحراء الموحشة[1] ، ومثال ذلك قول الحادرة :

ونُقِيمُ في دارِ الحِفَاظِ بِيُوتِنَا زَمَنًا ويظْعَنُ غيْرُنا لِلأَمْرَعِ[2]

فالشاعر في هذا البيت يعطينا تصويرا دقيقا لحياة العرب الجاهلين في الصحراء فعانى بذلك العربي من الاغتراب المكاني والذي كان من أهم أسبابه قسوة العيش في هذه الصحراء الموحشة التي تضطر الجاهلين على التنقل من مكان إلى آخر علهم يجدون الاطمئنان النفسي ومتطلبات العيش من مأكل ومشروب .

لكن هذا لا يعني لوحات الطلل ما هي إلا تعبيرا عن حل وترحال الجاهلين بل تتعدى ذلك إلى الحالة النفسية التي يعيشها الجاهلي ، فالأطلال ما هي إلا تنفسات حزينة يروح بها الشعراء عن مكبوتاتهم الدفينة في أنفسهم إزاء ما يعيشوه من قسوة الطبيعة الصحراوية وفراق الأهل والأحبة[3]، فكانت بذلك الأطلال تعبيرا عن الاغتراب المكاني والذي بدوره كان سببا في الاغتراب النفسي من ذلك قول أمريء القيس :

[1] ينظر : دزيرة سقّال ، العرب في العصر الجاهلي ، ص147.

[2] حسني عبد الجليل يوسف ، الادب الجاهلي ، ص 160.

[3] ينظر : دزيرة سقّال ، العرب في العصر الجاهلي ، ص150.

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ ومَنْزِلِ بِسِقْطِ اللِّوَى بيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ [1]

معنى ذلك أن في مقدمة الطلل ووصف الظعائن " تعبيرا عن تجربة الشاعر الحياتية التي قاسى فيها آلام رحيل الأحبة وفقدانهم ، وهو ما يشكل همّا كبيرا في نفس الشاعر عبر عنه في نصوصه العشرية بتجربة فنية متميزة[2].

فالطلل بالنسبة للشعراء الجاهلين ليس مجرد نؤى و أثار وأثاني وانما تدخل في أغوار نفس صاحبها ومحفورة فيها بكل ما تحمله من هم وحزن[3].

والاغتراب في الشعر الجاهلي لم يتجسد فقط في المقدمات الطلبية فحسب بل يمكننا القول بأن كل بيت من القصائد الجاهلية ما هو إلا تعبيرا أو صنف لحالات شعورية تفرد بهؤلاء ، حتى عند وصفهم للراحلة (الناقة ، الفرس ... الخ) وأكبر مثال على ذلك ما قاله صاحب الصحيفة المشهور "المتلمس" ، حيث أقام هذا الأخير حوار مع ناقته التي تغربت معه عن العراق بسبب الخوف من الهلاك وهو القتل من قبل عمرو بن هند ، فيقول معبرا عن اغترابه وحنينه إلى وطنه في احدى الليالي :

حَنَّت قَلْوَصِي بها والليلُ مُطْرِقٌ بعد الهُدُوءِ و شَاقَتْها النَّوَاقِيسُ

مَعْقُولَةُ ينْظُر التشْوِيقَ رَاكِبُها كأَنَّه كأَنَّها مَنْ هو للرَّمْل مَسْلوسُ

[1] إمرؤ القيس، الديوان، تح: عبد الرحمان المصطاوي ، ص 21.

[2] منى بشلم ، شعرية الفضاء في مقدمة الظعائن ، إشراف : دياب قديد ، جامعة قسنطينة ، 2009م ، ص54.

[3] حبيب مونسي فلسفة المكان في الشعر العربي ، إتّحاد كتاب العرب ، دمشق ، (دط)، 2001م ، ص20.

وقد أَلَاحَ سُهَيْلُ بَعْدَما هَجَعُوا كأنَّه ضَرَم في الكَفِّ مَقْبُوسُ

أُمِّي شَآمِيَّة إذْ لاعِرَاقَ لنا قَوْمًا نَوَدُّهُم إذ قَوْمُنَا شَوَسُ

لن تَسْلُكِي البَوَّابَة مُنْجِدَة ما عَاشَ عَمْرُو وما عَمَّرت قَابُوسُ[1]

إن المتلمس من خلال هذه الأبيات تحدث عن غربة الناقة عن العراق ، وإنها لا تستطيع الرجوع إليه ذلك أنها معقولة ، وأن بداخلها نار من شدة الشوق والحنين للوطن إلا أنه في النهاية جمع بينه وبين ناقته لنفهم من ذلك أن ما أصاب الناقة قد أصابه هو الآخر ، واستعماله لقافية السين ما هو إلا دليل على شدة الحزن والهم ، وأن ناقته لا تستطيع العودة إلى العراق لأنها معقولة وهو أيضا لا يستطيع العودة لأنه مهدد بالقتل[2]...

ما عانى الانسان الجاهلي بصفة عامة والشاعر بصفة خاصة من حقيقة مرة هي الزمان وما يخفيه له مما نغض عليهم صفو العيش ، لذلك أكثر شعراء هذا العصر من الشكوى والتأوه منه ،حيث كان من أسباب هذا الشعور حياتهم السياسية المضطربة دائما ، لأنها قائمة على الحروب الدائمة حتى أنها تقوم على أتفه الاسباب وتدوم فترة طويلة مثل حرب البسوس وحرب داحس والغبراء ، وقد كانت هذه الحروب حروب كر و فر لا حروب بطولة وانتصار ، لذلك شعر العربي بعدم الاستقرار السياسي ومن ثم فقد عانى الجاهلي من الاغتراب السياسي ، ومن ذلك قول عمرو بن كلثوم :

[1] وهب أحمد رومية ، شعرنا القديم والنقد الجديد ، سلسلة عالم المعرفة ، 1996م ، ص 183.

[2] المرجع السابق ، ص 184.

وأَيَّامٍ لنا غُزٌّ طِوَالٌ عصِينا الملِكَ فيها أَنْ نَدِينَا[1]

وقد كان الجاهليون يخافون نوائب الدهر بكل ما يحمله من أهوال ومصائب كالموت مثلا ، وكنا قد تعرضنا لما تعنيه الموت بالنسبة إليهم – وهذا هو النابغة الذبياني يشكو من عجزه في الوقوف ومواجهة هذا الدهر فيقول :

تُكَلِّفُنِي أنْ يَفْعَل الدَّهْر هما وهل وجَدْتُ قَبْلي على الدَّهْرِ قَادِرا ؟

ألم تر خير الناس أصبع نعشه على فتية قد جاوز الحي سائرا [2]

فالشاعر من خلال هذين البيتين يريد أن يقول بأن نفسه تفرض عليه حمايتها من أي مكروه ، وهذا ما جعله مهموما ، لأنه لا يستطيع الوقوف في وجه هذا الدهر الذي يجعل خير الناس محمولا في نعش .

وقد كان من نتائج هذا الهم الذي يرافق الشعراء الجاهليين ، رغبتهم الجامحة وهي الرغبة في التشيؤ ومن ثم يعيش هؤلاء الشعراء حالات من الاغتراب ، ومن ذلك قول تميم بن أبي مقبل :

ما أطيبَ العيْشَ لو أنَّ الفَتَى حَجَرُ تنْبُو المصَائِبُ عنه وهو مَلْمُومُ .

[1] ، عمرو بن كلثوم ،الديوان، تح: اميل بديع يعقوب دار الكتاب العربي ،بيروت ، ط1، 1991م، ص 81.

[2] النابغة الذبياني ، الديوان، تح: حمدو طماس، ص58.

حيث أنه من دلالات هذا البيت الآثار التي يتركها الزمن على الفرد الذي يحوله من حالة القوة إلى الضعف ، ومن حالة الجمال إلى القبح ... الخ ، لكن لو كان الإنسان حجرا فلن يتأثر مهما حصل من أهوال وأخطار يبقى حجر ، كما هو عليه ، وهذا هو السبب الذي جعل الشاعر راغبا في أن يكون شيء آخر إلا أن يكون إنسانا [1].

وقد عانى الإنسان الجاهلي أيضا من التمييز العنصري بسبب النسب الوضع أو لون البشرة فظهرت آنذاك طبقات اجتماعية مختلفة ، ومنها طبقة العبيد وهم يمثلون السود وأبناء الاماء الحبشيات كحال عشرة بن شداد الذي أنكره والده لكونه ابن امة فعانى من ذلك رغم كونه فارسا مقداما إلا أن تنكر والده له واستخدامه كعبد في أول الأمر حز في نفسه جعله يعيش غريبا بين أهله حيث يقول لمن احتقره لسواد بشرته :

يُعِيبُون لوْنِي بالسَّوَاد جَهَالَةً *** لولا سَوادُ اللَّيْلِ ما طَلَعَ الفَجْرُ

وإْن كان لَوِنِي أسْودَ فَخصَائِلي *** بيَاضٌ ومِنْ كَفِّي يَسْتَنِزلُّ القِطْرُ[2]

في ظل هذه الطبقية الاجتماعية إلا أن الجاهلين كانوا شديدي الارتباط بقبائلهم لكن هذا لا ينفي نزوعهم إلى التفرد والانعزال عن تلك القيود التي تفرضها القبيلة ، فهو شغوف بنفسه وبحريته إلى حد كبير ، لذلك راح الشعراء إلى تأكيد شخصياتهم من خلال انتهاج سلوك اجتماعي مناف لما تفرضه القبيلة . ولعل أبرز الشعراء الذين عبروا عن ذلك فئة

[1] وهب احمد رومية ، شعرنا القديم والنقد الجديد ، ص 194.

[2] عنتره بن شدّاد ، الديوان، تح: خليل خوري ص3.

الصعاليك ، الذين اختاروا الصعلكة إما إجباريا بسبب تفشي الظلم والتمييز الطبقي ، ومنهم الشنفرى و السليك بن السلكة وتأبط شرا ... الخ ولأن هؤلاء الشعراء قد أمضوا حياتهم مغتربين عن قبائلهم أطلق عليهم لقب " أغربة العرب "[1] . وهناك من الشعراء الصعاليك الذين اختاروا الصعلكة من قبل أنفسهم دون أن تقوم القبيلة بطردهم أو نفيهم أو إهدار دمائهم ... الخ وإنما اختاروها كرد فعل عن الظلم والوضع الاجتماعي المزري ولأسباب اقتصادية حيث أن هذه الأخيرة اعتبرها يوسف خليق أهم الأسباب التي أدت بهؤلاء الشعراء إلى التصعلك[2]. ويمثل هذا المذهب الشاعر الصعلوك عروة بن الورد الذي اختار الصعلكة بسبب الفقر حيث يقول لزوجته :

دعِينِي للغِنَى أسْعىَ فإنَّنِي رَأَيْت النَّاسَ شَرُّهم الفقيرُ

ويقْصِيه النَّدَى وتَزْدَرِيه خَليلَتُه و يَنْهرُه الصَّغِير

قليلٌ ذنْبُه والذَّنْب جَمْ ولكنَّ للِغنَى رَبٌّ غَفُورُ[3]

فالتصعلك إذن هو إحدى تلك الظواهر السلبية التي أدت إلى اغتراب أصحابها في ذلك العصر بسبب تمردهم عن أعراق قبائلهم هذا حسب رأي بعض النقاد ولكن هناك من يرى التصعلك ما هو إلا تعبير عن المروءة والشهامة والشجاعة ، لكن رغم ما جاء به الرأي

[1] ينظر : محمد ابراهيم أنيس ، دراسات في الشعر العربي ، دار المعارف ، ط2 ، (د ت)، ص09-10.

[2] ينظر : يوسف خليف ، شعراء الصعاليك، دار المعارف ، القاهرة ، ط3، 1978م، ص21.

[3] عروة بن الورد ،الديوان ، أمير الصعاليك ،تح : أسماء أبوبكر محمد ،دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، (دط،) ، 1998،ص125.

الثاني إلا أن المجتمع الجاهلي رفض هذه الظاهرة وأهدر الدماء للقضاء عليهم كما تبرؤوا منهم[1] .

وقد عانى المجتمع الجاهلي أيضا من الفراغ الوجودي عبر عن ذلك فرانكل حيث عرفه " الفراغ الوجودي بأنه الأثر الناتج عن إحباط إرادة المعنى أو فقدانها ويرى بأن الفراغ الوجودي ليس شيئا آخر غير الاغتراب . ذلك أن المغترب لا يوجد له أي هدف من حياته ليناظل من أجله أو قيمة يسعى لتحقيها فهو عاجز عن تقدير ذاته وأن وجدها تضيع في المجموع ، فهو لا يكون في معظم الأحيان كما يريد لنفسه أن يكون ، بل يكون على الصورة التي يردها الآخرون[2] . وهذا ما جسده قول عبيدة بن الأبرص عند كبره في وصية لأبنائه وأعمامه ، إن صحت هذه الرواية :

فأبْلِغْ بَنِي وأَعْمَامَهُم بِأَنَّ المَنَايَا لهَمُ راصِدَة

لها مُدَّةٌ فنُفُوسُ العِبَادِ إليها وإنْ جَهَدُوا قَاصِدَة

فَوَ اللهِ إنْ عِشْتُ ما سَرَّنِي وإنْ مِتُّ ما كانَتْ العَائِدَة[3]

فقد أدرك الشاعر بأنه غريب عن هذه الحياة لذلك فهو لن يفرح بطول العيش ولن يغضب لأنه مات . هذه هي بعض النماذج الحية عن اغتراب شعراء العصر الجاهلي ، وسنحاول

[1] ينظر : محمد نبيل الطريفي ، ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والاسلامي ، ج1، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، ط1، 2004م ، ص14.

[2] ينظر : محمد عبّاس يوسف ،الاغتراب والإبداع الفني ، ص80.

[3] فتحي خضر ، وصايا الآباء في الشعر الجاهلي والإسلامي ، مجلة جامعة النجاح للأبحاث ، مجلد 19، 2005، ص1184

التفصيل في هذا الأمر دلاليا في الفصل الثالث من هذا البحث والذي يحمل عنوان طرفة بن العبد بين الانتماء والاغتراب.

الفصل الثالث

الفصل الثالث : طرفة بن العبد بين الانتماء والاغتراب في نصه الشعري

إنّ في عملية الإبداع الشعري قد يستحيل الفصل بين النسغ الفردي ، و النسغ الجماعي، فالفردية المفترضة في إبداع أي عمل فني لا يمكن لها إلا أن تمد جذورها في تربة الجماعة منطقًا هدفا وفكرا ، والجماعية المفترضة في موضوعية أي عمل إبداعي لا يمكن لها أن تستحيل إبداعا فنيا إلا حين تسترفد جهد العبقرية الإبداعية الفردية، ثم تتشعب التفاصيل وتتداخل حتى يبدوا النص الإبداعي حاصل تمازج معقد لا يمكن فصل دقائقه أو إرجاعها إلى أصول واضحة ومحددة .

والشاعر الجاهلي عموما جنوح للتعبير عن نزعته القبلية والذاتية في الوقت ذاته ، ذلك أن حب الوطن نشأ مع نشوء الانسان ، بما في ذلك الوطن من ذكريات وحب للأهل والخلان ... الخ .

لذلك كان القلق يلف كيانه ، ويسطر على نفسيته من وهم الاغتراب وهجره . وبما أنه – الشاعر الجاهلي –كان لسان حال القبيلة والناطق باسمها ، نجده يستعمل في ذلك كل آليات وأنواع الانتماء إلى هذا الوطن (القبيلة) ، لكن هذه النزعة العصبية التي يتحلى بها شعراء العصر الجاهلي عموما ، لم تحل أو بالأحرى لم تلغ تفردهم واغترابهم ، في حالات معينة ، ومثالها عدم توفير القبيلة –كأعلى مستوى من مستويات الانتماء في العصر الجاهلي – متطلبات الأفراد من أمن و استقرار .....الخ.

ومن هؤلاء الشعراء الذين عاشوا صراعا بين الانتماء و اللانتماء مرات عدة خلال مراحل حياتهم ، نذكر الشاعر القتيل " طرفة بن العبد " الذي عانى ما عاناه في قبيلته ، وخارجها كما سنرى ذلك فيما بعد .

وفي هذا الجزء من بحثنا سنحاول جاهدات وقدر الإمكان الكشف عن أهم مواطن الاغتراب والانتماء من خلال دراسة أو جولة في ديوانه الصغير متبعين ذلك بسرد بسيط عن حياة الشاعر القصيرة والتي ربما استقينا أهم أحداثها من معلقته ، ولقد ركزنا اهتمامنا على هذه الأخيرة أكثر شيء لأنها تمثل ما قاله "طرفة بن العبد" .

ولقد قامت دراستنا على تعريف موجز عن الشاعر وخصائص شعره وآراء النقاد فيه، ثم استخرجنا الكثير من ملامح الانتماء، والاغتراب في شعره ،كما سيأتي :

أولاَ: طرفة بن العبد

1- نسبه: هو طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد بن مالك بن عباد بن صعصعة بن قيس بن ثعلبه[1].ويقال أن اسمه عمرو، وقيل عبيد. وسمي طرفة لبيت قاله، وهو:

لا تُعَجِّلَا بِالبُكَاءِ اليَوم مُطَرِّفَا ولا أَمِيرَكُمَا بِالدَّارِ إذْ وَقَفَا

والطرفة هي واحدة من طرفاء وهي نوع من أنواع الأشجار. وقد كنّي طرفة بن العبد بأبي عمرو وأبي إسحاق، وأبي فضلة، وهو في الحقيقة لم يكن أبا أحد، ذلك أنه لم يتزوج ولم يكن له أية أولاد.

[1] ابن قتية ، الشعر والشعراء، ص188.

2- حياتــه: إن الحـديث عـن حيـاة طرفـة بـن العبـد، أمـر يكـاد يكـون صـعبا لأن حياتـه كانـت قصـيرة، وقـد طغـت قصـة مقتلـه عـن حياتـه، الـتي أصـبحت كالأسـطورة فكـل مـرة نجـد رواية مختلفة عن التي سبقتها.

لقـد ولـد طرفـة بـن العبـد سـنة 552 بـالبحرين، لأسـرة شـاعرة فـالمتلمس خالـه والمـرقش الأصـغر عمه، والمرقش الأكبر عم عمه، وعمر بن قمئة ابن عم أبيه، والخرنق الشاعرة أخته[1].

- وجـاء في الجمهـرة "أن الـذين قـدموا طرفـة قـالوا: هـو أشـعرهم إذ بلـغ بحداثتـه سـنة مـا بلـغ القوم في طول أعمارهم، وإنما بلغ عمره نيفا وعشرين سنة، وقيل لا بل عشرين سنة[2]."

وقـد قـدم لنـا شـعره بعـض تفاصـيل حياتـه وخاصـة معلقتـه، وقـد ثبـت أن طرفـة عـاش يتـيم الأب منـذ الصـغر، لـذلك كفلـه أعمامـه، لكـنهم أسـاؤوا معاملتـه وتربيتـه، وقـد حرمـوه حقـه وحق أمه.

فمـا كـان لطرفـة إلا أن يتجـه إلى الدعّـة و التبطّـل ومعـاقرة الخمـر، ومنادمـة القيـان وتبديـد مالـه حـتى الإفـلاس، ممـا قلـب عليـه أهلـه وقومـه، وأبعـدوه عـن القبيلـة. فـتركهم مـدة قضـاها في الغـزو والتطواف، لكنه عاد إليهم ليعمل كراع عند أخيه لأبيه معبد.

وممـا تناقلـه الـرواة أن طرفـة لم يكـن حريصـا علـى إبـل أخيـه، وقـد جعلـه تفرغـه للشـعر عرضـة لغضـب أخيـه، منـذرا لـه بـأن شـعره لـن يـرد لـه إبلـه إذا ضـاعت، فقـال طرفـة "فـإنني لا أخـرج

[1] ينظر: غازي طليمات ، عرفان الأشقر ، الأدب الجاهلي، ص353.

[2] أبو زيد القرشي، جمهرة أشعار العرب، دار صادر ، بيروت ، (د، ط)، (د ت)،ص84.

فيها أبدا، حتى تعلم أن شعري يردها[1]." وحصل أن ضاعت إبل معبد فراح طرفة يطلب من ابن عمه مالك أن يساعده على ردها، ولكن هذا الأخير نهره بعنف، مما حزّ في نفس الشاعر. فلجأ طرفة إلى سيدين من أقربائه ألا وهما: قيس بن خالد وعمرو بن مرثد حيث قام بمدحهما.

فدعاه عمرو بن مرثد، وأمر أولاده السبعة بأن يعطوه عشرة إبل، وبذلك صدق قول طرفة ورد إبل أخيه بشعره وأنفق الباقي حتى نفذ. ثم رجع طرقة إلى التطواف إلى أن بلغ بلاط الحيرة، حيث كان عمرو بن هند ملكها[2].

ولأن طرفة بن العبد امتاز بالذكاء منذ كان صبيا قال لخاله المتلمس حين سمعه يقول:

وقَدْ أَتَنَاسَى الهَمَّ عِندَ اِدِّكَارِهِ بِنَاجٍ عليه من الصُّيْعَرِيَّةِ مُكَدَّمِ

"استونق الجمل" وهو لا يزال صبيا يلعب مع أصحابه، فضحك الناس وغضب المتلمس منه، ثم قال له أخرج لسانك، وأشار قائلا: ويل لهذا من هذا، ويقصد ويل لرأسه من لسانه[3].

[1] ينظر: سمير مصطفى فراج، شعراء قتلهم شعرهم، مكتبة مدبولي الصغير،ط1، 1997،ص133.

[2] ينظر: بطرس البستاني، أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، ص116.

[3] ينظر: حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب، ص234.

3- صفاته: كان "طرفة" على صغر سنه ذكيا فطنا، متوقد الذهن، مما جعله ينبغ في قول الشعر والتفوق فيه. حتى أنه بلغ بشعره ما لم يبلغه أصحاب الأعمار الطويلة[1]، كما عده بعضهم أشعر شعراء الجاهلية لإجادته وصف الناقة في معلقته على نحو لم يسبق إليه[2].

4- مقتله: كنا قد أشرنا أن قصة مقتل طرفة قد طغت عن حياته، وذلك لتعدد الروايات فيها، حتى إن طه حسين في كتابه "في الأدب الجاهلي" وصفها بالأسطورة[3].

وقد بلغ بنا الحديث عن حياته إلى غاية وصوله إلى بلاط الحيرة، حيث نادم ملكها عمرو بن هند مع خاله المتلمس، لإعجابه بشعرهما، وقد كان عبد عمرو زوج أخت طرفة سيد أهل زمانه وأكرم الناس عصرئذ، هو الآخر من ندماء الملك، وحدث أن اشتكت أخت "طرفة" شيئا من أمر زوجها لأخيها. فهجاه قائلا:

ولا خَيْرَ فيه غيْر أنَّه له غِنًى وأنَّه له كَشْحًا إذا قام أهْضَمَا

تَظَلُّ نِسَاءُ الحَيِّ يَعْكِفْنَ حَوْلَه يَقُلْن عَسِيب من سُرَارَةٍ مُلْهِمَا[4]

ولأن طرفة شب على كره الظلم، هجا الملك عمرو بن هند وأخاه قابوس لما كان لهما من ظلم الرعية. وفي مرة رأى الملك عمر بن هند خصر عبد عمرو فضحك الملك، وقال لقد صدق فيك قول طرفة وأنشد الأبيات فغضب عبد عمرو، وقال: لقد هجاك بأكثر مما قاله

[1] ينظر: أحمد الزيات، تاريخ الأدب العربي، ص61.

[2] كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ج1، ترجمة عبد الحليم النجار، دار المعارف، ط 5، (د ت)، ص92.

[3] ينظر: طه حسين، في الأدب الجاهلي، مطبعة فاروق، القاهرة، ط2، 1933، ص237.

[4] - ينظر: فتح الكبير المتعال، إعراب المعلقات العشر الطوال، مكتبة السويدي للتوزيع، ط2، 1989، ص171.

في، فرد الملك متسائلا عما قاله فيه "طرفة" فخاف عبد عمرو على صهره فقال الملك قل و"طرفة" آمن، فقال الأبيات:

فلَيْت مَكَانَ الملكِ عَمْرو رَغُوثًا حول قُبَّتِنَا تَخُورُ

مِن الزَّمُرَاتِ أَسْبَلَ قَادِمَاهَا ضَرَّتُهَا مُرَكَّنَةٌ دَرُورُ

يُشَارِكُنَا لنا رِخْلَانِ فيها وتَعْلُوها الكِباشُ فمَا تَنُورُ

لعمرك إنّ قَابُوسَ بن هِندٍ لَيَخْلُطُ مُلكَه نُوكٌ كَثيرُ

قَسَمْت الدَّهْر في زَمَنٍ رَخِي كَذَاكَ الحَكَمُ يُقْصَدُ أو يَجُورُ

لنا يومٌ وللكَرَوَانِ يومٌ تَطِيرُ البَائِسَاتُ ولا نَطِيرُ[1]

ولم يكن "طرفة" الوحيد الذي هجا الملك، بل حتى خاله المتلمس، فاشتد غضب الملك منه، وأراد قتله، إلا أنّه خاف من هجاء المتلمس له لمكانته، فأضمرها في نفسه، وكره العجلة عليه. وعند قدوم "طرفة" وخاله على الملك يرجوان فضله، كتب لهما كتابين إلى عامله بالبحرين لقتلهما، زاعما أنه أمر لهما بجوائز. وفي طريقهما شكّ المتلمس في أمر الصحيفة، لذلك طلب من غلام وجداه أن يقرأ له ما بصحيفته فإذا فيها السوء فألقاها في النهر، أما "طرفة" واصل طريقه. وعند وصوله أعطى الصحيفة إلى عامل الملك في البحرين، فطلب هذا الأخير من "طرفة" الهروب للقرابة التي تربطه به لكنه أبى، وقال: اشتدت عليك جائزتي فأدرت أن أهرب وأجعل لعمرو بن هند على سبيلا، كلا والله، لا

[1] – طرفة بن العبد، الديوان، تح: عبد الرحمان المصطاوي ،ص45.

أفعل ذلك أبدا، فما كان من عامل الملك إلا أن يحبسه ويبعث لعمرو يطلب منه أن يرسل غيره لقتل "طرفة". ففعل الملك وأرسل إليه تغلبي من الحواثر يقال له أبو ريشة الذي قام بقتله والعامل.

- وتقول رواية أخرى بأن عبد عمرو قال للملك عن الأبيات التي هجاه فيها طرفة عندما خرج الملك وعبد عمرو ذات مرة للصيد، فأصاب الملك حمارا فعقره وقال لعبد عمرو انزل إليه، فنزل إليه فأعياه، فضحك الملك وقال لقد أبصرك طرفة حين قال: وأنشده الأبيات، فغضب عبد عمرو وقال للملك أبيت اللعن الذي قاله فيك أشد مما قاله في، وأنشده الأبيات، فقام الملك بإرسال صاحبنا مع صحيفته المشؤومة إلى عامله بالبحرين يأمره بقتله وقتل المتلمس. وفي طريقهما إلى هناك إذ هما بشيخ يحدث ويأكل الخبز ويتناول القمل من ثيابه فيقصعه، فقال المتلمس ما رأيت كاليوم شيخا أحمق! فقال الشيخ ما رأيت من حمقي أخرج خبيثا وأدخل طيبا وأقتل عدوا، أحمق مني والله من حامل حتفه بيده. فدخل قلب المتلمس الشك، لذلك نجا المتلمس من القتل أما طرفة فلم يسمع لكلام خاله فكانت نهايته القتل، وقيل أنه خُيِر في طريقة موته فاختار أن يشمل ثم يقتل[1].

وهناك المزيد من الروايات حول مقتل طرفة بن العبد إلا أننا نكتفي بهذا القدر.

وبذلك قتل طرفة بن العبد في ريعان شبابه، قتل وعمره ست وعشرين سنة كما أخبرت بذلك أخته في رثائها له:

[1] ينظر: ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص182، 186.

نَعِمْنَا بِه سِتًّا وعشرين حُجَّةً فلمَّا تَوَفَّاهَا اسْتَوَى سَيِّدا فَحْمَا

فُجِعْنَا به لما اسْتَتَمَّ تَمَامَه على خَيْرِ حَالٍ وليدًا ولا قَحْمَا

5- شعره: لقد نبغ "طرفة" في الشعر منذ طفولته، وأجمعت المصادر على أنه أحدث الشعراء سنا وأقلهم عمرا. وهو أشعر الشعراء بعد امريء القيس ولهذا ثنى بمعلقته[1].

وقد أورده بن سلام الجمحي بين شعراء الطبقة الرابعة، وقال فيه "فأما طرفة فأشعر الناس واحدة فهي:

لِخَوْلَةَ أطْلاَلٌ بِبِرْقَةِ ثَهْمَدِ وَقَفْتُ بها أَبْكِي و أَبْكِي إلى الغَدِ

وتليها أخرى مثلها وهي:

أَصَحَوْتَ اليَوْم أم شَاقَتْك هِرُّ ومن الحُب جُنُون مُسْتَعِرْ[2]

وذكر بأنه من المقلين لذلك حمل عليه شعر كثير. وقد كانت معلقته من أنفس الشعر الجاهلي من جهة وأجود ما قاله "طرفةّ من جهة أخرى. حيث بدأت بالوقوف على الأطلال ثم وصف الظعائن، ثم وصف للحبيبة، ليعرج بعد ذلك إلى ناقته والتي أطال في وصفها وأغرب لذلك جعل النقاد يشككون في نسبتها له وقالوا بأنها محمولة عليه[3].ثم تفرغ الشاعر لغرض الفخر الذاتي، مصرحا عن سعيه وراء لذاته، والمتمثلة في الفروسية والخمر

[1] هاشم صالح مناع، من روائع الأدب العربي، ص51،

[2] غازي طليمات، عرفان الأشقر، الأدب الجاهلي،ص357.

[3] ينظر: محمد الخضر حسين، نقض كتاب في الشعر الجاهلي، المكتبه الأزهرية للتراث، ط2، 1990، ص544.

والمرأة لينهي معلقته بعتاب مرير لابن عمه مالك-مذكور سابقا- دون أن ننس ما تخلل المعلقة من حكم حول الحياة والموت، وظلم ذوي القربى...الخ

- **خصائص شعره:** إن أكثر ما اتصف به شعر "بن العبد" هو سهولة الألفاظ مع غرابتها -خاصة عند وصف الناقة- وهي في مجملها متينة قوية مؤيدة للمعنى الذي سيقت له على الرغم ما فيها من غرابة -أحيانا- حتى أننا لا نستطيع أن نفهمها إلا بالرجوع إلى المعجم.

- **الواقعية والصدق:**" وانعكس ذلك على معاينة وصوره ومشاعره، فهو لا ينادي بقيم لا يطبقها تطبيقا عمليا، ولا يسرف في صورة يرسمها، ولا يعبر عن شعور لم يخالط أعصابه، فالاعتدال والدقة والصدق ومحاكاة الواقع والأمانة في نقل الحقائق تطالعك في أكثر شعره[1]."

- **طغيان المشاعر على الأفكار:** بما أن "طرفة" من أسرة شاعرة كما أنه نشأ في بيئة كثرت فيها النفوس المرهفة، وشدة إحساسه بالألم متولد عن ظلم أعمامه، كل ذلك أدى إلى طغيان مشاعره على أفكاره والتي أضفت عليها قوة في التعبير مع ما تغمره من عواطف متفجرة.

[1] غازي طليمات، عرفان الأشعر، الأدب الجاهلي، ص368

- **تـأثر خيالـه بالحضـارة:** وقـد تـأثر شـاعرنا بمظـاهر الحضـارة، حيـث لمسـنا في شـعره رقـة الحضـارة وقسـوة البـداوة وتـرف القصـور، وشـظف الخيـام، وكـل هـذا تـراءى لنـا مـن خـلال تشبيهاته الحسية والتي طغت على معظم شعره[1].

شـيوع السـفن في شـعره حـتى أن هنـاك مـن سمـاه بشـاعر البحـر في العصـر الجـاهلي، فلطالمـا رسـم لنـا "طرفـة" بشـعره لوحـات جميلـة عـن البحـر والسـفن، حـتى أنـه شـبه ظعـائن الحبيبـة بالسفن في قوله:

كَأنَّ حُدُوجَ المالِكِيَّة غُدْوَةٍ خَلاَيَا سَفِينٍ بِالنَّوَاصِفِ مِنْ دَدِ[2]

ولعل مرد ذلك إقامته في الخليج، وأيضا هو ابن البحرين[3].

وقـال أبـو عبيـدة، مـر لبيـد بمجلـس الهنـد بالكوفـة' وهـو يتوكـأ علـى عصـا، فلمـا جـاوز أمـروا فـتى مـنهم أن يلحقـه فيسـأله مـن أشـعر العـرب؟ ففعـل، فقـال لـه لبيـد: الملـك الضـليل، يعـني امـرأ القـيس، فرجـع فـأخبرهم ، قـالوا: ألا سـألته ثم مـن؟ فرجـع فسـأله، فقـال: ابـن العشـرين يعـني طرفة[4]."

[1] المرجع نفسه ، ص368.

[2] طرفة بن العبد، الديوان، تح: عبد الرحمان المصطاوي ، ص26.

[3] أحمد عطية، أدب البحر، ص34.

[4] ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص189.

وبذلك يكون طرفة بن العبد الشاب النابض بالحياة وبالشعر، وهو الفعل الذي فكر فطغت على تفكيره العاطفة الفياضة ومخيلته الساخبة التي لم تخرج عن الصدق، والواقعية، و"طرفة" على تطرفه وضخامة ألفاظه، رقيق قريب إلى القلب، نحبه وإن أبغضنا انحراف سيرته، وبعض آرائه، ونحترم على كل حال نفسه التي تألمت ويئست، ورب نفس كبيرة يجني عليها ظلم ذوي القربى[1].

ثانيا : طرفة بن العبد المنتمي :

يقول فضل الله : " الواقع أن الشاعر الجاهلي شخص منزلته تفوق منزلة البشر عموما، إنه نبي قبيلته وزعيمها في السلم وبطلها في الحرب، إنه مرآة تنعكس عليها الصورة المثالية للجماعة القبلية " [2] ويقول في موضع آخر " الشعراء يقومون بدور الأساتذة والمصلحين وهم يرشدون الناس بشعرهم ويجعلون سبل المكارم ممهدة لطلابها [3].

ومن خلال هذا القول، يتسنى لنا التحدث عن وجود ظاهرة الانتماء في الشعر الجاهلي ، ومن هؤلاء الجاهلين المتحدث عنهم نذكر" طرفة بن العبد " الذي طالما لمسنا ملامحا لانتمائه في شعره، سواء على الصعيد الفني والاجتماعي ، أما على الصعيد الفني نلمس انتماء شاعرنا الثقافي لشعراء عصره ، وقد تمثل لنا في عدة نقاط نذكرها كالآتي .

[1] – حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ العرب، ص238.

[2] فضل الله ، وظيفة الشعر عند العرب القدامى ، مجلة القسم العربي ، جامعة بنجاب لاهور باكستان ، العدد : 18 ، 2011 ، ص 160 .

[3] المرجع نفسه ، ص 161 .

1- تتبع طرفة بن العبد لشكل القصيدة الجاهلية في أكثر من موضع، لعل معلقة لخولة أطلال أكبر دليل على ذلك ، وإلا بماذا نفسر ما ذهب إليه النقاد جعله من الفحول ، - أصحاب المعلقات – الذين يمثل شعرهم النمط الجاهلي الممارس للتقاليد الفنية الشائعة ، وقد كنا تحدثنا عن نمط القصيدة الجاهلية في فصلنا الأول من هذا البحث ، وقد اخترنا لذلك نموذجاً من معلقته

أ. **الوقوف على الأطلال** :

لِخَولةَ أطْلالٌ ببرْقةِ ثَهْمَدِ تلوح كبَاقِي الوَشْمِ في ظَاهِرِ الْيَدِ

وُقُوفًا بها صَحْبِي عَلِيَّ مَطِيَّهُم يقولُون لا تَهْلِك أسًى وتَجَلَّدِ

ب. وصف الظعائن :

كَأنَّ حدوجَ المالكيَّةِ غُدْوةً خَلَايَا سَفِين بالنَّواصِفِ من دَدِ

يشق حباب الماء حيزومها بها كما قسم التراب المفايل باليد

ج. وصف الحبيبة :

وفي الحَيِّ أحْوَى يَنْفُضُ المرْدَ شَادِنٌ مُظَاهِرُ سِمْطَيْ لُؤْلُؤٍ وزَبَرْجَدِ

ووَجْهٍ كأنَّ الشَمسَ ألْقَتْ رِدَاءَهَا عليه نَقِيُّ اللَّونِ لم يَتَخَدَّدِ

د. وصف الناقة :

وإنِّي لأُمضِي الهَمَّ عند احْتِضَارِهِ بعَوْجَاءَ مِرْقَالٍ تروحُ وتَغْتَدِي

تُبَارِي عِتَاقًا نَاجِيَاتٍ وأَتْبَعَتْ وظِيفًا وَظِيفًا فوق مَوْرٍ مُعَبَّدِ

هـ. فخر ذاتي :

ولسْتُ بَحلَّالِ التِّلاعِ مخَافةً ولكنْ متى يَسْتَرْفِدِ القَومُ أرْفُدِ

متى تَأْتِنِي أَصْبَحْكَ كأسًا رَوِيَّةً وإنْ كنتَ عنها غانيًا فاغْنَ وازْدَدِ

و. وصف لحياته :

ومازالَ تَشْرَابِي الخُمورَ ولذَّتِي وبَيعِي وانْفَاقِي طَرِيفِي ومُتْلَدِي

إلى أنْ تَحَامَتْنِي العَشيرةُ كُلُّها و أُفْرِدْتُ إِفْرادَ البَعيرِ المعَبّدِ

ولولا ثلاثٌ هُنَّ مِنْ عِشَيةِ الفَتَى لعَمْرك لم أحفلْ متى قام عُوَّدِي

ز. حكم :

أرَى العيشَ كَنْزًا ناقِصًا كلَّ لَيلةٍ وما تنقُصُ الأيامُ والدَّهرُ ينفذِ

لعمرك إنَّ الموتَ ما أخْطأَ الفَتَى لكا الطِّوَلِ المُرْخَى وثِنْيَاهُ باليدِ

ح. شكوى وعتاب وهو الغرض الرئيسي الذي قيلت المعلقة من أجله :

فمَالِي أَرَانِي وابْنَ عَمِّي مَالِكًا متَى أَدْنُ منه يَنْأَ عَنِّي ويَبْعُدِ

نعم إن هذه الأبيات تدل دلالة قاطعة لانتماء الشاعر إلى عصره من هذا الجانب.

2-إنّ خصائص شعر طرفة بن العبد ما هي إلاّ جزء من خصائص الشعر الجاهلي عموما ومن أمثلة ذلك :

أ. خضوع شعره لقانون الانفعالية الطارئة ، ومثاله في وصف طرفة لعوجائه المرقال عند قوله :

أَمُونٍ كأَلْوَاحِ الإِرَانِ نَصَأْتُهَا على لَاحِبٍ كأنَّه ظَهْرُ بُرْجِدِ

لنلاحظ أنه تارة يتحدث عن ضربه لها حتى تسرع ، ثم يرجع إلى القول بأنها ناقة سريعة بحيث يمكنها أن تباري النوق الكرام عند قوله :

تُبَارِي عِتَاقًا نَاجِيَاتٍ وأَتْبَعَتْ وظِيفًا وظِيفًا فوق مَوْرٍ مُعَبَّدِ

ب. الصدق والواقعية : فكما أن الشعر الجاهلي يتميز بالصدق والواقعية كذلك تميز شعر "طرفة بن العبد" بهذا ، فشعره كان مرآة عاكسة لحياته بكل صدق وذلك في قوله :

ولولا ثَلاثٌ هنَّ مِنْ عِيشَةِ الفتَى لعَمرُك لم أحفِلْ متى قام عُوَّدِي

فهو يسعى لتحصيل ملذاته من الحياة ، والمتمثلة في الخمر والفروسية والمرأة حتى أنه لم يأبه لنظرة مجتمعه الذي نبذ فلسفته في الحياة وهو ما يؤكد لنا صدق شعره .

ج _ اعتماده على المادية وهي من أهم خصائص الشعر الجاهلي ، وذلك من خلال استعماله التشبيهات الحسية، حتى أنها تصل إلى أكثر من تشبيه في البيت الواحد نحو قوله :

ووجْهٍ كأنَّ الشَّمسَ ألقَتْ رِدَاءَها عليْه نَقِيُّ اللَّوْنِ لم يَتَخَدَّدِ

د _ التشابه بين شعره وشعر إمرئ القيس ، حتى أن هناك شبه بينهما في نفس المعنى والألفاظ، وهو من باب الموارد على سبيل السرقات الشعرية يقول امرؤ القيس :

وُقُوفًا بها صَحْبِي عَلِيَّ مَطِيَّهُم يقُولُونَ لا تَهْلِكْ أسًى وتَجَمَّلِ [1]

ويقول طرفة بن العبد :

وقوفا بها صَحْبِي عَلِيَّ مَطِيَّهُم يقُولُون لا تَهْلِك أسًى وتَجَلَّدِ [2]

ومن خلال ما تقدم ، لا يمكننا أن ننفي حقيقة انتماء طرفة الثقافي، بل إنه متشبع بثقافة عصره ، فلو كان غير ذلك لما جاء شعره مطابقا في خصائصه الفنية الشعر الجاهلي بصفة عامة .

وقد لمسنا أنواعا أخرى وعلى مستويات مختلفة لانتماء طرفة بن العبد ، سنطرحها فيما يأتي:

وقد تمثّل انتماء طرفة بن العبد المكاني أكثر شيء في معلقته ، حيث كانت هذه الأخيرة غنية بلوحات البحر ، وهذا إن دل عن شيء إنما يدل على قوة تعلق طرفة بمكان ولادته كيف لا وهو ابن البحرين ، فمنذ ولادته تفتحت عيناه على عالم البحر والسفن ، كما كان مسكنه ومساكن قومه تطل على مياه الخليج [3] .

ومن صور البحر الدالة على انتماء شاعرنا المكاني نذكر :

عَدَوْلِيَّةٍ أو مِنْ سَفِينِ ابْنِ يَامِنٍ يَجُورُ بها الملَّاحُ طَورًا ويَهْتَدِي

[1] امرؤ القيس، الديوان ، تح: مصطفى عبد الشافي، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط 5 ، 2004 ، ص 111 .

[2] طرفة بن العبد ، الديوان ،تح: عبد الرحمان المصطاوي ، ص 25 .

[3] أحمد عطية ، أدب البحث ، ص 34.

يَشُقُّ حُبَابُ الماءِ حَيْزُومُهَا بِهَا كَمَا قَسَمَ التُّرْبَ المُغَايِلُ بِاليَدِ[1]

إن ما يمكننا التوصل إليه من خلال هذه الأبيات ، خبرة الشاعر الواقعية بعالم البحر ومياهه وسفنه ، حتى بلغ به أن يجمع بين عدة أنواع من السفن في بيت واحد .

وقد استعمل طرفة خبرته البحرية – إن صح التعبير – حتى في وصفه لناقته فشبّه:

عنق الناقة الطويل ، الصاعد سريع الحركة وهي ترتفع في جريها كالسفينة فيقول :

وأَتْلَعُ نَهَّاضٌ صَعَّدَتْ بِه كَسُكَّانِ بُوصْيٍّ بِدِجْلَةَ مُصْعِدِ [2].

ولعل هذا يعتبر من قبيل الانتماء الثقافي، لأنه كثيرا ما ذكر الشعراء العصر الجاهلي للبحر والسفن ، ولعل أكبر دليل على ذلك قول امرئ القيس :

ولَيْلٍ كَمَوْجِ البَحْرِ أرْخَى سُدُولَه عَلَيَّ بِأَنْوَاعِ الهُمُومِ لِيَبْتَلِي [3].

وكذلك قول النابغة الذبياني في قوله :

فمَا الفُرَاتُ إذَا جَاشَتْ غَوَارِبُهُ ترمِي أَوَاذِيُّه العِبرْينِ بالزَّبَدِ

يمده كل واد مُتْرَعٍ لجَِبِ فيه حُطَام مِنَ اليَنْبُوتِ والخَضَدِ

يظَلُّ مِنْ خَوفِهِ الملَّاحُ مُعْتَصِمَا بالخَيْزرَانة بعد الأيْن والنَّجَدِ [4].

وقد ظهرت لوحات البحر والسفن في ثنايا القصائد الجاهلية وقد اكتفينا نحن بهذا القدر ، لنبحث عن طرفة المنتمي في جوانب أخرى من قصائده. ونبدأ دائما بما جاء في المعلقة :

[1] طرفة بن العبد، الديوان، تح: عبد الرحمان المصطاوي، ص

[2] المصدر نفسه ، ص 30 .

[3] مصطفى عبد الشافي ، ديوان إمرئ القيس ، ص 117 .

[4] أحمد عطية ، أدب البحر ، ص 40 .

البيت الشعري	شرحه	نوع لانتماء	الصفحة
إذا القَومُ قَالُوا مَنْ فَتًى؟ خِلتُ أنِّي عُنِيتُ فلم أكْسلْ ولم أتَبَلَّدِ	يقول : إذا ناب أمر جلل ، فنادى القوم و قالوا من لهذا الأمر ظننت أني عنيت بذلك فبادرت إليه، ولم أتثاقل عنه.	انتماء اجتماعي	31
ولسْتُ بِحَلَّالِ التِّلاعِ مخَافةً ولكنْ متى يَسْتَرْفِدُ القومُ أرْفُدِ	لا يحل طرفة ، حيث يستتر من الناس حتّى لا يراه ابن السبيل والضيق ، وإنما كان ينزل الفضاء ويرفد من يسترفده . وقد قصد بالتلاع هنا مجاري الماء التي تصب في الوادي ،	انتماء اجتماعي	31

	وهي تستر من نزل فيها.[1] ونلاحظ ذكر للماء مرة أخرى في شعر طرفة ليؤكد لنا ما ذكرناه سابقا .		
متى تَأتِنِي أصْبَحْكَ كأسًا رَوِيَّةً وإنْ كنْتَ عَنْها ذَا غِنًى فاغْنَ وازْدَدِ	يقصد الشاعر في قوله أصبحك كأسا أي أسقيك صبوحا وهو شرب الغداة و الروية والمروية، والكأس يعني به الإناء الذي يوجد به خمر.	انتماء اجتماعي	32
فإنْ تَبْغِنِي في حلْقَةِ القَومِ تَلقَنِي وإنْ تَقْتَنِصْنِي في الحَوانِيتِ تَصْطَدِ	طرفة شاب متواجد في المكان الذي يريده الناس أن يكون فيه،	انتماء اجتماعي	32

[1] يوسف الأعلم الشمنتري ، شرح ديوان طرفة بن العبد ، مطبع برطند ، (د ط) ، 1900 ، ص 24 .

	سواء كان الحانة أو في اجتماعات القوم .		
وإنْ يَلتقِي الحَيُّ الجميعُ تُلَاقِنِي إلى ذُرْوَةِ البَيْت الرَّفِيعِ المصَمَّدِ	طرفة عضو أساسي ومهم ، وفي اجتماعات القوم، ذلك أنهم يحتكمون لرأيه، بل إنّهم يلجؤون إليه في حوائجهم .	انتماء اجتماعي	32
نَدَامَايَ بِيضٌ كالنُّجُومِ وقَيْنَةٌ تروحُ إلَيْنا بيْن بُرْدٍ ومُحْسَدِ	كما أنه لا يشرب الخمر لوحده، بل هناك من يشاركه ، وهم أصحابه ومن بينهم القيّان.	انتماء اجتماعي	32
لِخَوْلَةَ أطْلَالٌ ببُرقَةِ ثَهْمَدِ تلوحُ كبَاقِي الوَشْمِ في ظَاهِرِ اليَدِ	يتحدث الشاعر عن بقايا الآثار، والتي تركها	انتماء مكاني	25

	قوم خوله بعد رحيلهم عنه، وما تركته نفسه من حزن.		
وقُوفًا بها صَحْبِي عَلِيَّ مَطِيَّهُم يقولُون لا تَهْلِك أسًى وتَجَلَّدِ	يثبت لنا طرفة أنه لم يمر بهذه الأزمة لوحده وإنما هناك أصحاب قاموا بمواساته .	انتماء اجتماعي	25
فمَالِي أرَانِي وابْن عَمِّي مالِكًا متى أدْنُو منْه يَنْأَ عنِّي ويَبْعُدِ	رغم ابتعاد ابن عم طرفة عنه ، ورفضه لمساعدته لكن طرفة بقي مصرا على الاقتراب منه لصلة القرابة التي تجمعه به .	انتماء اجتماعي	35
وقَرَّبْتُ بالقُربَى وجَدِّك أنَّه	بمعنى أدللت على ملك		35

متى يَكُ أمْرٌ للنَّكِيثَةِ أَجْهَدِ	ابن عمي بالقرابة وأنه متى يقع أمر يبلغ فيه أقصى المجهود من النفس أشهده ، فعلى الرغم من نبذ ابن عم طرفة له إلا أننا نجده يؤكد لنا أنه سوف يقف إلى جانبه مهما كان الأمر .	انتماء اجتماعي	
وإنْ أُدْعَى لِلْجُلَّى أَكُنْ مِنْ حُمَاتِهَا وإنْ يَأْتِكَ الأعْدَاءُ بالجَهْدِ أجْهَدِ	ويبقى هنا الشاعر القتيل في نفس سياق البيت السابق و اللاحق، بأنه سوف يقف إلى جانب ابن عمه رغم جفائه في الشدة و المصائب .	انتماء سياسي	35
وإنْ يَقْذِفُوا بالقَذْعِ عِرْضَك أسْقِهِم	وهو أيضا مستعد أن		35

بشُرْبِ حيَّاضِ الموتِ قبْل التَّهَدُّدِ	يقتل دون أن يهدد كل من يرمي بنسب ابن عمه بما يسوؤه .	انتماء اجتماعي	
بلا حَدَثٍ أَحْدثْتُه وكمُحْدِثِ هِجائِي وقَذْفِي بالشَّكَاةِ ومُطْرَدِي	فعل ابن عمي ما فعل بلا حدث ولا جرم كان مني إليه ، ولأنه يرى بأنه هو و ابن عمه واحد فقد وجد في هجاء ابن العم له وكأنه محدث منه ، فهذا الأخير إذا قام بإيذاء طرفة فكأن نفس طرفة أذاته .[1]	انتماء اجتماعي	35
فلوشَاءَ ربِّي كنْتُ قَيْسَ بن خالدِ	قال طرفة هذا البيت ،		35

[1] المرجع السابق، ص 34 .

ولو شاءَ ربِّي كنْتُ عَمْرَو بن مُرْثَدِ	ليمدح كلاً من قيس بن خالد وعمر بن مرثد لمساعدته في استرداد ابل أخيه وخاصة هذا الأخير الذي قام بمساعدته مع أبنائه السبعة وأحفاده الثلاثة .	انتماء اجتماعي	
و أصْبَحْتُ ذا مالٍ كثيرٍ وزارَنِي بَنُونَ كِرَامٌ سَادَةٍ لِمُسَوَّدِ	يقول هنا إذا أصبح غنيا ، فبالتأكيد سوف يزوره أبناء السادة طلبا لكرمه .	انتماء اقتصادي اجتماعي	35
فإنْ مِتُّ فانْعِينِي بما أنا أهْلُهُ وشُقِّي عَلَيَّ الجيْبَ يا ابنةَ مَعْبَدِ	يطلب طرفة بن العبد هنا من ابنة أخيه أن تنعاه بعد وفاته بكل الصفات الحميدة التي	انتماء اجتماعي	35

	كان يتصف بها في حياته .		
فلو كنْتُ وَغْلًا فِي الرِّجَال لضَرَّنِي عَداوةُ ذِي الأصْحَابِ والمتَوَحِّدِ	يروي لنا طرفة في هذا البيت عن قوته وهو وسط جماعته .	انتماء اجتماعي	35
تُبَارِي عِتَاقًا نَاجِيَاتٍ واتْبعَت وظِيفًا وظِيفًا فوْق مَوْرٍ مُعَبَّدِ .	يخبرنا الشاعر هنا بأن ناقته تستطيع مجاراة كرام النوق على طريق واضح المعالم .	انتماء اجتماعي	27
أَمُونٍ كَأَلْوَاحِ الإِرَانِ نَصَأْتُهَا على لَاحِبٍ كَأَنَّه ظَهْرُ بُرْجِدِ	وتمر ناقة طرفة به في طريق معبد بفعل كثرة المارين به . ومن هنا نجد هذه -المرقال حسب طرفة- مؤمن عثارها ، ذلك أنها تمشي على طريق	انتماء اجتماعي	31

	مستوية		
عَلَى مِثْلِهَا أمْضِي إذا قالَ صَاحِبِي أَلَا ليَتْنِي أفْدِيكَ مِنْها وأَفْتَدِي	يقول على مثل هذه الناقة يمضي إذا ما قال إذا ما قال له صاحبه بأنهم هالكون من خوف الصحراء، حتما سوف يفديه طرفة بمعنى يحميه كما سيحمي نفسه .	انتماء اجتماعي	40
إذا أنْتَ لم تَنْفَعْ بِودِّك قُرْبَهُ ولم تَنُكْ بالبُؤْسِيّ عَدُوَّكَ فابْعِدِ .	يعيب طرفة على الذين لا يقومون بقهر أعدائهم ويأمرهم بالابتعاد كونهم غير جديرين بنسبهم لهؤلاء القوم .	انتماء اجتماعي	40

وبعد انتهائنا من شرح أبيات المعلقة سوف نبين مواطن الانتماء فيها من خلال السياقات والدلالات المختلفة .

فمن خلال السياق المقامي والظروف الخارجية التي عاش فيها طرفة بن العبد من ظلم الأعمام والقبلية معا أدى بنا إلى اكتشاف حالة من تضخم الأنا عنده ، وهو بهذا يبحث عن قهر للاغتراب الحاصل له واثبات ذاته وهويته .

ومن خلال هذا التضخم للأنا لمسنا في شعره العديد من عادات الجاهلين ، وتعد صفة الكرم أهمها . لذلك لم يكن طرفة يحل في أماكن مختفية وإنما كان يقري ضيوفه وخاصة الخمر الذي يعد الشراب المفضل لدى طرفة بصفة خاصة والجاهلين بصفة عامة . كما أنه متواجد حيث أراده قومه – في حلفة القوم أو في الحوانيت – رغم ما في هذا القول من تناقض لكننا إذا أدخلناها ضمن اثبات طرفة لذاته المضطهدة لذلك فهذا التواجد وهذه الفعالية لطرفة داخل مجتمعه جعلته في مقام عالٍ، فكل هذا الذي تحدثنا عنه يمثل لنا انتماء طرفة الاجتماعي. كما أن هناك مواقع أخرى لاحظنا فيها انتماءه الاجتماعي سنأتي على ذكرها .

وقد جسد لنا طرفة انتماءه المكاني كغيره من شعراء عصره – وعلى اختلاف الأماكن – يعبّرون عن موقف جماعي اقتضته طبيعة البيئة الجاهلية التي عاشوا فيها ، لذلك لم يكن للشاعر أن ينسلخ من قومه ليتبع حبيبته رحل أهلها [1] .

[1] ينظر: عائشة عبد الرحمان بنت الشاطي ، قيم جديدة للأدب العربي القديم والجديد ، دار المعارف ، ط 2 ، ص 39 .

وعلى عادة الجاهلين أيضا ، لم يكن الشاعر يقف لوحده على أطلال الحبيبة وإنما يكون معه أصحابه ، سواء كان هؤلاء الأصحاب حقيقيون أم وهميين ، من ذلك قول إمرئ القيس:

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ ومَنزِلِ بِسِقْطِ اللِّوَى بيْن الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ

وهذا يؤكد ما قلناه ،إذ أنه يكفينا أن يشعر طرفة بأن هناك من يقف معه و يواسيه لنقول بأنه منتمٍ إلى غيره وليس وحيدا .

وقد وقفنا عند أبيات رأينا فيها دفاع طرفة بن العبد المستميت عن انتمائه لأسرته من خلال مقابلة اساءة ابن عمه له ، بالإحسان إليه والدفاع عنه متى تطلب ذلك فلوم مالك لطرفة وعدم مساعدته على استرداد ابل أخيه ، لم يقف حاجزا انتماء طرفة له ، فكل هذا نابع من عاطفة طرفة الصادقة تجاه ابن عمه ، ويظهر لنا ذلك من خلال الدلالة الصوتية المعبرة عنها عن طريق التنغيم والتي بدت لنا من خلال غرض الأبيات المتمثل في العتاب ،كما أن المثل الشائع يقول ما يلومك إلا حبيبك ومن هذا المنطلق نلمح انتماء طرفة لأهله .

وفي وصف طرفة بن العبد لناقته ، نجده يذهب بها في طرق معبدة ولا يمكن أن تكون هناك طرق معبدة في منطقة صحراوية ،الشيء الذي يدل دلالة قاطعة على أن هذا الطريق الذي يرتاده طرفة بناقته إنما هو طريق يرتاده الكثير من المارين ، فهو ما يبين لنا أن هذا الطريق لا يرتاده طرفة لوحده ، وبالتأكيد بما أن هذا الطريق كثير المارين فإن في نهايته مورد للرزق ، وفي هذا يقول زهير بن أبي سلمى :

قد جعل المبْتَغُونَ الخَيْرَ مِنْ هَرَمٍ والسَّائِلون إلى أبْوابِه طُرُقًا [1].

وعلى كل حال ، فإن ما لاحظناه من هذه الأبيات المختارة من المعلقة تجسد الانتماء الاجتماعي بكثرة ،وقد لمسنا هذا من خلال سيرة شاعرنا ، الذي وجدناه لم يستطع التحلل من انتمائه القبلي ، ذلك أنه رجع نادما بعدما قامت القبيلة بطرده وهذا إن دل على شيء إنما يدل على عدم رغبة طرفة في الابتعاد عن قبيلته و أهله .

كما أن في طلبه من ابنة أخيه بنعيه عند وفاته لدليل قاطع على انتماء طرفة لأسرته وأنه يشعر بعاطفة الحب نحوهم ، فلو لم يكن هذا الشاعر يرغب في التقرب من أخيه معبد وأفراد أسرته لما طلب ذلك من ابنة أخيه (معبد) ولكان طلب ذلك من أخته الخرنق التي رثته دون أن يطلب منها ذلك .

وحديثنا عن أخت الشاعر يقودنا إلى حالة من حالات انتماء طرفة لأفراد أسرته وذلك من خلال ذكرنا لسبب قوله الأبيات الآتية الذكر ، والتي قالها في حق عبد عمرو زوج أخته ، لأن هذه الأخيرة اشتكت شيئا من أمر زوجها لأخيها فقام شاعرنا بهجائه، وهو ما يدل على أن طرفة قد غضب لغضب أخته، ولم يجد شيئا يرد به عمّا تحسه أخته إلا قول هذه الأبيات :

البيت الشعري	شرحه	نوع الانتماء	الصفحة
يا عَجبًا مِنْ عَبدِ عَمرٍو وبَغْيِه	يتعجب الشاعر من ظلم	انتماء	77

[1] زهير بن أبي سلمى، الديوان، تح: على حسن فاعور، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط 1 ، 1988 ، ص 77 .

لقد رامَ ظُلمِي عَبدُ عَمرٍو فَأنْعُمَا .	عبد عمرو لزوجته وأحس بأن هذا الظلم وكأنه موقع عليه هو لا على أخته .	اجتماعي	
ولا خَيْرَ فيه غيْر أنَّه له غِنًى وأنَّ له كَشْحًا إذا قام أهْضَمَا	يجرد هنا طرفة بن العبد عبد عمرو من صفات الرجال وشبهه بالمرأة ، فقال بأن له خصرا أهضما يتبين هضمه عند قيامه .	انتماء اجتماعي	77
يظَلُّ نسَاءُ الحَيِّ يعكُفن حوْله يقلْن : عَسِيبٌ مِنْ سَرَارَة مَلْهَمَا	ولأن عبد عمرو يشبه المرأة فهو محبب لدى نساء قومه وكأنه عسيب من نخل .	انتماء اجتماعي	77
له شَرْبَتَان بالنَّهَارِ وأرْبَعٌ مِنَ اللَّيلِ حَتَّى آضَ سُخْدًا مُوَرَّمَا	وقد أكثر عبد عمرو من الشرب حتى صار منتفخا وكثر لحمه ، حتى كأنه يتورم	انتماء اجتماعي	77

كأنَّ السِّلاَحَ فوْق شُعْبَةِ بَانَةِ تَرى نَفْخًا وَرْدَ الأَسِرَّةِ أسْحَمَا	جســـمه يشـــبه في لينـــه ورخاوته بالبلنة و هي شجرة ضعيفة لينة.	انتماء اجتماعي	77

إن مـا جـاء في هـذه الأبيـات ، إنمـا يـدل دلالـة قاطعـة علـى انتصـار طرفـة بـن العبـد لأختـه المظلومـة مـن قبـل زوجهـا ، وهـو مـا تبينـاه مـن خـلال الظـروف الـتي قيلـت فيهـا هـذه القصـيدة. وجسد لنا بذلك طرفة مرة أخرى انتماءه الاجتماعي والذي كان يدور في مستوى الأسرة .

وفي موضـع آخـر مـن ديـوان طرفـة بـن العبـد، عثرنـا علـى نـوع آخـر مـن الانتمـاء، ألا وهـو الانتمـاء السياسـي ، وسـاعدنا في ذلـك تعرفنـا للظـروف الخارجيـة الـتي قبلـت فيهـا القصـيدة والتي تمثلت في :

نشـوب نـزاع بـين قبيلـتي تغلـب وبكـر بسـبب ناقـة البسـوس وجمـل كليـب ، حيـث قتـل كليـب تلـك الناقـة – المـذكورة سـابقا – فـأحس أخـو جليلـة – زوجـة كليـب – بالإهانـة تجـاه هـذا العمـل تجـاه ناقـة خالتـه البسـوس ، فقتلـه ليثـير هـذا حزنـا شـديدا في نفـس المهلهـل الـذي قـرر أن يقتل بكليب العديد من القبائل وأولها قبيلة البكريين فقال :

قتَلوا كليبًا ثم قالوا : ارتَعَواْ كذَبُوا لقد مَنَعَوا الجِيادَ رُتُوعَا

كَلَّا ، وأنْصَابٌ لنا عَادية معبُودَة قدْ قُطِّعَت تَقْطِيعَا

حتَّى أُبِيدَ قَبيلةً وقَبيلةً و قَبيلةً وقَبيلتْين جَمِيعًا

وتَذُوقُ حَتْفا آلَ بَكرٍ كُلِّها ونَصُدُّ مِنْهَا سَمْكَها المرْفُوعَا

وقد كان هناك الحارث بن عباد الذي قرر اعتزال هذه الحرب ، لأنه لا ناقة له فيها ولا جمل، ولكن لتمادي الزير سالم في قتل البكريين ، قرر أن يفديهم بولده جبير أو يجير – على اختلاف الروايات– وبعث به إلى الزير ليقتله مكان كليب ، ويحقن بذلك دماء العرب، لكن ما كان من الزير إلا أن قتل جبير بشسع نعل كليب ، فأحس الحارث بن عباد بالإهانة ، وقرر دخول حرب مع البكريين ضد تغلب ، وكان قد أمر البكريين بحلق رؤوسهم حتى يتمكنوا من التعرف على بعضهم البعض ، لأن الحرب دارت رحاها في الليل

وقد كان هذا اليوم لبكر على تغلب ، فقام طرفة يقول الأبيات الآتية ، يصف فيها ما كان ، ويفتخر بقومه لانتصارهم على تغلب ، فكل هذه الظروف السياسية المتوترة التي عاشها طرفة مع قومه ، وانتصارهم على تغلب بعد حرب دام سنين طويلة من الزمن جعلت طرفة يحس بالفخر والعزة بقومه ، هذا القوم الذي سفكت دماءه من أجل جمل وناقة ، ذاق جراءها البكريون الويلات من بني تغلب يقول طرفة في هذا اليوم :

البيت الشعري	شرحه	نوع الانتماء	الصفحة
سَائلُوا عَنَّا الّذِي يَعرفُنا بقُوَانا يَومَ تِحْلاقِ اللِّمَمْ.	يقول: اسالوا عنا من يعرفنا، ليخبركم بما فعلنا في هذا اليوم.	انتماء سياسي	83
يومَ تُبْدِي البِيضُ عَنْ أسْوَاقِهَا وتَلُفُّ الخَيْلَ أعرَاجَ النِّعَمْ	وأنّهم أخلق الناس وانهم شديدي القتال في الحرب.	انتماء سياسي	83

كَامِلٍ يَحْمِلُ آلاءَ الفَتَى نَبِهٍ سَيّدِ سَادَاتٍ خِضَمْ	انتماء اجتماعي	تصفون بكل الصفات التي كان الجاهليون يمجدونها، وأهمها صفة الكرم.	83
خيْرُ حيٍّ مِنْ مَعَد عُلِمُوا لِكَفَيّ ولِجَارٍ وابنِ عَمّ يَجْبُرُ المحْرُوبَ فِينَا مَالَه ببنَاءٍ وسَوَامٍ وخَدَمْ	انتماء اجتماعي	وأنّهم يجيرون مسلوب المال كما يجيرون الجار وابن العم. ويعطون هذا المسلوب سواما حتى يكون كأحد منهم وينسبونه إليهم.	83
نُقُلٌ للشَّحْمِ في مْشْتَاتِنَا نُحُرٌ لِلنِّيَبِ طُرّادُ القَرَمْ	انتماء اجتماعي	وإذا كان الشتاء، واشتد الزمان نقلنا الشحم إلى الضيف وإلى الجار،وننحر النيب، ونطعم فيذهب بذلك القرم عن الناس.	84
وتَفَرَّعْنَا مِنْ ابْنَيْ وَائِلٍ هَامَةَ العِزِّ وخُرْطُومَ الكَرَمْ	انتماء اجتماعي	يقول: قوم بكر فرع من فرعي ابني وائل شجعان، وعلونا على	84

	الفرع الثاني تغلب،وأننا دائما في المقدمة.		
حين يَحْمِي النّاسُ نَحْمِي سِرْبَنَا واضِحِي الأوْجُهِ معرُوفِي الكَرَمْ	وأنّهم يحمون أموالهم،ولا يخافون الحرب كما أنّهم لا ينزعجون منها.	انتماء اجتماعي	84
وتَفَرَّى اللَّحْمُ مِنْ تِعْدَائِهَا و التَّغَالي، فَهْيَ قُبٌّ كالعَجَمْ	هذه الخيول تقطع وتسبق الخيول الأخرى عند التباري في العدو والتعداد وهي بذلك تشبه العجم في صلابتها وضمرها، والعجم هو النوى.	انتماء سياسي	85
خُلُجُ الشَدِّ مُلِحَّات إذا شالَت الأيْدِي عليْها بالجِذَمْ	هذه الخيول شديدة السرعة والنشاط إذا قام راكبها بضربها بالسوط، فتلح بذلك على السير وتديمه وبكثرة.	انتماء سياسي	85

قُدُمَا تَنْضُو إلى الدَّاعِي إذا خَلَّلَ الدَّاعِي بدَعْوَى ثُمَّ عَمْ		تتقدم هذه الخيل مسرعة إلى الداعي وهو المستصرخ المستغيث، وقوله خلل أي خص بالدعوة وعم دعاء العم الأكبر الذي يجمع العشيرة كلها، بمعنى يعم بدعائه واستغاثته الناس جميعا.	85
بشَبابٍ وكُهولٍ نُهُدٍ كلِيُوثِ بيْن عِرْيَسِ الأَجَمْ	انتماء سياسي	شبه شباب وكهول قومه كالأسد الذي يحمي عرينه وهم متعاونون في ذلك ، ولهذا شبههم بالليوث في جرأتهم، وقد خص ليوث الأجم لأنّها أشد اقداما وحملة لحمايتها أجمتها (العرين)[1]	85
تُمْسِكُ الخَيْلَ على مَكْرُوهِهَا حينَ لا يُمْسِكُ إلاَّ ذُو كَرَمْ	انتماء سياسي	" قوله على مكرومها أي نربط الخيل،ونحسن إليها على ما تكره	85

[1] ينظر :يوسف الأعلم الشنتمري، شرح ديوان طرفة بن العبد، ص 110.

		من ارتباطها لشدة الزمان و صعوبته حتى لا يقدر على إمساكها إلاّ الكريم .	
نَذَرُ الأَبْطالَ صَرْعَى بيْنَها تَعْكِفُ العِقْبَانَ فِيها و الرَّخَمْ.	انتماء سياسي	وقوله: تعكف العقبان فيها أي يقمن حول الصرعى يأكلن لحومهم والبطل الشجاع سمي بذلك لأنّ شجاعة غيره تبطل عنده"[1].	85

ويعد تتبعنا لشرح هذه الأبيات، وجدنا فيها ما ينبئ بحق، عن شدة انتماء طرفة بن العبد، واكثر ما تجلى لنا فيه ذلك، هو اكثاره من صيغة النحن عكس ما رأيناه في المعلقة من تضخيم للأنا.

ولعل اكثاره من ضمير (النحن) يقودنا الى إجراء مقارنة بينه وبين شاعر بني تغلب عمرو بن كلثوم من خلال ما قاله هذا الأخير في معلقته، التي أظهر لنا فيها عن تعصبه الشديد لقبيلته وقومه واعتزازه بنسبه إليها، ذلك أنه من أهم مظاهر نزوع الفرد نحو قبيلته هو حرصه الشديد على النسب والاعتزاز به،لأنه أقوى صلة تربطه بقومه، وتشتد أواصر العصبية

[1] المرجع نفسه، ص 111.

معهم، وأن يجعل الأجداد والآباء الذين ينتمون إليه في مقام السادة، وقد ظهر لنا صدى ذلك في أبيات "طرفة" في الأبيات السابقة ،كما تجلت في معلقة عمرو بن كلثوم، حتى قيل" قد بلغ من شغف تغلب بقصيدة شاعرها الفارس عمرو بن كلثوم، أن ظلت لمدى أجيال ترويها دون سأم أو ملالة وتحفظها أبناءها استثارة لحميتهم وإذكاء لنخوتهم حتى قال الشاعر من بكر:

أَلْهَى بَنِي تَغْلُب عنْ كُلِّ مَكْرُمَةٍ قَصيدَةٌ قالَها عَمْرُو بن كلثُوم.

يفاخِرون بِهَا مُذْ كانَ أوَّلهُم يا للرِّجَال لفَخْرٍ غَيْرُ مَسْؤُومٍ[1].

ومن جملة أبيات معلقة عمرو بن كلثوم التي طالما رددناها في هذا البحث نذكر:

ورثْنا مَجْدَ عَلْقَمَةَ بن سيْف أباحَ لنا حُصُونَ المجَدِّدِينَا.

ملأْنا البِرَّ حتَّى ضَاقَ عنَّا ونحنُ البَحْرَ نَمْلَؤُهُ سَفِينَا

وأنَّا المانِعُون لما أرَدْنَا وإنَّا النَّازِلُون حيْث شِينَا[2].

وقصيدة عمرو بن كلثوم هذه على طولها- إلا أننا نجد فيها تواجدا مهيبا لضمير (النحن) إذ أننا عندما قمنا بإحصاء عدد هذا الضمير سواء كان ظاهرا أو مستترا معوضا عنه بنون المضارعة أحيانا ونون الجماعة أحيانا أخرى،فوجدنا عددها مئة وخمس وثلاثين مرة من ضمن مئة وتسعة عشرة بيتا بينما وجدنا عددها اثنين وعشرين مرة من أصل اثنين وعشرين بيتا،أي ما يعادل ضميرا واحدا في كل بيت منها.

[1] عائشة عبد الرحمان بنت الشاطي، قيم جديدة للأدب العربي القديم والمعاصر، ص 28.

[2]، عمرو بن كلثوم، الديوان، تح:اميل بديع يعقوب ص91.

ومن هنا نلاحظ الفرق بين انتماء الشاعرين لقبيلتيهما، "فطرفة" لم يكن انتماؤه قويا كما لمسناه عند عمرو بن كلثوم، لأن هذا الأخير كان سيدا في قومه- كما ذكرنا سابقا- بينما قام قوم "طرفة" بإبعاده عن القبيلة إبعاد البعير المعبد، لكنه رغم ذلك لم يستطع التخلي عن قبيلته وقومه، وهم يعيشون حالة حرب طويلة المدى، ومن هنا يمكننا أن نطرح هذا السؤال: أليس موقف طرفة في نصه هذا نموذج الالتزام القبلي المحض؟ إنه يواجه استصغار شأنه وافراده بالدفاع المستميت عن حقه في الانتماء. ولقد تجسد لنا هذا في أكثر من موضع حتى في المواضع التي لمسنا فيها حالة اغترابه، ذلك أنه كان يخاطب قبيلته من خلاله هو، لأنه قد التزم بكل واجبات العصبية وإلا بماذا نفسر افتخاره بقبيلته في أكثر من قصيدة، كما في قوله:

البيت الشعري	شرحه	نوع الانتماء	الصفحة
ولقد تَعْلَمُ بَكْرُ أَنَّنَا آفَةُ الجُزْرِ مَسَامِيحٌ يُسُرْ	يقول طرفة في هذه الأبيات بأن قومه حسنوا الأخلاق لأنهم متسامحون ميسورون.	انتماء سياسي	52

ولقد تعلُم بَكْرُ أنَّنَّا واضِحُوا الأَوْجِهِ في الأزْمَة غُرْ ولقد تعلمُ بكرُ أنَّنَّا فاضِلُوا الرَّأْي وفِي الرَّوْعِ وُقُرْ	ويأخذون برأي أبناء القبيلة على رأي الغير وأنهم ثابتون عند الروع وعدم خوفهم.	انتماء سياسي	52
فُقَدَاءُ لبَنِي قَيْسِ على ما أصابَ النَّاسَ مِنْ سُرٍّ وَضُرٍّ	يثبت لنا طرفة قيمته بين أهله، كونه يقول: بأن نفسه فداء لبني قيس، على ما أصاب الناس من أمر مهما كان هذا الأمر فرح أو قرح.	انتماء اجتماعي	54
ولقد كنْتُ عَلَيْكُمْ عَاتْبًا فَعَقَبْتُمْ بِذَنُوبٍ غَيْرُ مُرْ	يذكر لنا طرفة هنا عن إدراك قبيلته لقيمته بينهم، و رجعوا عما قالوه في حقه.	انتماء اجتماعي	54

		انتماء	
كنتُ فِيكُمْ كالمغَطِّي رَأْسَهُ فانْجَلَى اليَوْمَ قِنَاعِي وخُمُرْ	لكن هذا حصل بعدما توقف هو عما كان منه من لهو واستهتار وشرب للخمر.	اجتماعي انتماء اجتماعي	54
سَادِرًا أَحْسَبُ غَيِّي رَشَدًا فتَنَاهَيْتُ وقد صَابَتْ بِقُرْ	كان طرفة يظن أن ما كان منه من عدم مبالاة ودعّة وتبطل ما هو إلا ظنا منه بأن هذا هو الواجب القيام به.	انتماء	54
ثم راحُوا عَبَقَ المِسْكُ بِهِم يلحقُونَ الأرضَ هدَّابَ الأُزُرْ	وأنهم رغم كثرة شربهم إلا أن رائحة المسك تظل ملازمة لهم ولاصقة ،وأنّهم يجرون أوزارهم	اجتماعي	54

	على الأرض ومختالين بذلك.		
ورِثُوا السُّؤْدُدَ عنْ آبَائِهِمْ. ثمَّ سَادُوا سُؤْدُدًا غيْر زُمُرْ نحنُ فِي المشْتَاةِ نَدْعُو الجَفَلَى لا تَرَى الأَدَبَ فِينَا يُنْتَقَرُ	يقول : قومه أبناء أسياد، ورثوا السيادة عن آبائهم. وأنّهم في فصل الشتاء يدعون جميع الناس إلى الطعام، ولم يخصوا دعوتهم	انتماء اجتماعي	51

إنّها مرة أخرى يدافع فيها طرفة بن العبد عن حقه في الانتماء. وبما أنّه لم نستطع ايجاد الظروف المحيطة بقول هذه الأبيات عن ذلك من خلال سياق الكلام اللغوي .

وقد توصلنا إلى إنّه في ثنايا هذه الأبيات، يوجد رضا بين طرفي النزاع، القبيلة من جهة و"طرفة" من جهة أخرى، ربما يكون مردّه إلى عودة طرفة إلى قبيلته نادما عما بدر منه قبل إفراده، هذا ما أكّدته كتب تاريخ الأدب التي أقّرت بعودة "طرفة" بعد طرده من القبيلة، وكانت هذه الأخيرة قد قبلت رجوعه إليها على ألاّ يعود إلى ما كان منه في السابق.

ومن هذه الحيّثية يمكننا القول بانتماء طرفة وعدم رضوخه العيش بعيدا عن أهله وعشيرته، وأثبت بذلك هويته لذاته أولا ثم لقومه، لذلك نجده راح يفتخر بهذا القوم الذي احتواه مرة أخرى ولم يرفضه، بأن حشر نفسه معهم وقد عبر عن ذلك باستعماله ضمير المتكلم نحن، ولم يستعمل ضمير الغائب هم.

وانصهرت بذلك ذاته في ذات الجماعة. وقد قال "طرفة" العديد من القصائد جراء ما حصل له، سنعمد إلى ذكر بعضها مع بعض الشرح.

البيت الشعري	شرحه	نوع الانتماء	الصفحة
إنِّي مِنَ القَوْمِ الَّذِين، إذَا أَزِمَ الشِّتَاءُ ودُوخِلَتْ حُجَرُهْ	أراد الشاعر إذا اشتد برد الشتاء يوما	انتماء اجتماعي	55
يومًا، و دُونِيَتْ البِيُوتُ له فثَنى قُبَيْلَ رَبِيعِهِمْ قُرَرُهْ	واقتربت البيوت، وأجدب الزمان وعم القحط على القبيلة.	انتماء اجتماعي	55
رَفَعُوا المنِيحَ وكَانَ رِزْقَهُم	ورفع المنيح إن	انتماء	56

في المَنَقِّيَاتِ يُقِيمُهُ يَسَرُهْ	يضرب به ويستعمل في المسير وقوله كان رزقهم أي سبب رزقهم لأنّهم يأكلون، ما أحرزوا من سهام الجروز.	اجتماعي	
شَرْطًا قَوِيمًا لَيْسَ يَحْبِسُهُ لما تَتَابَعَ وِجْهَة عُسُرُهْ	وقوله شرطا قويما كأنّه يجعل بينه وبينهم علما لا يجاوزنه وقوله عسره أراد لا يحبس عسره أي ليس هنالك عسر يحبسه والعَسْر العُسْر ومعنى تتابع وجهة أي أخذ طريقة واحدة والوجهة والجهة	انتماء اجتماعي	56

	سواء[1].		
تَلْقَى الجِفَانَ بِكُلِّ صَادِقَةٍ ثُمَّتْ تُرَدَّدُ بَيْنَهُمْ حِيَرُهْ	فنجد القصاع الكبيرة مملوءة بقطع اللحم	انتماء اجتماعي	56
وتَرَى الجِفَانَ، لدَى مَجَالِسِنَا مُتَحَيِّرَاتٌ بَيْنَهُمْ سُؤُرُهْ	والشحم بين يدي الضيوف، ويأكلون هم ما تبقى منه	انتماء اجتماعي	56
فكَأَنَّها عَقْرى لدَى قُلُبٍ يَصْفَرُّ، مِنْ أَغْرَابِهَا صَقَرُهْ	كما يشربون ما تبقى من ماء البئر أو البركة لأنّهم في قحط.	انتماء اجتماعي	56
إنَّا لَنَعْلَمُ أنْ سيُدركُنا غَيْثٌ يُصِيبُ سَوَامَنا مَطَرُهْ	وأنّهم رغم هذا القحط وهذه الشده متيقنون بأنّهم سوف	انتماء ديني	56

[1] طرفة بن العبد ، الديوان، تح: عبد الرحمان المصطاوي ، ص: 56.

	يخصبون ويصيب المطر سوامهم، والسوام هو المال الراعي .		
وإذا المغِيرَةُ للهِيَاجِ غدتْ بِسُعَارِ مَوْتٍ ظَاهِرٍ ذُعُرُهْ	وأنّهم إذا استعدّوا للحرب لا يحسبون لحياتهم حساب في سبيل الدفاع عن القبيلة	انتماء سياسي	56
ولو أَعْطَوْنَا الَّذِي سُئِلُوا مِنْ بَعْدِ مَوْتٍ سَاقِطٍ أُزُرُهْ.	حتى أنّه إذا سقط الإزار عن الرجل منهم فلا يشعر به أولا يعلم بذلك. وحتى إن علم فلا يمكنه شده لشدة ما هو فيه.	انتماء سياسي	56

إنَّا لنَكْسُوهم وإنْ كَرِهُوا ضَرْبًا يَطِيرُ خِلَالَهُ شَرَرُهْ	ثم يصف بأسهم في هذه الحرب وتغلّبهم على العدو.	انتماء اجتماعي	56
وَالْمَجْدُ نُنْمِيهِ ونُتْلِدُهُ والحَمْدُ فِي الأَكْفَاءِ نَدَّخِرُهْ	وأنّهم يصنعون المجد حتى يصبح صفة ملازمة لهم ليصيروا أكفاء في الشرف.	انتماء اجتماعي	56
نَعْفُو كَمَا تَعْفُو الجِيَادُ عَلَى العِلَّاتُ والْمَخْذُولُ لَا نَذَرُهْ	وأنّهم لا يقابلون السوء بالسوء بل يزيدون العطاء مثل الجياد التي تسرع رغم ما بها من مشتقة.	انتماء اجتماعي	57
إنْ غَابَ عنْه الأقْرَبُون ولم يُصْبَحْ بِرَيّقِ مَائِهِ شَجَرُهْ	وأنّهم لا يذرون المخذول الذي غاب عنه أقرباءه، وخذله	انتماء اجتماعي	57

	أنصاره وحيدا وإنّما يأخذوا بيده.		
إنَّ التَّبَالِي فِي الحَيَاةِ ولَا يُغْنِي نَوَائِبَ مَاجِدٍ عُذَرُهْ. كُلُّ امْرِئٍ فيمَا أَلَمَّ به يومًا يَبِينُ مِنُ الغِنَى فُقُرُهْ.	ويختم هنا طرفة بن العبد قصيدته بحكمتين، تتحدثان عن غنى النفس الغنى المعنوي لا الغنى المادي فربما يكون الشخص غنيا إلا أنه يفتقر للراحة والأمان بين أهله، الشيء الذي يجعله شحيحا بخيلا لا يحب إلا نفسه .	انتماء اجتماعي	57

فعلى الرغم من كون شاعرنا لم يكن على وفاق دائم مع قبيلته- كما رأينا- إلا أن هذا لم يمنعه من الافتخار بهم وذكر مناقبهم، فهو بهذا نراه واقفا ومدافعا عن حقه في الانتماء، ساعيا إلى تحقيق هويته الشخصية بذلك.

ومن الشعراء الذين طالما افتخروا بانتمائهم لقبائلهم، وتعصبوا عليها أيّما عصبية حتى أنّ هناك أبيات منها ما يزال يردد حتى الساعة على ألسنة الناس،نذكر منهم دريد بن الصمّة حين يقول:

أَمَرْتُهُمْ أَمْرِي بِمُنْعَرِجِ اللِّوَى فلم يَسْتَبِينُوا الرُّشْدَ إِلَّا ضُحَى الغَدِ

فلمَّا عَصَوْنِي كُنْتُ مِنْهُمْ وقد أَرَى غِوَايَتِهِمْ وأَنَّنِي غيْرُ مُهْتَدِى

وما أَنَا إلاَّ مِنْ غُزَيَّةَ إنْ غَوَتْ غَوَيْتُ وإنْ تَرْشُدْ غُزَيَّةَ أَرْشُدِ[1].

حيث أن ما تمليه هذه الأبيات، ما هو إلا تمسك بأعراف القبيلة والالتزام بما تمليه على أفرادها في شتى الحالات، سواء كانت هذه القبيلة مصيبة فيما تمليه من عادات وتقاليد وغيرها أو كانت مخطئة.

فدريد بن الصمة هنا ألغى هويته الذاتية وغلّب الجماعية، فهو بذلك وبكل فخر يظهر لنا انتماء أعمى- إن صح التعبير- للقبيلة ظالمة كانت أو مظلومة.

وهذا ما رفضه "طرفة" ولم يقبل به ذلك أنه شبّ على كره الظلم لما أصابه من أعمامه وعشيرته. ومن هنا فطرفة لم يستطع تقبل أعراف القبيلة إذا ما كانت ظالمة. وقد بان لنا

[1] عبد الغني احمد زيتوني، الانسان في الشعر الجاهلي، ص: 53.

ذلك من خلال هجائه للملك عمرو بن هند، رغم إكرام هذا الأخير له لظلمه لرعيته وعدم عدله.

لكن هذا لا يعني أن طرفة لم يكن يشعر بالعصبية القبيلية تجاه قبيلته، وإلا كيف يمكننا تفسير افتخاره بقومه يوم تحلاق اللمم، وفي مرات أخرى عدة. لكن الفرق بين هذين الشاعرين في أن الأول —دريد بن الصمة– كان ينظر إلى قبيلته من خلال نظرة الجماعة، بينما نظر إليها الثاني–طرفة بن العبد –من خلال نظرته الخاصة به–وحسب رأينا–فإن انتماء طرفة هو انتماء موضوعي أكثر منه عند دريد بن الصمة، لأن طرفة سوف لن ينتصر إلى قبيلته في حالة ما إذا كانت ظالمة ، بعكس ما قاله الآخر.

ومن هنا فطرفة قد تحلى بالموضوعية إلى أقصى الحدود في انتمائه لقبيلته أو حتى في انتماءاته التي اكتسبها خلال تطوافه في البلاد. وربما يكون مرد ذلك أنّ طرفة لم يجد في قبيلته التقدير والاحترام الذين يمكن لأي شاعر جاهلي التحلي بهما في قومه.

أمّا دريد رأى أنّ في عصيان قومه له خطأ فيه هو، ولم يعتبر ذلك تمردا منهم. —وبما أنّ قصديتنا الماضية قد ختمت بحكمة، لا ضير إن واصلنا عملنا مع هذا المجال. يقول طرفة في:

البيت الشعري	شرحه	نوع الانتماء	الصفحة
إذا كُنْتَ في حَاجَةٍ مُرْسِلًا فَأَرْسِلْ حَكِيمًا ولَا تُوصِهْ	يريد طرفة هنا، انّه إذا أردت شيئا فأرسل	انتماء اجتماعي	59

	حكيما ولا توصه، لأنّه لا يمكن أن يزّل أو يخطي[1].		
وإنْ نَاصِحٌ مِنْكَ يومًا دَنَا فَلَا تَنْأَ عنه ولا تُقْصِه	ثم يقول: إذا أتاك من ينصحك فلا تبتعد عنه، فربما يكون لنصحه فائدة.	انتماء اجتماعي	59
وإنْ بَابُ أَمْرٍ عَلَيْكَ الْتَوَى فَشَاوِرْ لَبِيبًا ولا تَعْصِه	وإذا استعصى عليك أمر فشاور أصحاب العقول الراجحة، بشرط أن تطبق ما يقوله لك.	انتماء اجتماعي	59

[1] المصدر نفسه، ص: 60.

و ذُو الحَقِّ لا تَنْتَقِصْ حَقَّه فإنَّ القَطِيعَة فِي نَقْصِه	ولا تنقص من حقوق ذوي الحق فإن النقص يكون في هجرانهم.	انتماء اجتماعي	59
ولا تَذْكُرِ الدَّهْرَ في مَجْلِسٍ حَدِيثًا إذا أنتَ لم تُحْصِه	وأنّ تقل ما أنت واثق به ومضبوط.	انتماء اجتماعي	59
ونُصَّ الحديثَ إلى أهْلِهِ فَإنَّ الوَثِيقَةَ في نَصِّه	ولا تنسب حديث غيرك إليك، لكي يكون كلامك محكما.	انتماء اجتماعي	59
ولا تَحْرُصْ قُربَ امرئٍ حَرِيصٍ مُضَاعٍ على حِرْصِه	ولا تكثر من الحرص لأنّه يمكن أن تضيع للإفراط في الحرص.	انتماء اجتماعي	60
وكم مِنْ فَتًى سَاقِطٍ عَقْلُه وقد يُعْجِبُ النَّاسَ مِنْ شَخْصِه	وكم يوجد من أشخاص ساقطين لكنهم يستطيعون	انتماء اجتماعي	60

	فرض أنفسهم على غيرهم لقوة شخصياتهم .		
وآخَرَ تَحْسِبُه أَنْوَكًا ويَأْتِيكَ بالأَمْرِ مِنْ فَصِّه	فلا تستحقرنّ أحدا، ولا تغرنك المظاهر فربما يكون من استحقرته ذو قيمة عند غيرك، كما يمكن أن يأتيك أحمق بلب الموضوع أو صلبه.	انتماء اجتماعي	60

تعتبر هذه الأبيات مجموعة من الحكم، وقد احتوت هذه الحكم على مجموعة من النصائح، فاذا قلنا نصائح علينا أن نقف عند هذه الكلمة التي تدل على وجود طرفين ناصح ومنصوح وبذلك نستطيع القول أن طرفة يبحث عن مصلحة قومه، ومن هنا نقول أن شاعرنا قد أبدى لنا انتماءه إلى قومه بتقديمه هذه النصائح لهم.

-بما أن القبائل المتفرقة في حالة تحفز دائم فهي إمّا مهاجمة وإمّا هدف لعدوان. فلم تزل الحروب مستمرة بينهم، والغارات ثائرة فيهم، وقد امتنعوا على سلطان يقهرهم، ويكف

الأذى عنهم ، فحفظوا أنسابهم ليكونوا بذلك متظافرين على خصومهم، و متناصرين على من شاقهم وعاداهم، لأنّ تعاطف الأرحام، وحمية الأقارب يبعثان على التناصر والألفة ويمنعان من التخاذل والفرقة، أنفة من استعلاء الأباعد على الأقارب وتوقيا من تسلط العزباء الأجانب، لذلك كثر الفخر القبلي عصر ذاك[1] لكن هذه لا يأتي شيئا أمام قسوة الطبيعة الصحراوية، ومحاولتهم صد هذه الظروف بأن وقفوا صامدين أمامهم; ولم يقوموا بمغادرة المكان الذي يعيشون فيه، لشدة انتمائهم إليه.

يقول طرفة:

البيت الشعري	شرحه	نوع الانتماء	الصفحة
وإنَّا إذا مَا الغَيْمُ أمْسى كأنَّه سَمَاحِيقُ ثَرْبٍ وهيَّ حَمْرَاءُ حَرْجَفُ	يصف لنا لشاعر الجو الكئيب الذي يعيشونه آنذاك.	انتماء مكاني	63

[1] ينظر: سعد ضناوي، اثر الصحراء في السعر الجاهلي، ص 132.

وجاءَتْ بِصُرَّادٍ كان صَقِيعُه خِلاَلَ البِيُوتِ والْمَنَازِلِ كُرْسُفُ	حيث تهب رياح الشمال وقلة الأمطار، وبصيغة مختصرة يصف لنا القحط الذي هم فيه حتى إنّ الغيوم التي تجلبها هذه الرياح لا مطر فيها.	انتماء مكاني	63
وجَاءَ قَرِيعُ الشَّوْلِ يَرْقُصُ قَبْلَها إلى الدِّفْءِ والرَّاعِي لها مُتَحَرِّفُ	وهي ريح تجلب البرد فقط	انتماء مكاني	63
نَرُدُّ الِعشَارَ الْمُنْقِيَاتِ شَظِيُّهَا إلى الحَيِّ حتَّى يُمْرِعَ الْمُتَصَيِّفُ	ولشدة البرد حتى إنّ فحل الابل ينشغل عن أنثاه بالبحث عن مكان للدفء، وهو ما يدل على شدة القحط. وفي قوله:"نرد العشار	انتماء مكاني	63

	يعني الابل التي أتى عليها من لقاحها عشرة أشهر،والمنقيات ذوات التقى وهو الشحم والمخ والشظي العظام. وقوله حتى يمرع المتصيف أيّ يخصب المكان الذي كانوا يتصيفون فيه[1].		
ونحن إذا مَا الخَيْلُ زايَلَ بيْنها من الطعن نُشَّاجُ مُخِلٌّ ومُزْعِفُ	وقوله زايل بينها أيّ فرق والنشاج طعن ينشج بالدم أي يسمع له صوت كشهيق الحمار	انتماء مكاني	64

تَبِيتُ إِمَاءُ الحَيِّ تَطْهِي قُدُورَنا ويَأْوِي إلَيْنا الأَشْعَثُ الْمُتَجَرِّفُ	ثم يقول رغم ذلك تظل الإماء وهن النساء يطهين الطعام، ويكرمون الأشعث من شدة الهزال، كما يأوي إليهم الذي ذهبت السنين بماله.	انتماء اجتماعي	64
وجَالَتْ عَذَارَى الحَيِّ شَتَّى كَأَنَّها تَوَالِي صُوَارَ والأَسِنَّةُ تُرْعِفُ	وفي ساعة الذعر تجول العذارى وكأنها قطيع من البقر الوحشي يتبع بعضهم بعضا.	انتماء اجتماعي	64
ولم يَحْمِ أَهْلَ الحَيِّ إلاَّ ابنُ حُرَّةٍ وعَمَّ الدُّعَاءَ الْمُرْهِقُ الْمُتَلَهِفُ	ويقوم أبناء النساء الكريمات بحماية القبيلة من أخطار العدوان عليها .	انتماء اجتماعي	64

ففِئْنَا غَدَاةَ الغِبِّ كُلَّ نَقِيذَةٍ ومِنَّا الكمِيُّ الصَابِرُ الْمُتَعَرِّفُ	يصف طرفة هنا حال قومه بعد يوم الحرب فيقول تقاسمنا الغنائم وفينا الفارس الشجاع الذي يستطيع قتل رئيس أعدائهم.	انتماء اجتماعي	64
وكَارِهَةٌ قد طَلَّقَتْهَا رِمَاحُنَا وأَنْقَذَتْها والعَيْن بالماءِ تَذْرُفُ	رماحنا تقتل أزواج نساء كارهات لهم(الأزواج) ويذرفن عليهم الدموع.	انتماء سياسي	64
تَرُدُّ النَّحِيبَ فِي حَيازِيمَ غُصَّةٍ على بَطَلٍ غَادَرْنَه وهُو مُزْعِفُ	رماحنا تقتل أزواج نساء كارهات لهم(الأزواج) ويذرفن عليهم الدموع. -والشجاع من قوم	انتماء سياسي	64

	الأعداء، تخذله شجاعته أمام شجاعتهم.		

وما استطعنا ملاحظته من خلال شرحنا لهذه الأبيات، وجدنا فيها أنماطا عديدة من الانتماء، اختلفت بين انتماء مكاني تارة واجتماعي تارة أخرى وآخر سياسي،رغم قصر أبيات القصيدة نوعا ما. فنجده يفتخر بتعلقهم بمحل اقامتهم وصبرهم على الشدائد واكرامهم للضيوف وشجاعتهم وبأسهم في الحروب، وقد عبر عن كل ذلك بطبيعة الحال عن طريق استعمال ضمير المتكلم "نحن" مما يدلنا دلالة قاطعة على انتماء طرفة بن العبد إلى قومه وعشيرته.

-ولأنّ معلقة طرفة بن العبد،هي أهم ما قاله،وأطول قصيدة في ديوانه، ارتأينا أن نقوم بإحصاء لكل الكلمات (أسماء وأفعال) التي تدل على الجمع ،فوجدناها كالتالي:

أطلال	وقوفا	صحبي	مطيهم	يقولون	حدوج	خلايا	سفين
النواصف	مظاهر	سمطي	لثاتة	عتاقا	ناجيات	حدائق	الأسِرة
حصل	روعات	جناحي	حفافيه	شكا	فخذان	بابا	كناسي
قسي	مرفقان	أفتلان	عضداها	معالي	علوب	مواد	بنائق
غر	سكان	عينان	الماويتين	استكنتا	كهفي	حاجاتي	طحوران

تراهما	مكحولتي	صادقتا	ضبعيها	القوم	ال	أذيال	الحي
الجميع	نداماي	النجوم	نحن	اسمعينا	لنا	أضآر	الخمور
العشيرة	كلها	بني	غبراء	ينكروني	أهل	العاذلات	الشكاة
الدماليج	عشر	جثوتين	صفائح	صم	صفيح	الأعداء	يقذفوا
ذوي	القربى	بنون	كرام	سادة	الخمور	نواديها	الإماء
يمتللن	الرجال	الأصحاب	عوراته	الفرائص	موارد	أحيانا	بنائق
قطاب	دأياتها	برك	الأيام	الخمور	التلاع	حصل	روعات
اجماع	الأخبار	الأخبار	اللذات	حياض	العاذلات	البرين	ثلاث
أطر	بيض	برد	الندامى	أطراف	محال	الحوانيت	القوم
هن	حباب	الترب	البرير				

ولقد اعتمدنا في هذا الإحصاء على أسماء الجمع والمثنى أيضا، باعتبار أن هذا الأخير يدل على أكثر من واحد. وبعد عملية الإحصاء توصلنا إلى أن نسبة الجمع في هذه المعلقة تحدد ب: 15.07 وهي نسبة ضئيلة لهذا النوع في قصيدة طويلة كقصيدة طرفة بن العبد وسنقوم بإحصاء للمفرد، عند حديثنا عن الاغتراب عند طرفة ونقوم بعدها بالمقارنة.

2- طرفة بن العبد المغترب

إذا كنا قد أثبتنا انتماء طرفة بن العبد ،إلا أن هذا لا يمنع من تفرد شاعرنا فقد أكد لنا هذا الأخير تفرده في أكثر من موضع في ديوانه، و جدولنا الآتي سيحوي في طياته ملامح اغترابه.

لقد كان لنشوء طرفة بن العبد يتيما (يتيم الأب) وظلم أعمامه له ،وحرمانه وأمه من حقهما أثرا بالغا في حياته ،إذ جعله هذا الأمر يحسب أنه لا يعيش بين أهله فنهض بشعره لاسترداد حقهما فيقول لهم:

البيت الشعري	شرحه	نوع الاغتراب	الصفحة
ومَا تَنْظُرون بِحَقِّ وردةَ فيكم صَغُرَ البَنوُن ورَهْطُ وردةَ غيِّبُ	يلوم الشاعر أعمامه لأنهم استخفوا بوردة أمه أيضا حين هضمتهم حقها في ميراث زوجها، لأنه لا يوجد من يدافع عنهما، فأبناؤهما صغار وزوجها قد مات عنها، لذلك تجرأتم عليها.	اغتراب اجتماعي	14
قد يَبْعَثُ الأمرَ العظيمَ صَغِيرُه	ويقول لهم أن ما تظنونه صغيرا واستحقرتموه، قد	اغتراب سياسي	14

حتَّى تَظَلَّ الدِّماءُ له تَصَبَّبُ	يقــوم بأشــياء عظيمــة لا تقوون على ردها.		
والظُّلْمُ فرَّقَ بيْن حَيَّيْ وائلٍ بَكْرٌ تُسَاقِيهَا الْمَنَايَا تَغْلِبُ	وضرب لهم أكبر دليل على ذلـك في البيـت الثالـث ألا وهو حرب البسوس.	اغتراب سياسي	14
قد يُورِدُ الظُّلْمُ الْمُبِينُ آجِنًا مِلْحًا يُخَالَطُ بالذِّعَافِ ويَقْشِبُ	يضيف على ذلك أن الظلم قد يورد للرجل ما يسوؤه	اغتراب اجتماعي	15
و قِرَافُ مَنِ لا يَسْتَفِيقُ دَعَارَةً يُعْدِي كما يُعْدِي الصَّحِيحُ الأَجْرَبُ ولقد بَدَا لِي أنَّه سَيَغُولُنِي ما غَالَ عَادًا والقُرُون فأشْعَبُوا	وإنّ مخالطة الخبثاء مجلبة للأسقام فهو يعدي كما يعدي الأجرب الصحيح .[1] ولشدة قهر طرفة من ظلم أعمامه أحسّ بأنه شيخ هرم ما ينتظر من هاذه الدنيا سوى الموت المبكر .	اغتراب اجتماعي	15
أدُّوا الحُقُوقَ تَفِرْ لكم أعْراضُكم	يصــرخ الشــاعر في وجــه	اغتراب	15

[1] ينظر: الإمام يوسف الأعلم الشنتمري ،شرح ديوان طرفة بن العبد ،ص 103.

إنَّ الكَرِيمَ إِذا يَحْرِبِ يَغْضَبِ	أعمامه طالبا منه ان يعطوه حقه حتى لا يشتمون ويحفظون بذلك ماء وجوههم وعندها سيتوقف هو عن هجائهم	اجتماعي	

ومن خلال ما تقدم من موافق وشرح لهذه الأبيات، يمكننا أن نستشف حالة الاغتراب الاجتماعي لدى شاعرنا تارة والاغتراب السياسي تارة أخرى.

نلمس ذلك في شعور "طرفة" بالغربة بين أهله، وذلك جراء ظلم الأعمام وحرمانه وأمه من حقوقهما ،لأنهم استحقروا أمه لضعفها الأمر الذي جعلهم يجترئون عليها وعلى أطفالها، وفي نفس الوقت يمكننا لمس حالة تفرد "طرفة" واغترابه في أنه وقف وحيدا لا أحد يسانده في مواجهة أعمامه، لذلك فقد أحس بالقهر الشديد.

شبه "طرفة" ما حصل بينه وبين أعمامه بحرب البسوس التي فرقت بين قبيلتي بكر وتغلب رغم أواصل القربى التي تجمع بين هاتين القبيلتين، بسبب الظلم.

استطعنا ملاحظة أن "طرفة" في مواجهته لأعمامه إنما كان يدافع عن حقه في الانتماء، ودليل ذلك أنه سيتوقف عن هجاء أعمامه إذا ردّوا له حقه، فهم في النهاية من أقربائه ولا يمكنه التجرد من النسب إليهم كلية.

وأقصى مظاهر اغتراب "طرفة" قد تجلت لنا من خلال معلقته، حيث كانت الظروف المحيطة بقولها من عوامل اجتماعية ونفسية عانى منها الشاعر الأثر الكبير في ذلك، فنتيجة ظلم الأعمام الذي ذكرناه سابقا، وهو شبيه بظلم والد عنترة بن شداد له بعدم نسبته إليه، كونه ابن أمه، نشأ "طرفه" على الدعة و التبطّل إنفاق ماله في اللهو مع أصحابه وشرب الخمر ومنادمة القيّان حتى نفذ مما أدى إلى غضب قومه عليه، نتيجة استهتاره بقيم القلبية، لذلك طردوه منها. والجاهلي بصفة عامة لا يقوى على خلع قبيلته له ،لأن هذه الأخيرة تعتبر مصدر الأمان والحماية له، لذلك ترك "طرفه" أهله قومه غاضبا، وراح يطوف في بلاد العرب وحيدا لا أنيس له، إلى أن ملّ هذه الحياة التي جعلته شريدا بلا مأوى ،لذلك عاد إلى قومه نادما، و استرعاه أخوه معبد على ابله، لكنه فرّط فيها وضاعت منه، وطلبه من ابن عمه مالك اعانته على ردّها ،فما كان من مالك هذا إلا أن يزيد في لومه، كما لامه أخوه معبد، لذلك نضم معلقته هذه، حيث كان موضوعها الأساسي عتابه لابن عمه، الذي أحس بأنه غريب عنه لعدم مساعدته له.

يقول "طرفة":

البيت الشعري	شرحه	نوع الاغتراب	الصفحة
لِخَوْلَةَ أَطْلَالٌ بِبُرْقَةِ ثَهْمَدِ تَلوحُ كباقْي الوشْمِ فِي ظَاهِرِ اليَدِ	إن تعلق الجاهلي عامة بالمكان الذي كان الأحية يتواجدون فيه، يحز في أنفسهم. وطرفة بن العيد واحد منهم إذ يرى في بقايا أطلال حبيبته خولة ببرقة تهمد، وكأنها الوشم الذي يبقى أثره على الذراع بعد نخزه بالإبر لذلك بدت له هذه الأطلال مكان موحش ومخيف لترك أهله له.	اغتراب مكاني	25
كأنَّ حُدُوجَ الْمَالِكِيَّةِ غُدْوَةً خَلايَا سَفِينٍ بالنَّوَاصِفِ مِنْ دَدِ عَدَوْلِيَةٍ أَوْمِنْ سَفِينِ بنِ يَامِنٍ يَجُورُ بِها الْمَلّاحُ طَوْرًا ويَهْتَدْي	وقد تابع طرفة رحيل محبوبته بعينيه شبهها بمراكب النساء، ذلك أن خولة لم ترحل لوحدها، بل رحل معها صواحبها ولم يقف طرفة عند	اغتراب مكاني	26

يَشُقُّ حُبَابُ الْمَاءُ حَيْزُومُهَا بها كما قَسَمَ التُّرْبَ الْمُفَايِلُ باليَدِ	رحيل خوله مع قومها بل تابعهم بنظره حتى غابوا عن أنظاره تماما.	اغتراب مكاني	
وفِي الحَيِّ أَحْوَى يَنْفُضُ الْمَرْدَ شَادِنٌ مُظَاهِرُ سِمْطَيْ لُؤْلُؤٍ وزَبَرْجَدِ	ويبرز لنا طرفة سمات اغترابه من خلال علاقته بالمرأة فيصف لنا صاحبته تلك التي خذلت صاحبتها وابتعدت عنهن واكتفت بالنظر إليهن من بعيد. وفي هذه الأبيات نجده يشبه محبوبته بالظبية وراح يصف محاسنها.	اغتراب اجتماعي	26
وإِنِّي لَأُمْضِي الهَمَّ عِنْدَ احْتضَارِهِ بعَوْجَاءَ مِرْقَالٍ تَرُوحُ وتَغْتَدِي	ولكثرة هموم شاعرنا وهو بين قومه لم يجده ما ينفس كربه	اغتراب نفسي	27

	سوى امتطاء ناقته ليقهر بذلك هذا الهم الذي يعتريه. معنى هذا أنه لم يرضخ لما حل به ألم نفسي حيث وجد متنفسه في مصاحبة ناقته.		
وما زالَ تَشرَابِي الخُمُورَ ولَذَّتِي وبَيْعِي وإِنْفَاقِي طَرِيفِي ومُتْلَدِي	يقول طرفة هنا بأنه ينفق ماله في الشرب قديمه وحديثه.	اغتراب نفسي	33
إلى أنْ تَحَامَتْنِي العَشِيرَةُ كلُّها وأُفْرِدْتُ إِفْرَادَ البَعِيرِ الْمُعَبَّدِ	ولشدة استهتار "طرفة" كما سبق الذكر وتمرده على أعراف القبيلة، فما كان من قومه أو عشيرته إلا أن يتحاموا عليه ويطردونه من القبيلة شر طردة باستصغار	اغتراب مكاني نفسي	33

	شـأنه وكأنـه بعـير أجـرب يعـدي مـن حولـه أو يقـترب منه.		
ولوْلَا ثَلَاثٌ هُنَّ مِنْ عِيشَةِ الفَتَى لعمرُك لم أحْفَلْ متَى قَامَ عُوَّدِي فمِنْهُنَّ سَبْقِي العَاذِلَاتِ بشَرْبَةٍ كُمَيْتٍ متَى ما تُعْلَى بالْمَاءِ تَزْبُدِ وكَرِّي إذا نَادَى الْمُضَافُ مُجَنَّبًا كسِيدِ الغَضَا نَبَّهْتُه الْمُتَوَرِّدِ وتَقْصِيرُ يَومِ الدَّجْنِ والدَّجْنُ مُعْجِبٌ ببَهْكَنَةٍ تحْت الخِبَاءِ الْمُمَدّدِ فمَالِي أَرَانِي وابْن عمِّي مَالِكا متى أدْنُو منْه يَنْأَ عَنِّي ويَبْعُدِ	هـذه هـي الفلسـفة الـت وضـعها طرفـة بـن العبـد لحياته، حتى يصبح لها معنى عنـده، حيـث وجـد هـذا الأخير يتمثل في الخمرة كأداة للهـروب مـن الواقـع والانفصال عن الذات المتأثر بهذا الوضع المر الذي يعيشه ثم بالمراة لينتصر على الموت من خلال اللذة وبالفروسية حتى ينتصر على القبيلة[1]، الـتي طردتـه وأفردتـه فـيعلن بذلك أنه ليس بأقل من أي	اغتراب نفسي اغتراب نفسي اجتماعي	33 34

[1] الامام يوسف الشنتمري ، شرح ديوان طرفة بن العبد، ص 29.

يلُومُ وما أدْرِي عَلَامَ يلومُنِي كما لاَمنِي فِي الحَيِّ قُرْطُ بنُ مَعْبَدِ على غيْرِ ذَنْبٍ قُلْتُه غيْرَ أَنَّني نَشَدْتُ فلمْ أُغْفِلْ حَمُولَةَ مَعْبَدِ فلو كان مَوْلَايَ امْرُؤٌ هو غَيْرُه لفَرَّجَ كَرْبِي أوْ لَأَنْظَرَنِي غَدِ	فارس شجاع فيها يطلق طرفة العنان لحزنه والحسرة الدفينة في نفسه ويستغرب من لوم ابن عمه له واستصغار شأنه ورفضه مساعدته على استرداد ابل أخيه معبد .فهو يرى بأنه لم يذنب حتى يعامل هذه المعاملة سواء من أخيه أو من ابن عمه الذين يئسا من قدرة طرفة على استرجاع الابل الضائعة كما يئسوا من عدوة الميت إلى الحياة ثانية	اغتراب نفسي اجتماعي	35

وظُلْمُ ذَوِي القُربَى أَشَدُّ مَضَاضَةً على النَّفْسِ مِنْ وَقْعِ الحُسَامِ الْمُهَنَّدِ	يصف طرفة شدة وقع ظلم الأقارب على النفس ، بأنها أمضى من ضربة السيف الحاد	اغتراب اجتماعي	35
فلو شَاءَ رَبِّي كنْتُ قَيْسَ بنَ خَالِدٍ ولو شَاءَ ربِّي كنْتُ عَمْرَو بن مَرْثَدِ وأَصْبَحْتُ ذا مالٍ كَثِيرٍ وزَارَنِي بنُونَ كِرَامٌ سَادَةٌ لِمُسَوَّدِ	ثم يشكي طرفة فقره وقلة حيلته لاستعادة ابن اخيه لذلك تمنى نفسه أن يكون قيس ابن خالد او عمرو بن مرثد وهما سيدان من أغنياء قومه وقد ساعده عمر بن مرثد وأولاده استرجاع ابل اخيه فلو كان طرفة أحد هذين الرجلين لما توانى عن مساعدة كل محتاج. لكن هذا ابقى حلما لديه ولم يتحقق ليحس بهذه	اغتراب اقتصادي اغتراب اقتصادي	36

	الغربة المادية بين قومه.		
بَطِيءٌ عَن الجُلَّى سَرِيعٌ إلى الخَنَا ذَلُولٍ بِإِجْمَاعِ الرِّجَالِ مُلَهَّدِ	يقول هنا طالبا من ابنة أخيه، أن تذكره بصفاته الحميدة بعد وفاته ولا تجعل منه رجلا جبانا ويتبطأ على مساعدة قومه ودفع البلاء عنهم، وفي الوقت نفسه يطلب منه أن نتذكر بأنه لم يكن ذو أخلاق فاسدة ومن ثم فلن يصفه قومه برجل السوء[1].	اغتراب سياسي	38

إنه من خلال الموقف أو الظروف التي قيلت فيها هذه المعلقة لمسنا شدة اغتراب "طرفة" من الناحية الاجتماعية، ولعل السياق المقامي كان من أهم العوامل التي أدت إلى إحساس " طرفة" بهذا الشعور القاسي، ألا وهو إحساسه بالغربة رغم

[1] ينظر: الإمام يوسف الشنتمري، شرح ديوان طرفة بن العبد، ترجمة: مكس سلغون، ص 42.

أنـه بـين أهلـه وقومـه، وزادت هـذه الغربـة بعـد طـرده مـن قبيلتـه، ليتجسـد لنـا اغـتراب الشاعر فعليا.

ناحية السياق العاطفي الذي تجسد فيه اغتراب هذا الشاعر، فيظهر لنا من خلال الانفعالات التي صدرت عنه، والتي تمثلت في تلك الثورة العارمة التي أثارها ضد أعمامه أولا ثم قومه ، وتلك الآهات الحزينة التي أطلق لها الشاعر العنان وأخرجها لنا في قالب شعري جميل، وقد تجلى أكثر شيء عند قوله:

وظُلْمُ ذَوِي القُربَى أَشَدُّ مَضَاضَةً على النَّفْسِ مِنْ وَقْعِ الحُسَامِ الْمُهَنَّدِ

نعم إنها صرخة صادرة عن نفس محطمة ومنكسرة، قضى عليها ظلم ذوي القربى.

كما تجسد لنا اغتراب طرفة أكثر بعد تعرضنا لشرح أبياته معجميا ودلاليا ومن خلال السياق اللغوي الـذي وردت فيـه ألفاظـه، فاكتشـفنا جوانـب خفيـة تنبـئ بحـق عـن شـدة اغـتراب شـاعرنا. سـنحاول وضعها في نقاط متتالية.

رغـم أن "طرفة" ، قد وقـف يبكـي على الأطلال كمـا وقـف غيره من الشعراء، فشكّل لنا ذلك نوعا من الانتماء الثقافي كما سبق وأن أشرنا – إلا أنه جسد لنا بالفعل اغتراب "طرفة" المكاني وانتماءه في الوقت ذاته.

ففي كل مرة وصف فيها أو وقف شاعرنا باكيا على الأطلال –إن صح التعبير–يكون ذلك بعد رحيل أهل الديار، بما فيهم حبيبة الشاعر فلا يبقى في المكان سوى بعض الآثار، ليصبح بذلك هذا المكان عبارة عن أرض مقفرة موحشة، فيرجع الشاعر بذكرياته إلى ما كان منها (أهل الأرض)

وكيف تعامل مع لحظات الوداع؛ لأنّ أن هذا الأخير يكون دائما أصعب الأمور، فهو هنا يهرب من الواقع المرّ الذي جعل من هذا المكان خاليا ليحيا مع أهل الديار آخر لحظات اللقاء ولتتبادر عنده ساعة الرحيل وهذا ما يحزّ في نفسه الشيء الذي يؤدي به إلى البكاء.

أما إذا توجهنا إلى علاقة "طرفة" مع المرأة، لنلحظ حالة اغتراب أشد عمقا مما هي عليه عند وقوفه على الأطلال.

- و المرأة التي تحدث عنها "طرفة" في معلقته، لها وضع خاص، فهي ليست أية امرأة وإنما هي تلك المرأة المتمرّدة الغريبة عن صاحباتها التي تشبهه، لذلك شعر بالانتماء إليها لأنها هي الأخرى تجلس وحيدة، لا رفيق معها.

كما نلاحظ اغترابه من خلال اتخاذه مسارا آخر في وصف الظعائن يخالف ما ذهب إليه الجاهلين كتشبيهها بأسطر النخيل، لنجد أن طرفة ذهب مذهبا آخر في ذلك بأن شبهها بالسفن على البحر.

و"طرفة" كغيره من شعراء عصره، كثير الارتباط بناقته حيث والتي وجد معها الملاذ الذي يهرب به بعيدا عن قومه حتى يخفف عن نفسه ما أصابها من هم، ربما يكون سبب هذا الأخير، استصغار شأنه في قومه. فما كان من "طرفة" إلا أن يطيل في وصف ناقته إلى درجة الإغراب مما أدى بطه حسين إلى التشكيك، في نسبة هذه الأبيات إليه، ومن هذه الأبيات التي قالها فيها ولم نتعرض لها سابقا تشبيهه لها بقنطرة الرومي، وفي هذا دلالة على انفتاح طرفة على أكثر من قبيلة و بأنه كثير التنقل وعدم المكوث طويلا في قبيلته، حيث يقول :

كَـقَنْطَرَةِ الرُّومِيِّ أَقْسَمَ رَبُّهَا لَتُكْتَنَفَنْ حَتّى تُشَادَ بِقَرْمَدِ[1]

وكان قد شبهها أو بالأحرى شبه فخذاها بباب قصر مشيّد، على الرغم من عدم وجود قصور في بيئته، هذه البيئة التي تعتمد على الخيام، فيقول:

لَهَا فَخِذَانِ أُكْمِلَ النَّحْضُ فِيهِمَا كَأَنَّهُمَا بَابَا مُنِيفٍ مُمَرَّدِ[2]

ولأن وسيلة التنقل الوحيدة في البيئة الصحراوية، كبيئة شاعرنا هي الناقة أو الفرس وجدها طرفة أفضل رفيق سفر يطوف ويجول بها وحيدا –كما سنرى في مواضع أخرى-.

لكن هذا لا يعني أنّ "طرفة" لم يجد ما يهرب به من واقعه و عن قومه سوى ناقته، إنما وجد لذلك سبيلا آخر ألا وهو الإدمان على شرب الخمر ومنادمة النساء المنبوذات –القيّان – ليهرب بذلك ليس فقط من قومه وإنما من الواقع ككل، و هذا ما يدل على اغتراب طرفة عن ذاته أيضا، حتى يتمكن من نسيان ما حلّ به من تحقير وظلم استصغار لشأنه بين قومه.

ويعتبر "طرفه" في شربه حرية شخصية، لكن قومه يعتبرون ذلك بابا من أبواب الاستهتار والانصراف عن تقاليد القبيلة، فهذا يمثل نوعا آخر من أنواع الاغتراب، تمثل في الاغتراب الاجتماعي الذي أجبر عليه, لذلك قيل أنّ "طرفه" كان يعاني في المحيط الذي نشأ فيه حياة مضطربة يتخاذ لها القلق وبحثه عن سبل أخرى يمكن أنْ تقضي إلى صوغ الحياة صياغة جديدة تضاربت فيها التيارات

[1] عبد الرحمان المصطاوي، ديوان طرفة بن العبد، ص 29.

[2] المصدر نفسه، ص 29.

بين تمسّك بالماضي والانقطاع عنده, والقلق المصيري لدى طرفه هو قلق جميع الناس الذين تفردهم حساسيتهم في مثل تلك الفترة للترجيح بين الانتماء وعدم الانتماء[1].

تمرّد "طرفه" ما هو إلا تحد مقترن بالسخرية من التقاليد والأعراف والمعتقدات السائدة في القبيلة، هذا التمرد جعل القبيلة تجبره على مغادرتها، وهو اغتراب قسري طبق على ذات شاعرنا، وأية قسر هذا ؟ إنه قسر متبوع باستحقار جعل منه بعيرا أجربا على الرغم من انه كان قد أبدى التزامه القبلي كما سبق وأن رأينا. إلا أن القبيلة قابلت كل ذلك بالرفض ومن هنا يكون طبيعيا تمرّد هذا الشاعر كما يكون طبيعيا خروجه عن أعرافها وينطوي بذلك على ذاته التي تسعى فقط إلى إشباع لذاتها، والتزود من كل متاع الدنيا, والتي جعلها "طرفة" في ثلاث أمور ألا وهي: الخمر والمرأة والفروسية، وهذه الثلاث تمثل في الأصل فلسفة صاحبنا في الحياة، لنلمس حالة الاغتراب عنده من خلال هذا التناقض الذي وقع فيه، إذ أنه كيف يمكن لشخص يكثر الشرب بهذه الطريقة وكثير التردد على الحانات، ومنادمة القيّان، أن يكون في نفس الوقت فارسا شجاعا مقداما، يعول عليه في الدفاع عن القبيلة، وبمعنى أدق كيف يمكن لسكران، أنْ يشارك في الحروب، وخاصة حروب الجاهلية، التي هي حروب كرّ و فرّ لا حروب انتصار، وقد أكدّ لنا تاريخ العصر الجاهلي استحالة هذا الأمر من خلال مقولة أمريء القيس عندما أراد الثأر لأبيه بعد مقتله <<اليوم خمر وغدا أمر>>أي أنه عندما قرّر بداية الحرب أقلع عن الشرب، والحديث عن امرئ القيس أدى بنا إلى تذكر فلسفة هذا

[1] عبد الرزاق الخشروم، الغربة في الشعر الجاهلي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د ط، 1982، ص 24.

الأخير في الحياة، والتي تشبه كثيرا فلسفة "طرفة" ، لنجد امرئ القيس يلخصها في أربع نقاط وهي: اللهو والصيد ومنادمة الحسناوات والسفر في ظلام الليل في طريق مجهول، حيث يقول:

ومِنْهُنَ نَصّ العَيْسِ واللَّيْلُ شَامِلُ يَيْمُمْنَ مَجْهُولَا مِنَ الأَرْضِ بَلْقَعَا

خَوَارِجُ مِنْ بَرْيِه نَحْوَ قَرْيَةٍ يُجَدِّدْنَ وَصْلاً أو يَرْجِينَ مَطْعَمَا[1]

ونتيجة لهذه الطريقة في الحياة لا تناسب حياة الملوك، لذلك ما كان من والد الملك إلا أن يطرده وينفيه من قبيلته، كما فعل تماما "بطرفه" من قبل أهله أوّلا وقومه ثانيا، كما أن نقاط التشابه بين هذين الشاعرين كنا قد عرّجنا عنها في ذكرنا لانتمائه الثقافي.

أما الفرق الحاصل بينهما – "امرؤ القيس" "وطرفه بن العبد"- تمثل في أنّ الأوّل قد أقلع عمّا كان عليه، من دعّة وتبطّل، وتفرّغ للثأر لأبيه فقط، بينما نجد الثاني لم يقلع عمّا هو عليه، حتى بعد ما عاد إلى قومه نادما. ولذلك هناك من قال بأنه عندما شرع في قتله خيروه في نوع القتلة التي يريد أن يموت بها، اختار أنْ يثمل ثم يقتل.

كما لمسنا من واقع "طرفة "الاجتماعي لمسنا اغتراب ذات الشاعر عن أهله، فلأنه لم يهتم جيدا بابل أخيه فأخذت منه، ولاستردادها طلب مساعدة ابن عمه الذي رفض المساعدة، وزاد على ذلك لومه على استهتاره، كما لامه على ذلك أخوه معبد من قبل, وراح يشتمه ويعرّض بشاعرنا الأمر جعله يحزن ويحزّ في نفسه ابتعاد ابن عمه عنه, ومعاملته له بهذه الطريقة عندها أحسّ "طرفة" بالغربة مرة أخرى.

[1] امرؤ القيس ، الديوان،تح: مصطفى عبد الشافي دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط5، 2004، ص 99.

وهو بين أهله، ورأى في ظلمهم له بغي كبير أثره على النفس أقوى من وقع السيف كما سبق وأن أشرنا, لذلك قرّر "طرفة" الابتعاد قدر الإمكان طالبا منه عدم التشهير به، وسيكون له شاكر ولن يبادله بالمثل.

كما يمكننا أن نلمس حالات الانفعال، والتي تدل دلالة قطعية عن اغتراب صاحبنا سواء كان ذلك في القصيدة الأولى، أو في المعلقة لنلحظ حالة الغضب في الأولى، والتهديد المباشر وغير المباشر لأعمامه وبنيهم كذلك باستعمال ألفاظ قوية مثل الحق- العظيم- الذعاق- المنايا- الظلم- أدوا الحقوق- أمّا ما رأيناه في المعلقة نجده مختلف تماما عما هو في القصيدة الأولى إذ نلحظ فيها حالة شكوى وعتاب ونبرات حزن باستعمال ألفاظ وتراكيب دلّت على ذلك دلالة واضحة منها: ظلم ذوي القربى أشد من وقع الحسام المهند- أفردت إفراد البعير المعبد...أدنو منه ينأ عني ويبعد- أيأسني رمس – ذربي ...الخ. وبذلك انسلخ طرفة بن العبد عن قومه، رغم ما تمثله القبيلة بالنسبة للإنسان الجاهلي, فالفرد المنتسب لقبيلته، يكون قوي الجانب ليس لقوته الفردية، كما راح يفتخر بذلك " طرفة " ويزيد في تضخيم الأنا عنده بدل "النحن" ولكن لقوة جماعية، ومن هنا يعتبر الابتعاد عن القبلية هو أشد ما يصاب به المرء في الصحراء، لأن من شأنه أن يفقده هويته أولا كما يفقد معها كل أنواع الحماية، وهذا بالفعل ما حصل لهذا الشاعر.

وقد تجسد لدينا مفهوم ماركس للاغتراب في شعر "طرفة"، عندما راح يتحدث عن فقره وقلة المال لديه ليستطيع التزود بملذات الحياة من جهة، ومساعدة كل الفقراء والمحتاجين من جهة أخرى، وهذا ما سماه كارل ماركس بالاغتراب الاقتصادي.

وسنلمح مواطن اغتراب أخرى، وفي موقع آخر من شعر طرفة بن العبد، لكن قبل ذلك لا مانع من ذكر الأبيات الدالة على ذلك ثم التعقيب عليها بالشرح المفصل، و الذي حاولنا التدقيق فيه قدر المستطاع.

وقد قال طرفة الأبيات الآتي ذكرها في حق الملك عمر بن هند، ملك الحيرة آنذاك، علما أن هذا الملك كان يسمى مظرط الحجارة فقد كان له يوم صفو يكرم و يستضيف في مجلسه أول من تقع عليه عيناه و يوم أخر يقتل أول من يجده أمامه.

حيث يقول:

البيت الشعري	شرحه	نوع الاغتراب	الصفحة
لَيْتَ لنَا مَكَانَ الْمَلِكِ عَمْرٍو رَغُوثًا حَوْل قُبَّتِنَا تَخُورُ	يقلل طرفة في هذا البيت من شأن الملك عمرو بن هند، وقال بأن لو أنه كان مكان هذا الملك نعجة مرضعا تصيح.	اغتراب سياسي	45
مِنَ الزَّمُرَاتِ أَسْبَلَ قَادِمَاهَا وضَرَّتُهَا مُرَكَّنَةٌ دَرُورُ	هذه النعجة من النعاج التي تكون أغزر لبنا وأكثر درًّا	اغتراب سياسي	45

يُشَارِكُنَا لنَا رِخْلَانِ فِيهَا وتَعْلُوهَا الكِبَاشُ فمَا تَنُورُ	هذه النعاج يمكنها أن تروينا لبنا رغم وجود صغارها. كما أنها جاهزة دائما للولادة مرة ثانية.	اغتراب سياسي	45
لعمْرُك إنَّ قَابُوسَ بن هِنْدٍ لَيَخْلُطُ مُلْكَهُ نُوكٌ كَثِيرٌ	ثم وصف ما كان من هذا الملك وأخيه قابوس بن هند، من الظلم والجور الذين طبق على الرعية	اغتراب سياسي	45
قَسَمْتَ الدَّهْرَ فِي زَمَنٍ رَخِي كَذَاكَ الحَكَمُ يُقْصَدُ أو يَجُورُ	لقد كان لهذا الملك يوم فيه يكرم كل من طلب، بل إنه يجلسهم (الرعية) إلى جواره كما أن له يوم يقوم فيه بقتل أول من تقع عليه عيناه	اغتراب سياسي	46
لنَا يَوْمٌ و لِلْكَرَوَانِ يَوْمٌ تَطِيرُ البَائِسَاتُ ولا نَطِيرُ	ولا يمكن أن يحظ أحد بمقابلته، لكن رغم هذا يظل الناس وافقيين على بابه طمعا برضاه عنهم	اغتراب سياسي	46

فأمَّا يَوْمُهُنَّ يَوْمٌ نَحْسٌ تُطَارِدُهُنَّ بالحَدْبِ الصُّقُورُ	وقد فضل طرفة ما يقوم به الكروان عما يقوم به الرعية في الحيرة، لأنه رأى بأن الناس على رغم ظلم الملك إلا أنهم لا يذهبون بعيدا، حتى يتقوا من بطشه وظلمه، بينما يهرب الكروان من مطاردة الصقور له[1]	اغتراب سياسي	46

إن تحديدنا لنوع الاغتراب في هذه القصيدة لم يأت هكذا عبثا و إنّما كانت هناك مجموعة من المعطيات التي ساهمت في ذلك، والتي تجلت لنا عند النظر إلى العلاقة التي تربط "طرفة" بهذا الملك. عند طرحنا للسؤال الآتي: ما الذي جمع "طرفة" بملك في الحيرة و"طرفة" من أبناء البحرين كانت الإجابة أن" طرفة" وبعد استرجاع ابل أخيه، قرر مغادرة القبيلة بمحض إرادته، وأخذ يهيم في البلاد حتى وصل إلى بلاط الملك عمرو بن هند ملك الحيرة، حيث أعجب هذا الأخير بشعر "طرفة" وجعله من ندمائه.

ولأن "طرفة" شبّ على كره الظلم لما عاناه في حياته من ظلم أعمامه واستصغار شأنه في قبيلته و وجد هذا الملك ظالما، فما كان منه إلا أن يتمرد عليه, وكانت وسيلته في ذلك طبعا – الهجاء– علما أن هذا الملك لم يكن ليظلم "طرفة" لولا تمرده، لأنه قليل من يحظى بهذه المكانة عند

[1] ينظر: الامام يوسف المنترين شرح ديوان طرفة بن العبد، ص 96.

أمثال عمر بن هند، وكثيرا ما سمعنا بالتمرد على الملوك في العصر الجاهلي من ذلك تمرد النابغة الذبياني عن النعمان بن المنذر إلا أنه بعد ذلك تراجع عن تمرده عن طريق اعتذاراته المشهورة والتي تبدأ بقوله:

أَتَانِي- أَبْيَتُ اللَّعْنَ أَنَّك لُمْتَنِي وتلْك الَّتِي أَهْتَمُّ مِنْهَا وأَنْصَبُ

وظهرت لنا في أبيات "طرفة" التي قالها في حق عمرو بن هند عاطفة السخرية الشديدة من هذا الأخير وهو ما يدل دلالة واضحة عن تمرد شاعرنا فصح لنا أن نقول بأن طرفة قد مارس الاغتراب السياسي عبر مراحل كانت المرحلة الأولى عند تمرده عن القبيلة وما تمليه من أحكام، وتمثلت المرحلة الثانية تمرده على الملك عمرو بن هند رغم اكرامه له.

وقد التمسنا له أسبابا لذلك، فرددناها لنفس السبب الذي تمرد به على قبيلته من قبل ,لأن ما يفعله هذا الملك من احتقار واستصغار ودوس عن كرامة رعيته، يشبه الظلم الذي وقع له بين قومه، هذا عن هجائه للملك.

وفي أثناء تجولنا في صفحات ديوانه الصغير، لفت انتباهنا، وجود قصيدة، صور لنا طرفة فيها رحلته وحيدا، في الصحراء بلا رفيق ولا أنيس يؤانس وحدته بمعنى آخر جسد لنا طرفة ابتعاده المكاني عن قبيلته وتجواله أو سفره وحيدا بين فيافي الصحراء الموحشة فيقول:

البيت الشعري	شرحه	نوع الاغتراب	الصفحة
وبِلَادُ زَعْلٍ ظِلْمَانُهَا	يتحدث طرفة عن بلاد موحشة وصلت إليها	اغتراب مكاني	49

كَالْمَخَاضِ الجُرْبِ في اليومِ الخَدِر	أقدام دابته، وحيدا.		
قد تَبَطَّنْتُ وتَحِتِي جَسْرَةٌ تَتَّقِي الأرض بِمَثْلُومٍ مَعِرْ	ورغم ذلك نجده قد توغل فيها حتى اخترق بطونها.	اغتراب مكاني	49
فتَرَى الْمَرْوَ إذا ما هجَّرَتْ عنْ يديْها كالفَرَاشِ الْمُشْفَتِرْ	وذلك لجرأته على تخلص الأهوال والمصائب بناقته التي تكسر الحجارة ويطير الحصى لشدة سيرها	اغتراب مكاني	49
ذاك عَصْرٌ، وعَدَانِي أَنَّنِي نَابَنِي العَامَ خُطُوبٌ غيْر سِرّ	ثم يقول أن ما أدى به إلى ذاك العصر منعه اليوم عن مثل ذلك أمور عظيمة يعلما الجميع .	اغتراب زماني	50

مِنْ أُمُورٍ حَدثَتْ أمثَالُهَا تَبْتَرِي عُودَ القَوِيّ الْمُسْتَمِرْ	فكلما حدث أمر من هذه الأمور وقع آخر بعدها مما جعل نفسي تضعف لذلك ، وتشكو ما حل بها من خطب.	اغتراب نفسي	50
وتَشْكِي النَّفسُ ما صَابَ بهَا فَاصْبِرِي إنَّكِ مِنْ قوْمٍ صُبُرْ	رغم ذلك راح يواسي نفسه بأنه صبور ولو لا ذلك لم يتحمل كل ما حصل له.	اغتراب نفسي	50

و في موضع آخر أثبت لنا "طرفة" تفرده وغربته ، نذكره ثم نفصل في القصيدتين معا ذلك لتشابه موضعهيما.

البيت الشعري	شرحه	نوع الاغتراب	الصفحة
ورَكُوبٍ تَعْزِفُ الْجِنُّ به قَبْلَ هذا الجِيلِ مِنْ عَهْدٍ أَبَدْ وضِبَابٍ سَفَرَ الماءُ بِها	وما نلاحظه هنا هو غلو الشاعر في استحضار الصور الدالة على تفرده في		39

غَرِقَتْ أَوْلاَجُهَا غَيْرُ السُّدَدْ فهي موْتِي لَعِبَ الماءُ بِهَا في غُثَاءٍ سَاقَهُ السَّيْلُ عُدَدْ قد تَبَطَّنْتُ بِطَرْفٍ هَيْكَلٍ غَيْرِ مِرْبَاءٍ ولا جَأْبٍ مُكَدْ	رحلته، فقد يقصد طريق لا أنيس فيه إلا صوت الجن الذين كانوا يسكنون الأرض قبل أن يعمرها الإنسان. في أرض لا حياة فيها سوى جثث الضباب، وهو جمع ضب. والتي جرفتها السيول إلى تلك المواضع النائية، فقد أخذ شاعرنا بذاته إلى تلك البلاد البعيدة وحده دون خوف أو خشية ، وهو ما يتمثل بالفعل غربة ذات الشاعر عن مجتمعه وعن عصره الذي هو فيه.	اغتراب نفسي	

ومن خلال السياق اللغوي لهذه الأبيات، يمكننا تصور البدوي بصفة عامة وحيدا مع ناقته، يبحث فيها عن طريق يظهر ليختفي بين طيات الرمال، فيدركه الليل ولكن مع ذلك لا يمكن للنوم أن يدركه ، ويصبح عليه الصباح على ظهر ناقته، ويخاف أن يتوقف فلا يقيض له العودة إلى السير، ثم يفاجئه النهار، وهذا الأخير لن يكون عليه بأرحم من الليل، بحرّه ورياحه وغباره، ذلك أن شمسه تشوي وظهيرته تلهب، فيستنفذ العطش ذخيرته من الماء، ويطول عنق الناقة متراخيا حتى تكاد تنهش الأرض، وفي ظل كل هذه الأجواء بين ليله ونهاره نجده وحيدا مع نفسه ومع أفكاره و خيالاته، و لأن النفس تعتبر أكبر عدو للإنسان، فتجعله يشعر بالخوف الذي يسيطر على الإنسان، بطبيعة الحال- في مثل هذه الظروف، فتتمثل الصحراء أمامه بكل تفاصيلها، زيادة على ذلك ما يضيفه عليها خياله من توجس و رهبة من الواقع ككل.

لذلك لا يمكننا أن نجزم بمبالغة الشاعر الجاهلي بصفة عامة، و "طرفة" بصفة خاصة، عند احتفالهم باجتياز الفلاة والفخر بذلك أمام ظروف رهيبة كهذه التي تحدثنا عنها، ومن ثمّ يحق له أنْ يحتفل ويبالغ في الاحتفال بشجاعته، بقدر ما أحسّ به من خوف، وما بذل من جهد عصبي، ونفسي، تجسد في حالة اغتراب عنيفة، علما أنه و في هذه الحال لا يتغنّى بقوة حقيقية، و إنما يقوم بمحاولة اقناع ذاتي يرده في وجه علامات الضعف التي شعر بها.

وهذا الذي قلناه كلية ينطبق تماما عما كابده من خوف وعناء وتعب في رحلته في دنيا لا يوجد فيها سوى وحوش الصحراء، نعم إنها غربة حقيقية عاشها الشاعر، وعانى من أهوالها.

لكن رغم ذلك التفرد والاغتراب بكل أنواعه التي عانى منها الجاهليون، تبقى الموت هاجسا يصعب التغلب عليه، كما تغلبوا على أهوال الصحراء، الشيء جعلهم يحسون بالغربة عن الحياة، هذه الحياة التي تنتهي بالموت.

لكن ما لاحظناه عن نظرة "طرفة" للموت أنه لا ينظر لها بالمنظار الذي اعتمده الشعراء الجاهليون فتشكل هذه النظرة حالة اغتراب بالنسبة لطرفه بالنظر إلى ما يراه الآخرون في مجتمعه.

- وهذا ما سنتبينه من خلال عرضنا لأبياته التي ذكر فيها الموت.

البيت الشعري	شرحه	نوع الاغتراب	الصفحة
أَرَى قَبْرَ نَحَّامٍ بَخِيلٍ بمالِه كقَبْرِ غَوِيّ في البِطَالَةِ مُفْسِدِ	يرى طرفة في البيت الأول، أن الناس جميعهم متساوون تحت التراب، ذلك أن نهايتهم جميعا الموت حيث لا يستفيد البخيل بماله الذي ادخره فهو لن ينجيه من شبح الموت.	اغتراب ديني	33
أَرَى العَيْشَ كَنْزًا نَاقِصًا كُلَّ لَيْلةٍ وما تَنْقُصُ الأَيَّامُ والدَّهرُ يَنْفَدِ	وفي البيت الثاني يطلق طرفة العنان لبركان من الحكم	اغتراب ديني	33

	الخاصة بالموت والحياة. لذلك راح يؤكد حتمية انتهاء الحياة بالموت وشبهها بالكنز القابل للنفاذ في أي وقت ومن هنا فهو متأكد من أن جميع الناس عزباء فيها، فلن يستطيع كائن من كان أن يخلد في هذه الدنيا.		
لعمرُك إنَّ الْمَوْتَ ما أَخْطَأَ الفَتَى لَكَا الطِّوَلِ الْمُرخَى وثِنْيَاهُ باليَدِ متَى ما يَشَاءُ يوْمًا يَقُدْهُ لِحَتْفِهِ ومَنْ يَكُ فِي حَبْلِ الْمَنِيَّةِ يُنْقَدِ	فالموت كأنها فارس مقدام متى يشاء يشد لجام حصانه ليتوقف ويأخذ روح من أحب في أي زمان وأي مكان، ولن يستطيع أي أحد أن يفق في وجهه.	اغتراب ديني	34
أَرَى الْمَوْتَ أعْدادَ النُّفُوسِ ولا أرَى بَعِيدًا غَدًا ما أَقْرَبَ اليَوْمَ مِنْ غَدِ	ثم يرجع ليؤكد حتمية الموت مرة ثانية وأن الإنسان	اغتراب ديني	35

	سيموت حتما إن لم يكن اليوم حتما سيكون غدا، الغد القريب أو البعيد على حد سواء.		
لعمْرُك ما أدْرِي وإنِّي لَوَاجِلٌ أَفِي اليَّومِ اقْدَامُ الْمَنِيَّةِ أمْ غَدِ فإنْ تَكُ خَلْفِي لا يَفُتْهَا سَوَادِيَ وإنْ تَكُ قُدَّامِي أَجِدُهَا بِمَرْصَدِ	ويبقى هاجس الموت يطارد شاعرنا يعود إليه في كل مرة فهو لا يدري متى سكون أجله، اليوم أم غدا فالموت يلحق الناس حيثما وجدو في كل الاتجاهات، خلفه وأمامه، فوقه تحته...الخ فهو لا محالة سيأتي يوم ويغادر هذه الحياة نهائيا، فالموت لا يقدر أحدا مهما كان شأنه، فجميع الناس أمامه سواء.	اغتراب زماني	40 40

ويقول في هذا الصدد أيضا:

البيت الشعري	شرحه	نوع الاغتراب	الصفحة
وتَقُولُ عَاذِلَتِي وليْسَ لَهَا بِغَدٍ ولا ما بَعْدَهُ عِلْمُ	يستغرب طرفة من لوم عاذلته له، زيادة على كونها جاهلة لما سيحصل في الغد.	اغتراب زماني	70
إنَّ الثَّرَاءَ هو الخُلُودُ وأنَّ الْمَرْءَ يُكْرِبُ يَوْمَه العَدَمُ	وأنه لن يخلد في هذه الدنيا، فهو غريب فيها وحتما سيأتي ويوم يضيق صدره ويحرم من لذائذها	اغتراب زماني	70
ولئِنْ بَنَيْتُ إلى الْمُشَقَّرِ فِي هَضَبٍ تَقْصُرُ دونَه العِصَمُ	وأنه لن يخلد في هذه الدنيا، فهو غريب فيها وحتما سيأتي ويوم يضيق صدره ويحرم من لذائذ الدنيا. وستبحث عنه الموت، حتى وإن سكن ف حض المشقر (يقع بالبحرين) فلن ينفعنه ذلك، وهذا مساوٍ لقوله تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ	اغتراب مكاني	70

	مُشَيَّدَةٍ﴾[1]		
لَتُنَقِبَنّ عَنِّي الْمَنِيَّةُ إنَّ اللهَ لْيسَ لِحُكْمِه حَكَمُ	حيث يغني بما لا بدمنة "الموت" والذي واجهه هو الصبر تجاهه، والقوة على تحمله رغم شدته على النفس.	اغتراب مكاني	70
أَلَا إِنَّنِي شَرِبْتُ أَسْوَدَ حَالِكًا أَلَا بُجْلِي مِنَ الشَّرَابِ الأَبْجَلِ	فعند الموت، يصبح وكأنه قد شرب سُمًا فقتله.	اغتراب مكاني	70
فلَا أَعْرِفَنِّي، إنْ نَشَدْتُكِ ذِمَّتِي كدَاعِي هَدِيلٍ لا يُجَابُ ولا تَمِلْ وما زادَك الشَّكْوَى إلى مُتَنَكِّرٍ تَظَلُّ بِه تَبْكِي و ليْسَ بِه مُظِلْ	لذلك فإن بحثت صاحبته عنه، فلتعرف بأنه ميت، كما بحث الحمام عن الهديل دون أن تمل ولم يجبه فهو يرى في هذا الموضع وحشة وموت وبذلك فهو ليس بالمكان الذي بنبغي أن يقام فيه.	اغتراب مكاني	70

ويقول أيضا:

[1] سورة النساء، الآية 78.

البيت الشعري	شرحه	نوع الاغتراب	الصفحة
إذَا جَاءَ ما لابُدَّ منْه، فمَرْحَبًا به حينَ يَأْتِي لَا كِذَّابُ و لا عِلَلُ	حيث يغني بما لا بدمنة "الموت" والذي واجهه هو الصبر تجاهه، والقوة على تحمله رغم شدته على النفس.	اغتراب نفسي	70
أَلَا إِنَّنِي شَرِبْتُ أَسْوَدَ حَالِكًا أَلَا يُجْلِي مِنَ الشَّرَابِ الأَبْجَلُ	فعند الموت، يصبح وكأنه شرب سما فقتله.	اغتراب نفسي	70
فلاَ أَعْرِفَنَّ، إنْ نَشَدْتُكِ ذِمَّتِي كدَاعِي هَدِيلٍ لا يُجَابُ ولا تَمَلُّ	لذلك فإن بحثت صاحبته عنه، فلتعرف بأنه ميت، كما بحث الحمام عن الهديل دون أن تمل ولم يجبه	اغتراب نفسي	70
وما زادَكِ الشَّكْوَى إلى مُتَنَكِّرٍ تَظَلُّ به تَبْكِي و ليسَ به مُظِلُّ	فهو يرى في هذا الموضع وحشة وموت	اغتراب مكاني	70

	وبـذلك فهـو لـيس بالمكان الذي بنبغي أن يقام فيه.		

وقال معاتبا دهره على عادة الجاهليين:

البيت الشعري	شرحه	نوع الاغتراب	الصفحة
فَكيفَ يُرجَي المرءُ دَهرًا مُخلدًا وَأعمالُه عَمَّا قَليلٍ تُحاسبُه	يتساءل الشاعر كيف بالإنسان يريد طول العمر، فهذا غير ممكن ولا يحدث إلا بالعمل الصالح، لأنه فقط يخلد اسم الإنسان إلا بما يقوم به من عمل صالح	اغتراب زماني	14
أَلَمْ تَرَ هَامَانَ بن عَادٍ تَتابعتْ عَليْه النُسورُ ثُمَّ غَابتْ كَواكِبُه	والعبد منا – مهما طال عمره، فلن يخلد وضرب لنا مثلا بلقمان، وهو رجل يضرب به المثل في طول الحياة، حتى إنه قيل بأنه عاش عمر سبعة نسور.	اغتراب زماني	15

	إلا أن ذلك لم ينفعه بشيء ففي النهاية غابت كواكبه ومات[1]. ثم ضرب لنا مثالا آخر تمثل في ذي القرنين (الاسكندر الأكبر) فبالرغم من جنوده وخدمه		

فمن خلال هذه الأبيات التي ذكرناها بشيء من الشرح، فيها من الدلالة الواضحة عن اغتراب ذات الشاعر، و"طرفة" مثل باقي الشعراء في العصر الجاهلي، الذين عبروا عن الموت بصفات عدة، وسموها الكثير من المسميات، كالمنية والقبر، والوجع الأرق، الخوف، الدهر.

ونجدهم كثيرا ما عبروا عنها، عند وقوفهم على الأطلال، لأن هذه الأخيرة تمثل حالة موت المكان لانعدام الحياة فيه بعد رحيل أهله بما فيهم محبوبة الشاعر.

لذلك نجد أن قضية الموت، والتي مثلت لهم واحدة من أهم القضايا، التي لم يستطع الجاهليون ايجاد حل دون وقوعه، فقد كان هذا الشبح (الموت) سببا من أسباب تعكر صفو حياتهم، نستثني منهم "طرفة" الذي رأى بأنّ الموت مظهرا طبيعيا، يعبر عن فناء الجسد و النفس معا, كما توصل إلى

[1] ينظر: علي يوسف مفرح مدخلي، ذكر الحياة والموت في شعر طرفة بن العبد، اشراف عصام فاروق إمام، جامعة المدينة العالمية، 2012، ص 26.

حقيقة ترصد الموت لكل إنسان في كل زمان ومكان، في الحلّ و الترحال مهما عمّر من عمّر في هذه الحياة .

وكبداية نلخص ما توصلنا إليه وما استخرجناه من أنواع الاغتراب من خلال تحليلنا للسياقات التي وردت فيها.

اعتمد طرفة في تفسيره للحياة و الموت، على الواقع الاجتماعي المعاش, لذلك نجده عندما لاحظ أن كل الناس مآلهم لا محالة إلى الأرض، بما فيهم الأغنياء و الفقراء و البسطاء...الخ.

ومن هنا توصل إلى فكرة أنّ البخيل الذي يكتفي بجمع المال دون أن يستمتع به، لن يفيده ذلك و لن يمنع عنه الموت لأنّه لن يأخذه معه بعد الموت, فكل الناس غرباء في هذه الدنيا، والحياة هي كنز لكن ما هو حال هذا الكنز؟ إنّه كنز في تناقص مستمر كل يوم، فكل شيء إذا زاد يكبر وينمو إلا العمر كلما زاد نقص فالعمر ينتهي ولكن الأيام تبقى متواصلة.

لنصل إلى حقيقة استهتار "طرفة" و سر فلسفته التي وضعها للحياة. فالموت هي حالة طبيعية مقدرة، تقضي على الشخص وتجعله غريبا عن هذه الدنيا في الوقت الذي يشاء، ومن يستطيع أن ينقذ شخصا يصارع الموت وحانت ساعته, ولا يمكن الاعتقاد بأن الموت أخطأ عندما تم انقاذ الشخص منها، وإنما لابد وأن يأتي يوم ويقضي فيه عليه.

ولعل رأي طرفة بن العبد في الموت يشبه كثيرا رأي زهير بن أبي سلمى حيث يقول:

رَأَيْتُ المَنَايَا خَبْطَ عَشْوَاءٍ مَنْ تُصِبْ *** تُمِتْهُ ومَنْ تُخْطِىءْ يُعَمِّرْ فَيَهْرَمِ[1]

فزهير هنا يرى الموت وكأنها ناقة تجري، تميت من دعست عليه، أما من نجا منها فيطول به العمر إلى أن يسأم.

وفي موضع آخر نجد زهير يقول:

سَئِمْتُ تَكَالِيفَ الحَيَاةِ ومَنْ يَعِشْ *** ثَمَانِينَ حَوْلًا لاَ أَبَا لَكَ يَسْأَمِ[2]

فالشاعر زهير بن أبي سلمى في هذا البيت يعلن إعلانا مباشرا عن رغبته في الموت والذهاب إلى موطنه الحقيقي —التراب– ذلك لأنه أخذ كل الزاد الذي يحتاجه من هذه الحياة.

وهنا يظهر لنا الفرق بين رؤية هذا الأخير و رؤية "طرفة"، والذي يظهر من خلال فرق السن بين الشاعرين، فزهير شاب وهرم وملّ الحياة، فمن المعلوم أن الإنسان يضعف عوده وتخور قواه عند الكبر، مما يجعلنا لا نسلم كثيرا بعمق اغتراب هذا الأخير، في حين إذا وصل بنا الحديث عن "طرفة" أكيد سنستغرب من كثرة ذكره للموت في ثنايا قصائده على صغر سنّه، والأبيات التي ذكرناها أكبر دليل على ذلك.

وقد تشابه رأي طرفة مع زهير بن أبي سلمى حينما قال الأول:

وأَعْلَمُ مَا فِي اليَوْمِ والأَمْسِ قَبْلَهُ *** ولَكِنَّنِي عَنْ عِلْمِ مَا فِي غَدٍ عَمِ[3]

[1] زهير بن أبي سلمى، الديوان، تح: علي حسن فاغور, دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1988، ص 110.
[2] المصدر نفسه، ص 110.
[3] المصدر نفسه، ص 110.

لقد أثبت لنا هذا الشاعر غربته عن المستقبل، لجهله له، وهو رأي مطابق لما قاله "طرفة" حين قال:

وتَقُولُ عَاذِلَتِي ولَيْسَ لهَا *** بِغَدٍ ولا مَّا بَعْدَه عِلْمُ[1].

فطرفه بدوره أيضا أكد غربته عن المستقبل، كما أن الشاعر زهير بن جناب، الذي أيقن بأن الدهر مترصد به ليباغته بالموت، ذهب إلى ما ذهب إليه "طرفة" حيث قال هذا الأخير:

لئِن بَنَيْتُ إِلَى المشَقَّرِ في *** هَضَبٍ تَقْصُرُ دُوَنَه العِصَمُ

لَتُنَقِبَنّ عَنِّي المنِيَّة إنَّ *** اللهَ لَيْسَ لِحُكْمِه حَكَمُ[2]

ويقول زهير بن جناب:

لَيْتَ شِعْرِي، والدَّهْر ذُو حَدَثَان *** أَيُّ حَنِينٍ مَنِيَّتِي تَلْقَانِي

أَسُبُاتٌ على الفِرَاشِ حُفَاتٌ *** أَمْ بِكَفَّيْ مُفْجِعٍ حَرَّانَ[3]

أي أن هذا الموت اللعين في أي ساعة وفي أي مكان يمكن أن يقضي على الإنسان، فرآها "طرفة" ستلحق به وإنْ سكن في حضن المشقر ورآها الثاني ستلحق به، أينما حل سواء أكان في فراشه نائما أم كان منتبها يقظا، ليلا أو نهارا...الخ.

[1] طرفة بن العبد، الديوان ،تح: عبد الرحمان المصطاوي ,ص 78.
[2] المصدر نفسه، ص 78.
[3] عبد الغني أحمد زيتوني، الإنسان في الشعر الاهلي، ص 465.

وبصفة عامة، يمثل الموت حالة اغتراب لدى كل الجاهلين، و"طرفة" على وجه الخصوص، لعدم استطاعتهم الثأر منها، فهي التي تؤدي إلى تغريب الإنسان عن الدنيا، وتذهب بحياته دون رجعة إلى غربة دائمة.

" ويبقى الموت مهرب "طرفة" من اختلال معادلة الوجود وحلم خلاصه الفردي ثم لا يعنيه أن يخسر الإحساس بمأساوية الموت.

إِذَا جَاءَ ما لَابُدَّ مِنْه فمَرْحَبًا *** به حِينَ يَأْتِي لا كَذَّابُ و لا عِلَلُ .

فهو يرى في الموت خلاصا من دنيا لم تمنحه سوى ظلم الأهل واستصغار الشأن لذلك جعل منها حبيبا عزيزا على النفس، لأنها بالفعل ستأخذه إلى عالم لا ظلم فيه.

وقد رأينا لنظرة "طرفة" للموت مقابلا في شعر عمر بن كلثوم حيث يقول:

وَإِنَّا سَوْفَ تُدْرِكُنَا الْمَنَايَا *** مُقَدَّرَةٌ لنَا ومُقَدِّرِينَا[1].

فالموت حسب عمر بن كلثوم إما أن تأتي إلينا وإما أن نذهب نحن اليها. كما قال آخر

أَتَتْهُ الْمَنَايَا وهوَ غَضٌّ شَبَابُه *** وما لِلْمَنَايَا عَنْ حِمَى النَّفْسِ مِنْ عَزْمِ

و كُلُّ امْرِي يَومًا إلى الموتِ صَائِرٌ *** قَضَاءٌ إذا مَا حَانَ يُؤْخَذ بِالْكَظْمِ

ومَا أَحَدٌ حَيٌّ تَأَخرَ يَوْمُه ***بأَخْلَدَ مِمَنْ صَارَ قَبْلَ إلى الرَّجْمِ

[1] محمود عبد الله الجادر، طرفة بن العبد بين الانتماء والاغتراب في نصه الشعر، ص 168

سَيَأْتِي على البَاقِيَن يومٌ كمَا أَتَى *** على منْ مَضَى حَتَم عليه مِنَ الحَتْمِ[1].

إن كل هذه الأبيات التي تتحدث عن الموت من قبل بعض الشعراء، وإن كان فيها بعض التشابه مع آراء "طرفة"، إلا أنها لا تشكل حدة الاغتراب التي عند هذا الأخير لأن الشباب في مثل عمر طرفة عادة ما يكونون شديدي التفاؤل والإقبال على الحياة لنتفاجأ بهذا القدر الهائل لذكر الموت في شعره، وهو شاب في ريعان شبابه، مما أدى بنا إلى تأكيد حالة الاغتراب، من خلال كل السياقات التي ورد فيها ذكر الموت، ومن خلال عاطفة الفرح التي بدت عليه من خلال نصه الشعري، وتشوقه لها، وكأنها حبيب طال غيابه.

وكأنه يريد اللحاق بأبيه الذي عرف الموت أول مرة على يده، وقد كان هذا مفتاحا أظهر لنا ملامحا من فلسفة الشاعر المستمدة من حياته الشخصية، و التي جعلت قصائده تنطوي على قدر كبير من المشاعر التي يختلط فيها الحزن بالدهشة والأسى.

كما أظهر لنا "طرفة" من خلال شعره دليلا عن اغترابه الديني، وذلك أنه لا يؤمن بحياة أخرى بعد الموت لبعده عن الله سبحانه وتعالى، فلو كان هذا الشاعر على يقين بوجود عالم آخر بعد الموت، لما أصر على تمرده، ولأحب الحياة وتيقن من وجود خالق سيأخذ بثأره ممن ظلموه.

ومن هنا قد تجسد لنا اغتراب طرفة الديني من خلال شعره، ودعوته إلى التزود من ملاذ الحياة، ومثال ذلك قوله:

لعمرُك ما الأَيَّامُ إلاّ مُعَارَةً *** فما اسْتَطَعْتَ مِنْ مَعْرُوفِها فتَزَوَّدِ.

[1] عبد الغني أحمد زيتوني، الإنسان في الشعر الاهلي، ص 475.

لنتوصل في النهاية إلى صدق فراسة طرفة، الذي أكثر من ذكر الموت وكأنه أحسّ بقصر حياته التي انتهت بظلم الملك عمر بن هند له.

كما مثلت الأطلال رمزا لاغتراب "طرفة" عن ذاته، كما أعطتنا ملامح تفرده اجتماعيا. سنعرضها فيما يأتي:

البيت الشعري	شرحه	نوع الاغتراب	الصفحة
مَنْ عَائِدي اللَيْلَةَ أمْ مِنْ نَصِيح بِتُّ بِنُصُبٍ فَفُؤادِي قَرِيحْ	صورة أخرى من صور الأطلال عند شاعرنا ،إذ نجده يقف وحده ليصور لنا شدة حزنه الملتهب في أغوار نفسه أمام مواجهة هذه المعاناة بلا أنيس أو رفيق سفر يقف معه على طلل الراحلين، وينسيه بعض ما تحمله نفسه من لوعة و أسى.	اغتراب نفسي	19

فِي سَلَفٍ أَرْعَنَ مِنْفَجِر يُقْدِمُ أُولِي ظُعُنٍ كالطُّلُوحْ عَالِينَ رَقمًا فَاخِرا لَونُه مِنْ عَبْقَرِيّ كنَجِيعْ الذّبِيحْ وجَامِل خَوّعَ مِنْ نِيَبِه زَجْرُ الْمُعَلَّى أُصُلًا و السَفيحْ مَوضُوعُها زَوَلٌ و مَرْفُوعُها كمرّ صَوْبَ لجَبٍ وسْطَ رِيحْ	يتمرد هنا طرفة هنا عن تقاليد آبائه و أجداده، ويصف رأيهم بالحمق، ثم يسترسل في وصف الظعائن وما حل بنفسه نتيجة رحيل حبيبته[1]	اغتراب اجتماعي	20

إن ما ترمي به هذه القصيدة من دلالات لاغتراب صاحبها من خلال تصورنا لعلاقته مع المرأة، ذلك أنه يصور العلاقة مع هذه الأخيرة حرمانا يروض النفس ويستدر من هذا الحرمان أرضية تشكل فيها المعاناة، وهي معاناة من شكل خاص، يقف فيها الشاعر وحيدا بكل ما يحمله من همّ وغمّ، دون رفيق يسليه أو يساعده على نسيان ما حل به.

هذه الوحدة وهذا التفرد وهذا الاغتراب جعل منه شخصية متمردة، لا تعترف بمعايير وقوانين القبلية.

[1] محمود عبد الله الجادر، طرفة بن العبد بين الانتماء والاغتراب في نصه الشعر، ص 160.

البيت الشعري	شرحه	نوع الاغتراب	الصفحة
سَمَا لكَ منْ سَلمَى خَيَالٌ ودُونَها سَوادٌ كَثِيبٌ عَرْضُه فَأُمَايِلُه	سلمى بائنة عنك ولكن خيالها سما لك أي ارتفع وطرق .	اغتراب نفسي	71
فَذُو النِّير فالأعْمَالُ جَانبَ الحِمَى وُقُفٌ كَظَهْرِ التُّرْس تجري أسَاجِله	ويظهر من جبل في منطقة النير أعلام وقوله كظهر الترس أي هو مستوٍ لا شيء فيه والقف ما غلط من الأرض.[1]	اغتراب نفسي	71
وأنَّ اهتَدت سلْمى وسَائِلَ بَيْنَنَا بَشَاشَةُ حُبٍّ بَاشَرَ القَلْبَ داخِلُه وكم دونَ سلْمى مِنْ عَدُوٍّ و بَلْدَةٍ يُحَارِبُها الهَادِي الخَفِيفُ ذَلَاذِلُه	وقد نالني الفرح لرؤية خيال سلمى،ثم يتذكر شاعرنا بأن ما يراه ما هو إلا طيف سلمى، ليدرك بأنها في بلاد بعيدة حتى وإن أسرع للحاق خيالها فلن يستطيع.	اغتراب نفسي	71

[1] ينظر: الامام يوسف الأعلم الشنتمري، شرح ديوان طرفة بن العبد,ص117.

إنها مرة أخرى يثبت لنا فيها "طرفة"، اغترابه عن الجنس الآخر، من خلال تصورها في الخيال والخيال ما هو إلا هروب من واقع إلى واقع أحسن.

كما أنه من الناحية الثقافية ينذر تغزل الشعراء الجاهلين بالأطياف والخيال مما يدل دلالة طبيعية عن تفرد واغتراب طرفة بانتهاجه هذه الطريقة في الغزل.

و لقد كانت كل المقدمات الطللية التي قدمها لنا "طرفة"، تحمل ما تحمل في طياتها من ملامح اغتراب صاحبها.

أما عن منظر الظعائن وهي راحلة عن المكان مما يشغل ذهن الشاعر، ذلك أنه من أبرز ملامح الحياة في الصحراء، لذلك فإنّه يمكننا إدراج المقدمات الطللية ضمن لوحات الاغتراب تارة وفي لوحات انتمائه تارة أخرى.

وجانب الاغتراب يكون عند وقوف الشاعر بأطلال الحبيبة، والتي أصبحت أرضا مقفرة موحشة، ليستعين بخياله ويتذكر ما كان من أهل هذه الديار, وترجع به الذكرى إلى آخر لحظات الوداع، كهروب من الواقع.

وقد تجسد هذا أيضا من خلال قصيدته في حق امرأة مالكية همّ أهلها بالرحيل عن الديار و يقول فيها:

البيت الشعري	شرحه	نوع الاغتراب	الصفحة
قِفِي وَدِّعِينَا الَيوْم يا ابنَةَ مَالِكٍ وعُوجِي عَلَيْنَا مِنْ صُدُورِ جَمَالُكِ	وفي هذه الأبيات نلتمس حاجة الشاعر للاستقرار		67

قِفِي لا يَكنْ هذَا تَعِلَّة وصْلِنَا لبَيْنٍ و لا ذا حَظَّنَا مِنْ نَوَالِكْ	سوى بين الأهل أو في ديار الحبيبة ولكنه لا يجد هذا الاستقرار في أي مكان. ويبقى الخلاص حلما لا يخفف من وطأته إلا الشعر.	اغتراب مكاني	
أُخَبِّرْك أنَّ الحَيَّ فَرَّق بَيْنَهُم نَوَى غُرْبَة ضَرّارَةٍ لي كذلِك	كما أظهر لنا عن الوجع الذي يساوره بسبب البعد والغربة من جراء وحدته والشكوى من قسوتها	اغتراب مكاني	67
ولم يُنْسِنِي مَا قد لَقِيتُ وشَفَّنِي مِنَ الوَجْدِ أنِّي غَيْرُ نَاسٍ لِقَاءَكِ وما دُونُها إلاَّ ثَلاثُ مَآوِبٍ قُدِرْنَ لِعَيْسٍ مُسْنِفَاتِ الحَوَارِكِ ولا غَرْوَ إلاَّ جَارَتِي وسُؤَالَها أَلَا هَلْ لَنَا أَهَلٌ سُئِلْتِ كَذَلِكَ تُغَيِّرُ سَيْرِي فِي البِلَادِ ورِحْلَتِي	يشكو الشاعر البعد عن الحبيبة ومما يقاسيه في رحلاته، ولكثرة هذه الأخيرة أصبحت حبيبته غريبة عنه في قوله ولا غرو أي ولا عجب كذلك قوله سئلت أيضا دعا عليها	اغتراب زماني اغتراب اجتماعي	67

أَلَا رُبَّ دَارٌ لِي سِوى حُرِّ دَارِك	بالغربة.		

وفي آخر رحلة له- "طرفة بن العبد" – تعرض للغدر والخداع فيها من قبل الملك عمر بن هند وقصة تلك الصحفية المشؤومة التي أشرنا إليها آنفا جعلته يهجو هذا الملك في آخر لحظات حياته.

بقوله:

البيت الشعري	شرحه	نوع الاغتراب	الصفحة
أَبَا مُنْذِرٍ كانَتْ غَرُورَا صَحِيفَتِي ولم أُعْطِكُم بِالطَّوْعِ مَالِي ولا عِرْضِ	إن تمكنك مني يا عمرا بن هند لم يكن بمحض إرادتي وإنما كان عن طريق الخداع وهذا ما ينقص من قيمة هذا الملك، الذي لم يقف له رجل لرجل.	اغتراب نفسي	62
أَبَا مُنْذُر أَفْنَيتَ فاسْتَبْقِ بَعْضُنا حَنَانَيْك بَعْضُ الشَرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضُ فأَقْسمْتُ عِندَ النُّصِبِ: إنِّي لَهَالِك	ثم يقول له إن ما كان منه أمر هين أمام عدم اكتراث قومي بما حل من مصيبة	اغتراب نفسي	62

بِمُلْتَفَّة لَيْسَت بِغَبْطٍ ولا خَفْضِ	عندها أقسم بالنصب (إله من آلهة الجاهلين) أنه مقتول لا محالة		
خُذُوا حِذْرَكُم أهْلَ الْمُشَقَّرِ والصَّفَا عَبِيدًا اسْبِذِ والقَرْضُ يَجْرِي مِنَ القَرْضِ	لذلك نصح أهل البحرين بالحذر, فالدور سيأتي عليهم كما سيأتي الدور على الملك، ويحطم ملكه ولا يستطيع جيشه الكبير صد البلاء عنه.	اغتراب اجتماعي	62
سَتَصْحَبُك الغَلبَاء تغْلِبُ غَارَةٌ هنالِك لا يُنْجِيك عَرْضٌ مِنَ الْعَرْضِ وتَلْبِسُ قومًا بِالْمُشَقَّرِ والصَّفَا شَآبِيبُ المَوْت تَسْتَهِلُّ ولا تُغْضِى	لذلك نصح أهل البحرين بالحذر, فالدور سيأتي عليهم كما سيأتي الدور على الملك، ويحطم ملكه ولا يستطيع جيشه الكبير صد البلاء عنه.	اغتراب مكاني	62

	وسيأتي الموت كدفقات المطر على أهل المشقر والصفاء ويقضي عليهم		
تَمِيلُ على العَبْدي في جوِّ دَارِهِ وعَوْفُ بن سَعْدٍ تَخْتَرِمُه عن المِحْضِ هما أوْرَدانِي الموتَ عَمْدًا وجَرّدَا على الغَدْرِ خَيْلًا مَا تَمَلُّ مِن الرَّكْضِ	وسيأتي الموت كدفقات المطر على أهل المشقر والصفاء ويقضي عليهم جميعا بما فيهم عبد عمرو وعوف بن سعيد الذي قيل بأنه هو من حرض عبد عمرو زوج أخت طرفة للوشاية به إلى الملك، ذلك أنهما سبب قتله عمدا وجهزا خيولهما للقتال[1]	اغتراب نفسي	62

فهذه الأبيات التي بين أيدينا ما هي إلا آهات حزينة، عاني منها شاعرنا في عقر داره (البحرين) وبين قومه ولم يجد من يسانده ويفك كربه الذي حل به في ريعان شبابه مما أومأ إلينا بحالة

[1] ينظر: المصدر نفسه، ص 62.

اغتراب شديدة بين الشاعر وقومه وأيضا بينه وبين أحد من أفراد عائلته باعتبار عبد عمرو الذي وشي بهى إلى الملك زوج أخته الخرنق من أقربائه.

وكان آخر ما قاله طرفه بن العبد صرخة خرجت من أعماق النفس المجروحة والمغدور بها دون أن يحرك أهلها ساكنا لإنقاذها من الغربة الأبدية حيث قال:

البيت الشعري	شرحه	نوع الاغتراب	الصفحة
أسْلَمَنِي قَوْمِي ولم يَغْضَبُوا لسَوْءَة حَلَّتْ بِهِم فَادِحَة كُلُّ خَلِيلٍ كنْتُ خَالَلْتُه لا تَرَكَ اللهُ له واضِحَة كُلُّهُم أَرْوَغُ مِنْ ثَعْلَبٍ ما أَشْبَهَ اللَّيْلَةَ بِالبَارِحَة	إن لقتل طرفة في مسقط رأسه بالبحرين وعدم اكتراث قومه لذلك، وكأنه ليس من أبناء هذه القبيلة كما لو كان غريبا عنها.وهذا ما جعله يحس بغربة شديدة وهو بلده وبين أهله، فشبههم بالثعلب لمكره	اغتراب اجتماعي اغتراب زماني	19

وكما قمنا بإحصاء أسماء الجموع من المعلقة أثناء تعرضنا للانتماء عند "طرفه" قمنا بإحصاء كل الكلمات أو بالأحرى الأسماء الدالة على المفرد وهي:

خولة	برقة	ثهمد	اليد	غدوة	دد	عدولية
موعد	أحوى	الحي	المرد	شادن	خذول	خميلة
البرير	ألمى	منورا	حر	دعص	ند	إياة
الشمس	اثمد	وجه	رداء	نقيّ	اللون	عوجاء
مرقال	مور	معبد	أمون	لاحب	ظهر	برجد
جمالة	وجناء		أزعر	ملبد	طي	الجني
أجرنه	دأي	منضد	قنطرة	الرومي	رب	قرمد
صهابية	موجدة	بعيدة	موارة	سقيف	مسند	معالي
مصعد	ظهر	قرد	عز	قميص	مقدد	جمجمة
نهاض	مصعد	دجلة	العلاة	المتلقى	حرف	مبرد
خد	قرطاس	الشآمي	مشفز	سبت	اليماني	قد
صخر	مورد	القذى	مذعورة	أم	فرقد	سمع
التوجس	السرى	همس	خفي	صوت	مندد	العتق
شاة	حومل	مفرد	أروع	نباض	أحد	ململم

مرداة	مصمد	سامى	الكور	رأس	نجاد	الخفيدد
ملوي	محصد	أعلم	مخروط	الأنف	مارن	عتيق
الأرض	صاحب	النفس	خوفا	خال	مصابا	مرصد
المتوقد	وليدة	مجلس	سحل	ممدد	حلال	مخافة
حلقة	الرفيع	قينة	برد	محسد	كأسا	روية
غانيا	الحي	البيت	ذروة	لذتي	بيعي	طريفي
رحيب	الجيب	رفيقة	حبس	بضة	المتجرد	هذا
الزاجري	الوغى	متلدي	إفراد	البعير	المعبد	الطراف
عودى	شربة	كميت	المضاف	مخلدي	دفع	منيتي
عيشة	الفتى	جد	الخبا	المعمد		مجنبا
سيد	الغضا	المتورد	تقصير	يوم	الدجن	معجب
بكهنة	كريم	حياة	غدا	الصبي	قبر	نحام
بخيل	مال	غوى	البطالة	مفسد	منضد	الموت
كنزا	عقيلة	الفاحش	المتشدد	العيش	ناقصا	كل
ليلة	الدهر	ابن	عمي	مالكا	قرط	معبد
خير	رمس	ملحد	غير	ذنب	حمولة	النكيثة
الجلىّ	الجهد	القذع	عرض	كأس	حياض	التهدد

حدث	محدث	هجاء	قذفي	الشكاة	مطردي	مولاي
امرؤ	هو	كرب	خانق	الشكر	التسآل	أنا
مفتدي	ظلم	أشد	مضاضة	المرء	وقع	الحسام
المهند	شاكر	بيت	نائيا	ضرعد	قيس	خالد
عمرو	مرثد	مسود	الرجل	الضرب	الذي	خشاش
رأس	الحية	المتوقد	كشح	بطانة	عضب	رقيق
مهند	حسام	منتصرا	العود	البدء	معضد	أخي
ثقة	ضريبة	حاجز	برك	مجرد	خيف	جلالة
شيخ	الوبيل	الوظيف	ساق	مؤيد	نفع	قاصي
البرك	حوار	السديف	المسرهد	ابنة	امرىء	هم
غنائي	مشهد	بطي	سريع	الخنا	ذلول	ملهد
وغلا	عداوة	ذي	المتوحد	جراءة	إقدام	صدق
محتد	أمر	غمة	نهار	سرمد	عراك	حفاظ
موطن	الردى	أصفر	مضبوح	النار	عقيلة	مجمد
		خلقي	وقت	وقت	وقت	وقت

وبعد عملية احصائنا للاسم المفرد في معلقة طرفه ، وحسابها بالنسب المئوية كما فعلنا مع الاسم الجمع، يمكن لنا الآن، أن نصدر أحكامنا على الجدولين معا، من خلال النسب المئوية

المتحصل عليها. لنلاحظ أنه أمام هذه النسبة الباهرة للاسم المفرد 78.07في مقابل النسبة المتضائلة لأسماء الجمع15.07، و الذي كاد أن يغيب عن البنية النصية للمعلقة، لنصل إلى نتيجة مردها إلى اللغة نفسها أن هذا لم يكن على سبيل الصدفة وإنما حمل معه دلالات اكتشفناها من خلال تعريفنا للمفرد والذي يأتي للدلالة على الواحد، في حين يكون الجمع عكسه، أي يأتي للدلالة على التجمع والكثرة، ومن هنا نستطيع القول بأن نسبة المفرد العالية في النص قد كرّست النزعة الفردية، النظرة الأحادية للأشياء، وبات الحديث عن المجموع الذي يكرس نزعة الانتماء شيئا لا يكاد يذكر.

كما أنه عندما قمنا بنظرة أخرى على مباني ضمائر الشخص المفردة، وضمائر الشخص الجمعية، بمعزل عن نسبة الأسماء العامة من شأنها أن تعزز هذا الطرح وتؤكد النزعة الفردية والاعتداد بالذات.

ومن ثم يمكن القول أن هذا الذي قلنا هماهوإلا دلالة واضحة على اغتراب صاحبها، وهو ما يعكس بوضوح علاقة طرفة بن العبد المتأزمة بالقبلية، و التي يصرح عنها في أكثر من موضع في المعلقة وغيرها كما رأينا.

ومن نماذج اعتداد ذات الشاعر بنفسه نذكر ما جاء في معلقته كقوله:

البيت الشعري	شرحه	نوع الاغتراب	الصفحة
أَنَا الرّجُلُ الضَّرْبُ الذِي تَعْرِفُونَه خَشَاشٌ كَرَأْسِ الحَيَّةِ الْمُتَوَقِّدِ	أنا الحقيف من اللحم الذي عرفتموه لذلك فهو الحال في الأمور بخفة سرعة وأنه ذكي وفطن كسرعة حركة رأس الحية وشدة توقّده.		64
فَآلَيْتُ لا يَنْفَكَّ كَشْحِي بِطَانَةٍ لِعَضْبٍ رَقِيقِ الشَّفْرَتَيْن مُهَنَّدِ	يقول: ولقد حلفت أن لا يزال كشح لسيف قاطع وقيق الحدين طبعته الهند بمنزلة البطانة للظهارة[1].		
حُسَامٍ إذَا مَا قُمْتُ مُنْتَصِرًا به كَفَى العَوْدَ مِنْه البِدْءُ لَيْسَ بِمُعْضَدِ	يرينا طرفة بأن خصره ما زال بطانة لسيف قاطع،		

[1] أبي عبيد الله الحسين بن أحمد الزوزني، شرح المعلقات السبع، لجنة تحقيق في الدار العالمية، الدار العالمية، د ط، 1993، ص 64.

	إذ قام به منتقما من الأعداء تكفي الضربة الأولى به عن الضربة الثانية فينبغي البدء عن العود، وليس سيفا يقطع به الشعر، وقد نفى ذلك لأن هذا الأخير من أراد السيوف.[1]		

وإذا ما قارنا معلقة "طرفة بن العبد" مع معلقة "عمر بن كلثوم" لوجدنا العكس، إذ أكثر عمرو بن كلثوم من صيغ الجمع وضمير (النحن) مما يدل على شدة انتمائه القبلي- كما سبقت الاشارة-.

ومن الصيغ الصرفية التي لاحظناها حاضرة وبقوة في هذه المعلقة، صيغة المذكر والتي تكاد تعادل نسبة أسماء المفرد وانتقاء صيغة المؤنث تقريبا، وفي هذا العمل ما يدل عن اغتراب الشاعر عن الجنس الآخر.

[1] ينظر، المرجع السابق، ص 64.

ومن خلال الأبيات أعلاه، نستطيع القول بأن شاعرنا، استعملها كسلاح ليثبت بها هوية ذاته المتفردة والتي أراد طرفه أن يقيمها هوية لوجوده الإنساني وقد لمسنا ذلك من خلال عودته إلى الفخر الذاتي في أكثر من موضع، سواء في المعلقة أو غيرها من ديوان شعره.

وتبقى ملامح تفرد طرفه واغترابه مثبوثه في ثنايا قصائده تحمل دلالاتها العميقة بإزاء ملامح انتمائه الذي ظل يواجهه بمعضلة الموازنة بين أن يكون أو لا يكون وتلك هي المعضلة التي استدرت هذا القلق الموجع بين الانتماء والاغتراب ثم خلفت آثارها على صفحة شعر سيظل ميدانا رحبا لتأمل ظاهرة نفسية وفكرية قل أن يفصح عما يضاهيها ديوان شاعر جاهلي لم يقطع من شوط الحياة أكثر من ست وعشرين سنة كانت مدى معاناه من نمط فريد."[1]

[1] محمود عبد الله الجادر، طرفة بن العبد الانتماء والاغتراب في نصه الشعري، ص 169.

خاتمة

إنّ لكلّ شيء ما تمّ نقصان, و كما أنّ لكل بداية من نهاية ها نحن نصل إلى ختام بحثنا ,الذي حاولنا فيه جاهدات ملامسة شعر طرفة بن العبد و ما عاشه من ظروف اجتماعية و نفسية انعكست على شعره, وقد بدا لنا ذلك من خلال تتبعنا لظاهرتي الانتماء و الاغتراب, و لأنّ الشعر الجاهلي يعتبر ميدان خصب يمكن أنْ نجني منه كل ما تعلّق بحياة الإنسان الجاهلي من قضايا نفسية و اجتماعية خاضها شعراؤه أو غيرهم, فوصفوا لنا ذلك في أشعارهم.

و تعتبر قضيتي الانتماء و الاغتراب من أهمّ القضايا التي رافقت الجاهلي بصفة عامة و الشاعر بصفة خاصة , فصور لنا هذا الأخير حياته بكل ما تحمله من ظروف مختلفة مثل الانتماء و الاغتراب...و غيرها من الظواهر, إلاّ أننا اقتصرنا في عملنا بالبحث عن هاتين الظاهرتين المذكورتين.

و ما يمكن قوله كحوصلة عن أهم النتائج التي توصلنا إليها و التي نجملها في النقاط الآتي ذكرها:

1-الانتماء هو ظاهرة طبيعية تدل على شعور الفرد بأنّه عضو فاعل في المجتمع, مقبولا فيه و مستحسنا بين أفراده, مما يجعله يحس بالفخر و الأمان فيه.

2- الاغتراب هو ظاهرة نفسية اجتماعية تدل على المفهوم العكسي للانتماء, و الاغتراب بذلك هو حالة نفسية تنشأ لدى الفرد تنشأ لدى الفرد نتيجة حدوث خلل في قدرته على التواصل بصورة

سليمة ضمن الشبكة الاجتماعية التي يعيش فيها, سواء كان ذلك في صورة كمية كعدم وجود عدد كاف من الأصدقاء أو في صورة كيفية كافتقاد المحبة و الألفة من الآخرين المحيطين به.

3- تجسد الانتماء في الشعر الجاهلي أكثر شيء من خلال العصبية القبلية و الفخر القبلي , حيث كان عمرو بن كلثوم أكبر مثال على ذلك.

4-و لمسنا الاغتراب في الشعر الجاهلي عند أولئك الشعراء الصعاليك الذين أطلق عليهم أغربة العرب. لكنّ هذا لا يعني أن باقي شعراء هذا العصر لو يحسوا بالغربة.

5- من خلال تتبعنا لقصة حياة "طرفة" و شعره و عن انتمائه و اغترابه, توصلنا إلى:

أ- لو أحسن أعمام "طرفة" إليه و أعطوه حقه و حق أمه لما أحسّ بالغربة و هو بين أهله, و هو ما أطلقنا عليه تسمية الاغتراب الاجتماعي,

ب- سلوك "طرفة" المتطرف- إن صح التعبير- و المتمرد عن أعراف القبيلة جعله يعاني من الاغتراب المكاني , و ذلك بنفيه من القبيلة و إبعاده إبعاد البعير الأجرب.

ج- عدم رضوخ "طرفة" لهذا النفي و الإبعاد مدة طويلة برجوعه إلى القبيلة نادما, و هذا ما جعلنا نقرّ بدفاعه عن حقه في الانتماء الوطني (القبلي).

د- قلة قصائد الفخر القبلي مقارنة بالفخر الذاتي في ديوانه, هو ما دلنا على شدة اغترابه و تفرده عن أهله أولا و عن القبيلة ثانيا و عودته لممارسة الاغتراب المكاني باختياره.

هـ- تضخم الذات و الإكثار من ذكر ضمير الأنا ما أدى بنا إلى القول بانتمائه لذاته وهو ما سميناه بتقدير الذات و ابتعاده عما سواها.

و- "طرفة" منتمٍ و بقوة إلى ثقافة عصره إذ وجدنا شعره مطابقا لكل ما احتواه الشعر الجاهلي من خصائص خارجية و داخلية و خاصة معلقته.

و كنتيجة عامة نستطيع القول بأنّ "طرفة" كان مغتربا أكثر منه منتميا, لكن رغم ذلك وجدنا في كل قصائده دفاعا مستميتا عن حقه في الانتماء و حسن المعاملة التي كان يحظى بها كل الشعراء في عصره.و بمقتل "طرفة" في ربيع عمره و في بداية عطائه, حرم عشاق الأدب العربي من عطاء شاعر مبدع .و تبقى المعلقة شاهدا على مجد صاحبها, و على النهاية المؤلمة ,لذلك فإنه من خلال هذا البحث قد عشنا مع "طرفة" كل تفاصيل حياته, فتعاطفنا معه, و شاركناه آلامه أنسنا وحدته في رحلاته و ركبنا معه ناقته, و تعلمنا منه عدم الوقوف صامتات أمام الظلم, رغم تحفظنا على بعض سلوكاته إلاّ أننا بكينا لمقتله بهذه الطريقة.

و أخيرا و ليس آخرا نتقدم بجزيل الشكر و الامتنان لكل من مد لنا يد المساعدة و لو بالدعاء و نخص بالذكر في هذا المقام الأستاذين الفاضلين "بولعشار مرسلي" و "قرل عبد المالك"و الأستاذة "حسيني فتيحة".

قائمة المصادر والمراجع

*القرآن الكريم .

- أحمد الهاشمي، جواهر الأدب، ج2، دار المعارف، القاهرة، (د ط)،(د ت)

- أحمد الزيات، تاريخ الأدب العربي، دار النهضة، مصر، القاهرة، (د ط)،(د ت)

- أحمد زعب ، مبادئ الانثروبولوجيا (علم الإنسان)، مطبعة سخري، ط1، 2012.

- أحمد محمد عطية، أدب البحر، دار المعارف، القاهرة،(د ط)، (د ت).

- أحمد مختار عمر، علم الدلالة ، دار العروبة للدياعة والنشر، ط1 ، 1981.

- ابراهيم عوضين، الادب العربي بين البادية والحضر، مطبعة السعادة، (د ط)، 1983.

- امرؤ القيس ، الديوان ، تح: مصطفى عبد الشافي، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط5، 2004.

- امرؤ القيس ، الديوان ، تح: عبد الرحمان المصطاوي ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 2004.

- أشرف علي دعدور ، الغربة في الشعر الأندلسي عقب سقوط الخلافة ، دار النهضة ، (دط)، (دت).

- بطرس البستاني ، أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام ، دار نظير عبود، بيروت، (دط)، 1989.

- أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري ،شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، تح:عبد السلام هارون ، دار المعارف ، ط5 ،(دت).

- دزيرة سقال ، العرب في العصر الجاهلي ، دار الصداقة العربية ، بيروت ، لبنان ،ط1، 1995.

- هاشم صالح مناع، روائع من الأدب العربي ، دار الوسام ، بيروت، ط2، 1991.

- زهير بن ابي سلمى ، الديوان ، تح :حمدو طماس، دار المعرفة ، بيروت، لبنان ، ط2 ،2005.

أبو زيد القرشي، جمهرة أشعار العرب، دار صادر، بيروت، (دط)، (دت).

- زهير بن ابي سلمى ، الديوان ، تح: علي حسن فاعور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1988.

-الحارث بن حلزة ، الديوان ، تح :اميل بديع يعقوب ، دار الكتاب العربي ، بيروت، ط1، 1991.

-حبيب مونسي ، فلسفة المكان في الشعر العربي ، اتحاد الكتاب العربي، دمشق، (دط)، 2001.

- وهب أحمد رومية ، شعرنا القديم والنقد الجديد ، سلسلة عالم المعرفة ، (دط)، 1996.

- حنا الفاخوري ، الجامع في تاريخ الأدب- الأدب القديم ، دار الجيل ، بيروت ، ط1، 1986.

- أبو عبيد الله الحسين بن أحمد الزوزني ، شرح المعلقات السبع ، لجنة التحقيق في الدار العالمية، (دط)، 1993.

- حسني عبد الجليل يوسف ، الأدب الجاهلي ، مؤسسة المختار للتوزيع والنشر ، القاهرة ، ط1، 2001.

-طه أحمد ابراهيم ، تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، (دط)، (دت).

- طه حسين ، في الأدب الجاهلي ، مطبعة فاروق ، القاهرة ، ط2، 1933.

- طرفة بن العبد، الديوان ، تح : عبد الرحمان المصطاوي ، دار المعرفة، بيروت ، لبنان ، ط1، 2003.

-يوسف الأعلم الشنتمري، شرح ديوان طرفة بن العبد ،مطبعة برطند، شالون ، (دط)، 1900.

- يوسف خليف، الشعراء الصعاليك، دار المعارف، ط3، 1978.

- يحي شامي ، أروع ما قيل في الفخر ، دار الفكر العربي ، بيروت ، (دط)، (دت).

- يحي شامي ، شرح المعلقات العشر، دار الفكر العربي ، بيروت ، ط1، 1994.

- كارل بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي، ج1، ترجمة عبد الحليم النجار، دار المعارف ، ط5، (دت).

- لبيد بن ربيعة ، الديوان ، تح : حنا نصر الحتى ، شرح الطوسي، دار الكتاب العربي ، ط1، 1993.

-لطف الله الزهار ، العقد الثمين في دواوين الشعراء الثلاثة الجاهليين، المطبعة اللبنانية ، بيروت، (دط)، 1986.

- محمد ابراهيم انيس ، دراسات في الشعر العربي ، دار المعارف ، ط2، (دت).

- مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، المعجم الوسيط ، مكتبة الشروق الدولية ، ط4، 2004.

- محمد مصطفى زيدان ، النمو النفسي للطفل المراهق وأسس الصحة النفسية ، منشورات الجامعة الليبية ، ط1، 1972.

- محمد النويهي ، الشعر الجاهلي ، ج1، دار القومية ، القاهرة ، (دط)، (دت).

- محمد نبيل الطريفي ، ديوان اللصوص في العصر الجاهلي والأعلامي ، ج2، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان، ط1، 2004.

- محمد عباس يوسف ، الاغتراب والإبداع الفني ، دار غريب للطباعة ، القاهرة ،(دط)، (دت).

- محمد عبد المنعم خفاجي ، الحياة الأدبية في العصر الجاهلي ، دار الجيل ، بيروت ، ط1، 1992.

- محمد علي عبد الكريم الرديني ، فصول في علم اللغة العام ، دار الهدى ، الجزائر، (دط)، (دت).

- محمد الخضر حسنين، نقض كتاب في الشعر الجاهلي ، المكتبة الأزهرية للتراث، ط2، 1990.

- محمود رجب ، الاغتراب ، سيرة المصطلح ، دار المعارف ، القاهرة ، (دط)، 1988.

- منير سلطان ، ابن سلام وطبقات الشعراء ، منشأة المعارف ، الاسكندرية ، (دط)، (دت).

- مصطفى سويف ، الأسس النفسية للأ بداع ، دار المعارف ، القاهرة ، ط 4 ، (دت).

- مصطفى صادق الرافعي ، تاريخ اداب العرب ، ج1، مكتبة الإيمان ، المنصورة ، (دط)، (دت).

- ابن منظور ، لسان العرب ، المجلد 11، دار صادر ، بيروت ،(دط)، (دت).

- ابن منظور ، لسان العرب، مجلد 15، دار صادر ، بيروت ،(دط)، (دت).

- مختار عطية ، الإيجاز في كلام العرب ونص الإعجاز، دار المعرفة الجامعية، (دط)، (دت).

- النابغة الذبياني ، الديوان ، تح : حمدو طمّاس ، دار المعرفة ، بيروت، لبنان ، ط2 ،2005.

-النابغة الذبياني ، الديوان ، تح : حمدو طمّاس ، دار المعرفة ، بيروت، لبنان ، ط2 ،2005.

-النابغة الذبياني ، الديوان ، تح: محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف، ط2، (دت).

-نبيل راغب ، موسوعة الفكر الأدبي ، دار غريب للطباعة ، القاهرة ،(دط)، (دت).

- نواري سعود ابو زيد، الدليل النظري في علم الدلالة ، دار الهدى ، الجزائر، (دط)، (دت).

- سمير مصطفى فراج ، شعراء قتلهم شعرهم ، مكتبة مدبولي الصغير ، ط1، 1997.

- سناء حامد زهران، إرشادات الصحة النفسية لتصحيح مشاعر ومعتقدات الاغتراب ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط1، 2004.

- سعد بو فلاقة ، دراسات في الأدب الجاهلي ، منشورات جامعة باجي مختار ، عنابة ،(دط)، 2006.

- سعدي ضناوي ، أثر الصحراء في الشعر الجاهلي ، دار الفكر اللبناني ، بيروت ، ط1، 1993.

- سراج الدين محمد ، المديح في الشعر العربي ، دار الرتب الجامعية ، بيروت لبنان ، (دط)، (دت).

- عائشة عبد الرحمان بنت الشاطئ ، قيم جديدة في الأدب العربي القديم والمعاصر ، دار المعارف ، القاهرة ، ط2، (دت).

- عبد الرزاق الخشروم ، الغربة في الشعر الجاهلي ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، (دط)، 1982.

- عمرو بن كلثوم ، الديوان، تح :اميل بديع يعقوب ، دار الكتاب العربي ، بيروت، ط2، 1996.

- عروة بن الورد ، ديوان أمير الصعاليك ، تح: أسماء أبو بكر محمد، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان، (دط)، 1998.

- عبد الرحمان العيسوي ، علم النفس العام ، دار المعرفة الجامعية ، (دط)، 2000.

- عبد اللطيف محمد خليفة ، دراسات سيكولوجية الإغتراب ، دار غريب للطباعة، القاهرة ، (دط) ، (دت).

- عبد الغني أحمد زيتوني ، الإنسان في الشعر الجاهلي ، مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات ، ط1، 2010.

- عنترة بن شداد ، الديوان ، تح : خليل الخوري ، مطبعة الأداب ، بيروت ، 1993.

- فؤاد افرام البستاني ، الشعر الجاهلي ، المطبعة الكاثوليكية، (دط)، 1938.

- فاطمة محمد حميد السويدي ، الاغتراب في الشعر الأموي، مكتبة مدبولي، ط1، 1997.

- فاروق أحمد سليم ، الإنتماء في الشعر الجاهلي ، اتحاد الكتاب العرب ، (دط)، 1998.

- فيصل عباس ، الاغتراب ، دار المنهل اللبناني ، بيروت ، ط1 ، 2008.

- فتح الكبير المتعالي ، إعراب المعلقات العشر الطوال ، مكتبة السوادي للتوزيع، ط2 ، 1989.

- ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، ج1، تح : أحمد محمد شاكر ، دار المعارف ، القاهرة ،(دط)، (دت).

- فضل بن عمار العماري ، النظم الشفوي في الشعر الجاهلي ،دار الاصالة للثقافة والنشر ، ط1 ، 1984.

- الإمام الرازي ، مختار الصحاح ، تح : محمود خاطر ، دار المعارف ، (دط)، 1983.

- شوقي ضيف ، العصر الجاهلي ، دار المعارف ، القاهرة ، ط24 ، (دت).

- الشنفرى، الديوان ، تح :اميل بديع يعقوب ، دار الكتاب العربي ، بيروت، ط2، 1996.

-شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة ، أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع ، ط1 ، 2004.

- ابن خلدون ، المقدمة ، مكتبة ومطبعة عبد الرحمان محمد لنشر القرآن الكريم والكتب الإسلامية ، مصر ، (دط)، (دت).

- الخليل بن احمد الفراهيدي ، معجم العين ، تح: مهدي المخزومي ، ابراهيم السمرائي ، ج4 ، (دط)، (دت).

- خليفة بوجادي ،محاضرات في علم الدلالة مع نصوص وتطبيقات ، بيت الحكمة ، الجزائر ، ط2 ، 2012.

- غازي طليمات ، عرفان الأشقر ، الأدب الجاهلي ، دار الأرشاد ، حمص ، ط1، 1992.

المجلات والدوريات

- حمدي منصور ، مجلة جامعة النجاح للأبحاث ، 2006.

- حسين جمعة ، ظاهرة الإنتماء في القصيدة العربية ، مجلة التراث الأدبي .

- ماجد موسى ، مفهوم الذات الاجتماعي وعلاقته بالتكيف النفسي والإجتماعي لدى الكفيف ، مجلة جامعة دمشق ، العدد: 26 ، 2010.

- مهدي ممتحن ، الأدب الجاهلي بين البيئتين الطبيعية والإجتماعية ، مجلة التراث الأدبي ، السنة الأولى ، العدد : 3.

- محمود الله الجادر ، طرفة بن العبد بين الإنتماء والاغتراب في نصه الشعري ، مجلة التراث الأدبي ، العدد: 5.

- نجوى اليحفوفي ، التفاؤل والتشاؤم لدى المسنين المتقاعدين والعاملين بعد سن التقاعد ، مجلة دراسات عربية في علم النفس ، مجلد :3، العدد:4.

- سهيلة عبد الرضا عسكر ، الإنتماء الإجتماعي وعلاقته بالأذعان لدى المسنين ، مجلة البحوث التربوية والنفسية ، العدد :19.

– علي عشا السيد ، جدل العصبية القبلية والقيم في نماذج الشعر الجاهلي ، مجلة اللغة العربية ، دمشق ، مجلد :83، ج3.

– عمر اسماعيل ، مصطفى الشاطبي ، احلام عبد السميع العقباوي ، الدمج وعلاقته بالشعور بالإنتماء لدى طلاب ذوي الإحتياجات الخاصة ، 2009.

– فتحي خضر، وصايا الأباء في الشعر الجاهلي والإسلامي ، مجلة النجاح للأبحاث ، المجلد :19، 2005.

– فضل الله ، وظيفة الشعر عند العرب القدامى ، مجلة القسم العربي ، جامعة بنجاب لاهور باكستان ، العدد :18، 2011.

– ظاهر محسن هاني الجبوري ، مفهوم المواطنة لدى طلبة الجامعة ، مجلة بابل للعلوم الإنسانية ، مجلد :18، العدد:1، 2010.

الرسائل الجامعية

–إ ياد محمد ناي أقرع ، الشعور بالأمن النفسي وتأثر ببعض المتغيرات لدى طلبة جامعة النجاح الوطنية ، إشراف :علي حبايب، 2005، جامعة النجاح الوطنية .

– حمد بن فرحات الشلوي ، الثقافة التنظمية وعلاقتها بالإنتماء التنظيمي ، إشراف :محمد فتحي محمود ، 1426، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية .

– كريمة يونسي ، الإغتراب النفسي وعلاقته بالتكيف الأكاديمي لدى طلاب الجامعة ، إشراف : بوكرمة فاطمة الزهراء ، 2012، جامعة مولود معمري تيزي وزو.

– محمد مشعالة داخي ، الإغتراب عند الإمام علي من خلال نهج البلاغة ، إشراف : عبد القادر ، 2009\ 2010، جامعة محمد لخضر ، باتنة .

- منى بثلم ، شعرية الفضاء في مقدمة الضعائن ، إشراف : دياب قديد ، جامعة قسنطينة ، 2009.

- سعيد بن بوزة ، الهوية والاختلاف في الرواية السنوية في المغرب العربي ، إشراف : الطيب بودربالة ، 2007\ 2008، جامعة الحاج لخضر .

- عادل بن محمد العقيلي ، الاغتراب وعلاقته بالأمن النفسي ، اشراف : صالح بن عبد الله ابو عباة ، 2004، جامعة نايل العربية للعلوم الأمنية .

- عادل محلو ، الصوت والدلالة في شعر الصعاليك ، اشراف : سعيد هادف عبد القادر دامخي ، جامعة الحاج لخضر ، باتنة ، 2006\2007.

- علي يوسف مفرح مدخلي ، ذكر الموت والحياة في شعر طرفة بن العبد ، إشراف : عصام فاروق إمام ، جامعة المدينة العالمية ، 2012.

- ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي ، دلالة السياق ، جامعة أم القرى ، مكتبة الملك فهد ، مكة المكرمة ، ط1، 1423.

- رزوق النواري ، المعاني الوظيفية لمباني الصرف والتركيب في معلقة طرفة بن العبد ، اشراف :السعيد هادف، جامعة الحاج لخضر ، باتنة ، 2008\2009.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

مقدمة.....أ

الفصل الأول: قراءة في الشعر الجاهلي.

تمهيد.....01

المبحث الأول: موضوعات الشعر الجاهلي.....03

أ-الوصف.....03

ب-الغزل.....07

ج-الفخر.....11

د-المدح.....15

هـ-الرثاء.....18

و-الهجاء.....20

ز-الحكمة.....25

المبحث الثاني: خصائص الشعر الجاهلي.....27

المبحث الثالث: أهم شعرائه.....38

أ-امرؤ القيس.....38

ب-زهير بن أبي سلمى.....41

ج- لبيد بن ربيعة.....42

د- عنترة بن شداد.....43

هـ- عمرو بن كلثوم.....46

و- الحارث بن حلزة.....47

ز- النابغة الذبياني.....48

ح- الشنفرى.....49

ط- الخنساء.....51

الفصل الثاني: دلالة الانتماء و الاغتراب.....55

المبحث الأول: الدلالة.....55

أ- مفهومها لغة و اصطلاحا.....55

ب- أنواعها.....55

ج- النظرية السياقية.....59

المبحث الثاني: الانتماء.....63

أ- الانتماء عند الغرب.....64

ب- الانتماء عند العرب.....67

ج-أنواع الانتماء.....69

د-أبعاد الانتماء.....74

هـ-الانتماء في الشعر الجاهلي.....77

المبحث الثالث: الاغتراب.....82

أ-الاغتراب عند الغرب.....83

ب-الاغتراب عند العرب.....88

ج-أنواع الاغتراب.....93

د-أسباب الاغتراب.....95

هـ-مراحل الاغتراب.....96

و-أبعاد الاغتراب.....97

ز-الاغتراب في الشعر الجاهلي.....99

الفصل الثالث: طرفة بن العبد بين الانتماء و الاغتراب في نصه الشعري.....111

أ-طرفة بن العبد.....111

ب-طرفة المنتمي.....120

ج-طرفة المغترب.....168

خاتمة.....223

قائمة المصادر و الراجع.....227

فهرس الموضوعات.....235